



كتاب الهلال

الذئب الأغبر

مصطفى كمال

تأليف

الكاتبه ه. س. أ. ستردينج

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com>



سلسلة شهرسية
تصدر عن دار الهلال



الذئب الأغبر
مضطفي كمال

تأليف

الكاتب ه. س. أوستروخ

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com>

حقوق الطبع محفوظة لدار الهلال

كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكري زيدان
مدير التحرير : طاهر الطناني

العدد ١٦ - شوال ١٣٧١ - يوليو ١٩٥٢

No. 16 - July 1952

مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك
(المبتديان سابقا) القاهرة

الكتابات

كتاب الهلال - بوسنة مصر العمومية - مصر
التليفون : ٧٩٨١٠ (تسعة خطوط)

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) - مصر والسودان
٨٥ قرشا صاغيا - سوريا ولبنان ١١ ليرة سورية
او لبنانية - الحجاز والعراق والاردن ١١٠ قروش
صاغ - في الامريكتين ٥ دولارات - في سائر
انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغيا او ٣٠/٩ شلينا

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب -
وثلاثة كتب غيره في
شؤون تركيا - هو
الكابتن (هـ . س .
ارمسترونج) الملحق
الحربي لبريطانيا في تركيا
سابقا . أما الكتب الثلاثة
الأخرى فهي (تركيا
تعمل) و (تركيا وسوريا
تولدان من جديد)
و (المعركة غير المنتهية)
وقد عاش في الشرق
فترة طويلة من حياته ،
فقد عين في البداية -



قبيل الحرب العالمية الأولى ملحقا بالجيش الهندي ،
وعهد إليه في مراقبة الحدود التي كان الأفغانيون ينتخلونها
في غارات كثيرة متكررة في ذلك الحين

ثم أُرسل إلى العراق حيث عمل ملحقا بقيادة الجنرال
(سير تشارلس ميلليس) القائد الانجليزى المشهور الحائز
على وسام صليب فيكتوريا . . . تم أسره الأتراك مع فرقة
الجيش السادس بأكملها . . . وسار على قدميه مع الأسرى

من أقصى جنوب بلاد العرب الى تركيا ، مارا بالأراضي السورية !

وقد حاول الفرار من هذا الأسر بعد حين، لكن محاولته بامت بالفشل فضبط وحكم عليه بالسجن ستة أشهر

وكان القائد أنور باشا هو الحاكم بأمره في تركيا خلال ذلك العهد ، فالتحق بمقابلته وجرى بينهما حديث طويل انتهى بأن أمر أنور باشا بأن يرزج به في سجن منفرد عقابا له على ما اعتبره اهانة له !! ثم فوجئ بإفراج السلطات التركية عنه بعد قليل وتمييزه على أثر ذلك ضابطا مشرفا على جميع أسرى الحرب الآخرين !! ثم اختير ممثلا للاتهام في إحدى المحاكمات العسكرية التركية لقواد معسكرات أسرى الحرب بتهمة تهجمهم على الأسرى الموضوعين في حراستهم ورعايتهم !

وقبيل نهاية الحرب العالمية الأولى فر الكابتن أرمسترونج من تركيا بواسطة استخدام الرشوة ٠٠٠! وبعد انتهاء الحرب أعيد الى تركيا في مهام رسمية عهدت فيها اليه السلطات الانجليزية المحتلة ، وهناك بقى أعواما كان خلالها على اتصال مباشر بالأتراك عامة ، وبمصطفى كمال خاصة .. وشهد نهوض تركيا الجديدة ، ثم هزيمة اليونانيين والانجليز والاطاليين والفرنسيين ، الذين كانوا يحتلون أراضي تركيا بحكم انتصارهم عليها وعلى حليفها ألمانيا في تلك الحرب

وفي سنة ١٩٢٧ عين ملحقا بريطانيا في لجنة تعويضات الحرب بتركيا . ومكث هناك ثلاث سنوات طاف خلالها بجميع أنحاء تركيا

تمهيد

في القرن الثالث عشر الميلادي أجذبت الأرض في جزء كبير من المعمورة نتيجة لقلّة الأمطار ، فاصاب القحط أكثر البلاد الممتدة بين سور الصين وآسيا الوسطى .. بحيث اضطرت القبائل التي تقطنها الى الهجرة بحثا عن مراعي جديدة ، وكان « الاتراك العثمانيون » من بين أولئك المهاجرين ، وزعيمهم يومئذ « سليمان شاه » الذي جعل شعاره علما عليه صورة لراس « ذئب أغبر ! »

والواقع أن هؤلاء الاتراك العثمانيين كانوا جبابرة قساة يعيشون على الفطرة ، أقوياء ، ذوي جوه مفولية مسطحة تنوسطها عيون مشقوقة .. وكانوا أشبه بالذئاب الغبراء التي تجوس خلال تلك البراري الفسيحة في آسيا الوسطى ... لكنهم - برغم ذلك - كانوا منظمين يدينون لزعمائهم بالخضوع التام والطاعة الممياء . وقد انقضت عليهم قرون وهم ينصبون خيامهم السوداء في سهول « سنجاريا » عند حافة صحراء « جوبي » ... فلما اضطروهم نقص الماء والحضرة الى النزوح عن بلادهم قادهم زعيمهم سليمان شاه نحو الغرب، ثم وجد أمامه قبائل التتار فانتنن بقومه جنوبا عبر « أرمينيا » الى أن استقروا في آسيا الصغرى ، حيث بدأ هناك تاريخهم الحديث !

ومات سليمان شاه ، فخلفه « ارطغرول » ، ثم تتابع



مصطفى كمال

الزعماء والسلاطين على حكم الاتراك العثمانيين عشرة أجيال كاملة ، ابنا عن أب ، فكان منهم الحاكم ، والزعيم ، وقائد الجيش ، وعرف أكثرهم بالقسوة والجبروت . ولم يجدوا مشقة في غزو البلاد المحيطة بهم والاستيلاء عليها ، فقد كانت هذه البلاد بعضها تحت حكم الامبراطورية البيزنطية الفاسدة الملوثة ، وبعضها تحت حكم امبراطورية العرب الممزقة في بغداد . وهكذا لم تضي ثلاثمائة عام بعد وفاة سليمان شاه الجيد الاكبر للاتراك العثمانيين حتى كان خليفته العاشر العظيم السلطان سليمان القانوني ، يحكم امبراطورية شاسعة تمتد من البانيا ، على البحر الادرياتيكي إلى حدود فارس ، ومن مصر إلى القوقاز ، ودانت لحكمه هنغاريا والقرم ، وجاءه ملوك أوروبا بالهدايا يلتمسون معونته في حروبهم ، وتغلغل جيوشه في الطريق إلى الشرق . . . وأبحرت أساطيله مرفوعة الراية في أرجاء البحر الأبيض وسيطرت عليه . ثم اعترفت بسيادته بلاد شمال افريقيا . . . ودانت له القسطنطينية ، فتطلع إلى سيادة العالم كله ، واعد لذلك عدته . فما جاء عام ١٥٨٠ حتى كانت جيوشه تدق أبواب د فيينا .

على أن أمنيته الكبرى هذه لم تتحقق ، ثم دب الفساد في امبراطوريته في عهد خليفته سليم الاول ، وتفاقم الفساد في العهود التالية ، ففيما عدا واحدا من سبعة وعشرين سلطانا تعاقبوا على عرش الامبراطورية العثمانية كان الحكم في واقع الأمر لحريم القصر والخصيان « الأنغوات » . . . ووجد الاتراك أنفسهم بلا قائد ولا زعيم يوجههم إلى سواء السبيل ، فأمعنوا في المجون وانساقوا مع المذلات والامراء ، فأصابهم الانحلال ، وفقدوا صلابتهم القولاذية ونشاطهم وحيويتهم وبسالتهم وكل قواهم المادية والمعنوية . وأخذت

الشموب التي حكموها تشق عصا الطاعة وتعلن العصيان .
وحصل بعضها على الاستقلال كاليونان والصرب والبلغار !

وهكذا، لم تفض ثلاثائة عام أخرى بعد سليمان القانوني
حتى تهاوت الامبراطورية العثمانية مفلسة ، عاجزة ،
عفنة ! . وانتهزت دول الغرب القوية فرصة تفكك هذه
الامبراطورية الشرقية وانحلالها ، فسارعت الى الاجهاز
عليها واقتسام أسلابها ! . فاستولت روسيا على القرم
والقوقاز وطالبت بالقسطنطينية والطريق الى البحر الابيض
عبر الدردنيل ، ووضعت فرنسا يدها على سوريا وتونس ،
واحتلت بريطانيا مصر وقبرص !

وكانت ألمانيا يومئذ في مرحلة التوسع فانحازت الى صف
السلطان العثماني (عهد الحميد الثاني) ضد بقية أوروبا ،
لا رغبة في انقاذ امبراطوريته المنحلة ، بل لكي تستأثر
لنفسها بالنصيب الأكبر من الغنيمة !

وفي سنة ١٨٧٧ قررت روسيا أن تضع حدا لذلك
الترقب ، فأعلنت الحرب وتقدمت جيوشها حتى صارت على
مسيرة عشرة أميال من القسطنطينية . . . وعندئذ حذرتها
بقية دول أوروبا بتحريض من (دزرائيلي) في مؤتمر برلين
من مواصلة الزحف ، وطالبتها بالانسحاب فورا ، بدعوى
وجوب المحافظة على سلامة الامبراطورية العثمانية !

وبعد أربعة أعوام من ذلك التاريخ، وفي مدينة (سالونيك)
- الواقعة عند قمة بحر ايجه - ولد لأب تركي يدعى علي
رضا وأم تركية تدعى زبيدة . . طفل أطلقا عليه اسم -
(مصطفى) . . وكان هو نفسه (مصطفى كمال) أو
(أتاتورك) . . أو (الذئب الصغير) الذي شاء القدر أن
يتم على يديه انقاذ تركيا من التقسيم والفناء !

الفصل الأول

الثائر الصغير

كان (علي رضا) وزوجته (زبيدة) يعيشان - مثل
سواد الشعب التركي في ذلك العهد - معيشة فقر واملاق،
وان استطاعا المحافظة على كرامتهما الشخصية ومكانتهما
المرموقة بين الجيران ! . وكان منزلهما يقع في الحى التركي
من بلدة (سالونيك) عند منتصف الطريق الصاعد الى القلعة
القديمة في أقصى تلك البلدة الصغيرة المعاصرة باليهود ،
وأكثرهم من التجار الذين يتحكمون فيما يرد الى مينائها
من صادرات البلقان

ولم يعرف (علي رضا) بما يميزه من مواهبه الكادحين
في المدينة ، ولم تكن له مبادئ جديدة يؤمن بها ولا آمال
كبيرة في المستقبل يسمى في سبيل تحقيقها . وكل ما عرف
عنه انه انحدر الى البلدة في صباه من جبال البانيا على حدود
الصرب ، ثم عمل كاتباً في (ادارة صندوق الدين العثماني)
بالميناء ، فكان يؤدي عمله - مثل الألوف من موظفي الحكومة
التركية - في غير حماسة ! . ولما كان مرتبه ضئيلا لا يكفي

لسد مطالب حياته فقد اضطر الى استغلال أوقات فراغه في ممارسة التجارة !

ولم يكن الشارع الذي يقع فيه البيت الا «مرا» ضيقا أرضه من الاحجار التي تنثر فيها القدم وسقفه «تكمية» خشبية تتساقط عليها أغصان الكروم، وكان البيت ذاته نصف مهدم ، يميل طابقه الأعلى في زاوية على الطريق . وكانت جميع بيوت الحي التركي ساكنة موحشة، أبوابها ونوافذها مغلقة على الدوام ، لا تبعث منها حركة أو حياة ! وبحين وآخر ترى بعض الصبية يلعبون في الحارة ، أو نفر من الرجال يتكاثرون ويتسكعون أمام المقهى القريب . أو يجلسون فيه يحتسون القهوة أو يدخنون ويتحدثون !

ومن حين الى حين كانت تدلف الى الطريق من أحد المنازل امرأة متشححة من قمة رأسها الى قدميها ، بعباءة سوداء ، وبعد أن تفلق الباب خلفها بعباءة، ترفع ذيل ملابها متخذه منه نقابا يخفي وجهها فلا يظهر منه غير إحدى عينيها ، ثم تتابع سيرها الى نبع الماء وكأنها شبح أسود يسير في وضوح النهار !

أما نوافذ البيت فكانت كلها مغلقة، يحكم العادة السائدة في ذلك العصر - عصر الحريم والمحظيات اللواتي يحرسهن الأنصوات - لا فرق في ذلك بين هذه البيوت التي هي أشبه بالأكواخ ، والقصور الفخمة التي يسكنها الباشوات والأثرياء !

وكانت زبيدة في الثلاثين من عمرها حين ولدت « مصطفى » ، وقد تعودت الحجاب منذ كانت في السابعة . وفيما عدا أهلها وبعض جاراتها لم تكن تتحدث الى مخلوق . كما أنها لم تتلق شيئا من التعليم على الاطلاق ، فبقيت تجهل القراءة والكتابة ، بل تجهل جميع الشؤون العادية التي تجري خارج نطاق بيتها !

لكنها مع ذلك كانت الحاكمة في أسرتها ، بفضل طبيعتها المسيطرة وطبعها الناري الذي سرعان ما يتور اذا استثير ، برغم أنها من أصل ريفي طيب ، انحدرت من أب كان فلاحا بسيطا في جنوب البانيا وأم مقدونية

وكانت طويلة القامة ، قوية البناء ، زرقاء العينين ، كستنائية الشعر ، ذات حيوية تنم عن صحة خارقة ، كما كانت شديدة التدين ، متحسسة لوطنها، ذات نزعة محافظة فكر ثاقب ، وحكم صائب على مختلف الأمور !

وكل امرأة تركية ركزت عنايتها كلها في ابنها الذكر، وكانت قد فقدت قبله طفلا ذكرا آخر عقب ولادته . فلم يبق لها غيره وابنة تكبره بسنوات اسمها « مقبولة » . ومن ثم دلته دون تحفظ ، لكنه لم يستجب لتدليلها الا قليلا ، فقد كان صبيبا صامتا متحفظا ضعيف البنية نحيل الجسم ، ذا عيني زرقاوين شاحبتين وشعر في لون الرمال وكان ينذر أن يبدى أي عاطفة ، ويتقبل تدليل أمه كأم لا بد منه ، ولا فضل لها فيه . بل كان يعصى أوامرها ويأبى في عنف كل عقاب !

كان اكتفاؤه بذاته خارقا للمألوف ، فلم يبد ميلا الى مصادقة زملائه من الصبية الا فيما ندر ، وكان يلعب وحده في أكثر الأحيان !

ولم يلبث أبوه قليلا حتى استقال من وظيفته الحكومية ليتفرغ لتجارة الخشب ، وكان يرغب في أن يخلفه ابنه في احتراف التجارة ، بينما أصرت زبيدة على اعتداده ليكون واعظا وتلقب وجهه نظرها فادخلته مدرسة ملحقة بأحد المساجد لكي يحفظ القرآن ويتلقى مبادئ الدين ، ثم ألحقته بمدرسة أفضل ، يديرها رجل يدعى الشمسي أفندي، فاطهر الصبي تقدما ملموسا في دراسته . ولكن حدث أن توفي والده على رضا بعد قليل تاركا تجارتها ومفلسا وأسرته

معدة .. فاضطرت زبيدة الى اخراج مصطفى من المدرسة لتلجأ به واخته الى بيت أخيها الفلاح في قرية قريبة من سالونيك. وهناك عهد الصبي في تنظيف المظائر واطعام الماشية ورعاية الأغنام .. وبدا أن هذه الحياة راقته له ، واكسبه العمل الشاق والهواء الطلق قوة على قوته وازداد صلابا وعنادا ، على أنه كان كلما تقدم في السن يبدو أكثر تحفظا وميلا الى العزلة ، والاستقلال عن الناس !

وبعد عامين ، حين بلغ مصطفى الحادية عشرة من عمره ، استطاعت أمه أن تقنع شقيقة لها بأن تنفق على تعليمه لنفورها من أن ينشأ راعيا للفحم أو عاملا في حقل .. ومن ثم الحقته من جديد بأحدى مدارس سالونيك . لكن الصبي الذي ألف الحياة الحرة الطلقة لم يطق الخضوع للنظام، فصار مشاغبا متمردا شرسا مع أساتذته ، متعاليا على زملائه في المدرسة . يأبى مشاركتهم في ألعابهم ، ولا يطيق أن يتدخل أحد منهم في أمر من أموره . ومن هنا كثرت مشاجراته معهم ، وضربه أياهم ، إلى أن اشتبك في معركة مع نفر منهم ، فانتزعه مدرسه انتزاعا من وسطهم ، وألقى عليه درسا بيده وعصاه ، فأعماه الفضرب لكرامته وبادر بالفرار من المدرسة .. ثم أبى العودة إليها بأية حال ، كما أبت خالته أن تتحمل زيادة في نفقة تعليمه بمدرسة أخرى ، وكلما حاولت أمه مراجعته في الأمر أبى الا اصرارا على عناده !

واقترح خاله الحاقه بسلك الجندية ، نظرا الى شدة مراسمه وطبيعته التي لا تؤهله للمناورة على تجارة .. واستصوب ارساله الى المدرسة الحربية الابتدائية في سالونيك ، وكانت تحت رعاية السلطان ولا تتقاضى من تلاميذها رسوما ، بينما يتبع برنامجها للتلميذ الناجح فيها أن يرتقى حتى يصبح ضابطا ، أو جاويزا على الأقل !

ورصدت أمه هذا الاقتراح ، لكن الفتى كان قد بت في الأمر وقرر قبول اقتراح خاله في اغتباط شديد، ولا سيما أنه رأى « أحمد » ابن جارهم بعد أن تخرج في تلك المدرسة يختال بسترته العسكرية في زهو الطاموس . وهذا الى أنه لم يكن يميل الى أن يصير واعظا دينيا ، وكانت التجارة في رأيه حرفة لا تليق لفقر اليونان والأرمن واليهود ومن اليهم . أما الأتراك أمثاله فالحرفة التي تليق بهم هي الهندية .. ولا شيء غير الهندية !

ولم يصبر الفتى على تأجيل والدته وخاله تنفيذ الاقتراح مضى الى ضابط مسن متقاعد من أصدقاء والده ، وأقنعه بأن يضمه لدى إدارة المدرسة الحربية .. ثم تقدم لامتحان الالتحاق ونجح فيه فصار طالبا بالمدرسة ، ووضّح أمه وخاله أمام الأمر الواقع !



وفي المدرسة الحربية وجد الفتى مجاله الذي أعدته الطبيعة له ، فنجح في دراسته .. لكنه لم يكن محبوبا من المختطفين به ، فإنه - وقد خلق مرهف الحساسية بفطرتهم - كان يثور ويغضب إذا انتقد أحد أو تحدث اليه في خشونة . ولذلك أثر أن ينطوي على نفسه ، وشغل بالدراسة عن اتخاذ الأصدقاء ، وإن لازمه شوق دائم الى أن يكون ملحوظا في المكانة المرموقة الشخصية من الجميع ، وإن ينظر اليه الناس على أنه ممتاز متفوق على أقرانه ، خارق للطرز الشائع من الشباب !

ولم يكن أحد من زملائه يجرؤ على أن يتدخل في أمر من أموره ، فقد كان الضرب أهون ما يرد به على ذلك التدخل ! وفي بعض الأحيان كان أحد اخوانه يسعى اليه ليدعوه الى

للمدرسة العسكرية الابتدائية وأرسل الى المدرسة العسكرية
المليا في « موناستر » ..

في الكلية الحربية

شوارع موناستر يسودها الضجيج والغبار والذعر
والقلق ، فاليونان احتلت جزيرة كريت ، ولم يسمع تركيا
الا اعلان الحرب عليها ، وهذه هي طواير جيوشها الزاحفة
الى ميدان القتال !

والعهد كله يسوده الاضطراب والمنسازعات ، والحروب
وشائعات الحروب ، بينما الامبراطورية العثمانية في الرمي
الاخير تعالج سكرات الاحتضار ، ودول القرب انشبت
مخالبها في عنق الفريسة العاجزة ووقفت تتبادل فيما بينها
النظرات الشزواء ، وكل منها تتحفظ للنهش والقضم
والابتلاع ! ..

واذهي من ذلك وأمر ، ان الامبراطورية المحتضرة كانت
تمزقها من الداخل ايضا عوامل التذمر والسخط ، فمقايد
الامور فيها ما زالت كلها مركزة في يد السلطان ، مثلما
كانت في القرن السادس عشر ، ولكن شتان ما بين الحالتين ،
فهناك كانت الامبراطورية في أوج قوتها ومجدها . أما
الآن فهي محطمة القوي تتناهبها عوامل الانحلال والفساد
من كل جانب .. فالفر سائد في كل مكان ، والمجزع وعدم
الكفاية يسيران دفة الدولة ، والسخط على كل لسان
وصيحات الشباب تدوى مطالبة باصلاح عاجل حاسم كفيلا
بالانقاذ !

أما السلطان « عبد الحميد » أو الثعلب الأحمر كما كانوا
يسمونه حينذاك ، فيخشى رعاياه بقدر ما يخشى الاجانب ،
ولذلك يقيم كل فكرة جديدة ، ويرفض كل اصلاح ، ويفطى
الامبراطورية كلها بشبكة من الجواسيس ، بحيث لم يكن

مشاركتهم لهوهم ، أو ليساله في أمر من الامور . وهنا
كان يجيب في خشونة وجفاء : « لست أحب ان اصير مثلكم
بل اريد ان اكون ابرز شخصية واكبر أهمية ! »

ونجح في دراسته ، فقد كان ذا ميل خاص الى الرياضيات ،
وجميع العلوم العسكرية .. كما كان بارعا في الطواير
والاستعراضات . وفي عامه الثاني بالمدرسة أعجب بمسماه
الكاتبين مصطفى أحد أساتذته ، فرقاه الى مرتبة « تلميذ
مدرس » وعهد اليه في الاشراف على فصل من الفصول
الصغيرة . وأطلق عليه لقب « كمال » حتى لا يحدث لبس
بسبب تشابه اسميهما ، فصار منذ ذلك التاريخ يعرف
باسم « مصطفى كمال »

واستمر في دراسته ميديا تفوقا كبيرا في الامتحانات ،
وفي تعليم التلاميذ الصغار ، اذ كان شغوفا بالأمر والنهي
والسيطرة . كما أظهر أحيانا قدرا غير قليل من الفيرة ،
نحو كل زميل يحرز نجاحا أكبر منه ، لانه لم يكن يطيق
أن يتقدمه غيره ويأبى الا أن يكون اما الأول في كل ميدان ،
واما ألا يكون شيئا على الاطلاق !

وكما أفادته رعاية الكاتبين مصطفى تقدما في الدراسة ،
كانت وبالا عليه من جهة أخرى ، اذ انضجت شخصيته
وغرائزه قبل الاوان ، فلم يبلغ الرابعة عشرة حتى كان
قد جاوز مرحلة الصبا وفتحت ميوله الجنسية الطائشة ،
فانغمس وهو في هذه السن في مغامرة غرامية مع ابنة
الجيران ، وبينما كان أنداده يلهون ويلعبون ويمرحون ، كان
هو يذرع الطرقات مرتديا أحسن ثيابه ليتطلع الى النساء
المختبئات وراء النوافذ ، أو ليفازل بنات الهوى المتبذلات
في الميئات !

وحين بلغ السابعة عشرة نجح في الامتحان النهائي

ثلاثة يتحدثون في أمر الا كان على مقربة منهم رابع يتولى نقل حديثهم الى ادارة البوليس السرى !! لم تبق حرية مكفولة ولا أمن شخصي لمخلوق ، بل ملا السلطان المسجون برعاياه !

وفي البلقان ، وحول موناكو خاصة ، كان السخط والثورة على أشدهما ، وتار الفتنة والعصيان متاجرة على الدوام ، وكانت الأفكار الجديدة تملأ بلاد العالم الخارجي المتقدم في المدنية والحرية ، فاستوعبها مصطفى كمال جميعها بحماسة الشباب المضطربة فيه !! وكان ككل الباني أو مقدوني يقاوم بفطرته كل سلطان ، وكثيرا ما خلق به خياله التائر فتصور نفسه قائدا لثورة تطيح بالظالمين وتنقذ الوطن وتطهره !

وفي أيام العتلة المدرسية كان يعود الى سالونيك ولكنه كان يتجنب بيت أمه قدر طاقته ، اذ كانت قد تزوجت من تاجر رودسي ميسور الحال ، ولم يرض هو عن ذلك الزواج فصارها برأيه هذا في خشونة ، وقامت بينهما مشادة سرعان ما تحولت الى مشاجرة !! ومنذ ذلك التاريخ أبى مصطفى أن يعترف بزواج أمه ، بل أبى حتى أن يكلمه !! أما أين كان يقضى وقته في سالونيك ففي صسجة بعض الرهبان المقدونيين الذين لقنوه مبادئ اللغة الفرنسية ، ثم مع صديق جديد له هو شاب مقدوني خجول يكبره بقليل ، واسمه فتحي . وكان هذا يتقن الفرنسية ، فصار الاثنان يلتهمان معا كل ما يصل الى أيديهما من كتب فولتير وروسو وغيرهما من كتاب فرنسا الأحرار ، ومن مؤلفات « هوبز » و « جون ستوارت ميل » في الاقتصاد السياسي . وكانت كلها كتباً متنوعة محرمة ، يسجن كل من يضبط متلبسا بقرائها . لكن الخطر ضاعف من استمتاع الشابين بقراءة هذه الكتب !

ثم أخذ مصطفى كمال يمارس الخطابة في زملائه الطلبة ، فيحدثهم عن وطنهم وكيف ينبغي انقاذهم من يران الاجنبي ومن فساد حكم السلطان !! كما أخذ يدبج المقالات الحماسية في معاني الحرية والوطنية ، وينظم الشعر المتهب بغيران المشاعر القومية المتاجرة في صدره ! ومع ذلك كله كان في دراسته في موناكو - كمهده دائما - ناجعا متفوقا تصفه تقارير أساتذته ومراقبيه بأنه « شاب ناب صعب المراس ، يتعز على المرء أن يصادقه » . وأخيرا وقع عليه الاختيار لیسافر في بعثة الى كلية أركان الحرب الكبرى في القسطنطينية ، ورفق الى رتبة « ملازم ثان » قبل أن يرسل الى هناك !



انه الآن في العشرين من عمره ، قوى البنية ، ذو حيوية غير محدودة . ولكن خبرته بالحياة والمجتمع كانت محدودة ، فالبلدتان اللتان عاش فيهما أعوامه السابقة - وهما سالونيك وموناكو - من البلاد الإقليمية الصغيرة نسبيا ، وليس فيهما الا القليل من دور اللهو وأسباب الفجوة ، وهو نفسه لم يكن على شيء من تدبير أمه وإيمانها العميق ، فلما وجد نفسه في العاصمة الصاخبة « القسطنطينية » انغمس لفوره في ملاحمها وحاناتها ومقاهيها وأنديتها الليلية وراح يشرب ويقامر كل ليلة ، ولا يعنيه أن يتأنق في اختيار النساء . فحسبه نظرة أو ضحكة من امرأة ليلتهب دمه ، ويتطلق وراما فلا يرجع الا وقد نال منها ما أراد ! وكلهن عنده تساه لا فرق بين هذه وتلك

على أنه لم يقع في هوى واحدة من هؤلاء أو أولئك ، فهو لم يكن عاطفيا قط . . . وانما كان يتنقل من احداهن الى الاخرى !

وكانت في الكلية جمعية ثورية تعرف باسم « الوطن » ،
 تقيم مناهل سرية وتوزع منشورات خطية تنتقل من يد
 الى يد ، تهاجم فيها كل اوصاف الحياة التركية واحوالها
 الراسخة ، وتخص بالعناء المرير أسس النظام القديم ، وطنيان
 السلطان ، وحجة للحريات وقمعة للأفكار والآراء الحديثة ،
 وعدم كفاية مؤسسه وأعوامه الرسميين .. كما تهاجم
 الوعاظ ورجال الدين الذين يعوقون كل تقدم واصلاح ،
 وتنادي بهم صوامع الدراويش الذين يضللون الشعب ،
 ونحجب العاء القوانين العتيقة الرجعية !

واقسم أعضاء الجمعية معاهدين أنفسهم على المضي في
 مكافحة استبداد السلطان وانشاء حكومة دستورية يحتارها
 برلمان شعبي ، تكون مهمتها تحرير الشعب من رجال الدين
 وتحرير النساء من الحجاب ونظام الحريم ، فلقد كانت « تركيا
 بمثابة المخوقة بيد السلطان وحواشيسه ، وما لم يسمح
 لدم الأفكار الحديثة بالمرور في عروقها فمصرها حتما الى
 الموت » !

واضم مصطفى كمال الى جمعية « الوطن » ، وصار يكتب
 المقالات البارزة والشعر المتهب للشرطة السرية ، ويحط
 في المناظر والمناقشات السياسية في جماسة شديدة .
 وكان مدير الكلية الحربية على علم بأعمال الجمعية ، لكنه
 تجاهلها وغص الطرف عنها .. كذلك علم بأمرها حواسيس
 السلطان وكتبوا تقريرا عن نشاطها رفعوه الى القصر ،
 فانزعج السلطان و عند الحميد ، أيا انزعاج ، ولم يخفف
 من غصه ان كل أفرادها من « الشياطين الذين لم ينصفوا
 بعد » لأن هؤلاء الشياطين هم صباط الجيش وقواده في
 المستقبل .. ومن ثم أصدر السلطان أمره الى « اسماعيل
 حقي باشا » القائد العام للتدريب الحربي ، لكي يقضي على
 « جمعية الوطن » ، ومنه من أقرب سميل . وسرعان ما دعا

وعلى حين فجأة أفاق الشاب الذكي الثائر الطموح لنفسه
 فادا هو يصيب بهذه الحياة ، وادا هو يركز همه كله في
 عمله ، فيمضي فيه منقاد الحماسة والنشاط ، وكانما أدرك
 ان تحقيق أمانيه مرهون بما يبدل في سبيل ذلك من جهود .
 هذا وليس في تركيا ما يحول دون الترقى من الخفيض الى
 القمة ، فليست هناك مدارس محصنة لآبناء الاعتياء ودوى
 الحسب والنسب ، ولا أفصلية في الوظائف والمناصب
 للآبناء بسبب نجاح آباءهم في الحياة أو مولدهم في حلة من
 الارحوان .. وادن ما كان استنساخا للفقراء والملاحين والذي
 يعوق نهوضه وبلوغه العاية التي يشهد بها ، متى توافرت
 له الشخصية القوية والذكاء ، وهما عنده متوافران

ولما كان قد حاز جميع امتحانات المدرسة بتفوق كبير ،
 فقد اختير لدراسة ذات برنامج خاص تابعة لكلية أركان
 الحرب ، ونجح في هذه أيضا بتفوق .. وتخرج في يناير
 سنة ١٩٠٥ ورفق تبعا لذلك الى رتبة اليورباشي !

جمعية « الوطن »

وخلط السياسة بعمله ، ففي مؤاستر كان غلاما ممتازا
 بين الفلمان ، وفي كلية أركان الحرب بالعاصمة كان محاطا
 بضباط شبان احتيروا جميعا بعناية خاصة وكلهم في مثل
 سنه ومستواه . وقد وجدهم جميعا ثوريين . فكل صابط
 شاب كان ثائرا ضد استبداد السلطان المدمر وتدخل الدول
 الأجنبية في شؤون البلاد . كان الشباب هم ورة
 الامبراطورية العثمانية ، وكانت تركتهم مثقلة بالدون ..
 وفي الوقت ذاته كان أساندة الكلية وكثيرون من كبار الصباط
 يطمعون على الطلبة ويشاركونهم مشاعرهم ، لكنهم اكتفوا
 بأن أعصوا أعينهم وسكتوا ، ولم يحرزوا على البروز للعلماء
 أو تزعم الحركة !

حقى ناشا اليه مدير الكلية ، واشتد في لومه وتنبه على تهاونه في معاقبة الفاتمين بأمر الجمعية ، ومنذ ذلك التاريخ مع المدير عقد أى اجتماع داخل أسوار الكلية ، ولكن أعضاء الجمعية وصلوا عقد اجتماعاتهم في الحسارح ، وكما عى المناقشات العلمية والمناظرات الكلامية ليؤكدوا جهودهم في العمل سرا على تقويض دعائم الحكم الاستبدادى .. وهكذا تحولت جمعية « الوطن » الى منظمة من الطبقات السرية التى ازدحمت بها العاصمة التركية فى ذلك الحين !

فى السجن الأحمر

كانت هناك بضعة أسابيع أمام مصطفى كمال بعد تخرجه فى الكلية الى أن يعين فى المنصب الذى يلائمه . وكما حالته المالية أكثر يسرا من حالة أكثر زملائه ، فقد صر فى مقدور أمه بعد زواجها أن ترسل اليه اعمامة شهر منتظمة .. ومن ثم تولى ادارة جمعية « الوطن » ، فاستأجر غرفة فى شارع عبر مطروق كى تكتب فيها وتسبخ المنشورات الثورية . وطمع عقد الاجتماعات فى منازل الأعضاء أحياء وفى الغرف الخلفية بالقاهى أحيانا أخرى ، فكان أفرا الجمعية يتسللون الى مكان الاجتماع خفية وهم يحلبسون النظر الى ما حولهم خشية أن يتتهم أحد الجواسيس !

وأتمعت مصطفى كمال هذه السرية ، والاحاطار التى تكنف الحركة ، فبدأ يدرس أنظمة الجمعيات الثورية وطرق تأليف الخلايا ، واختيار اخلص الأعضاء الجدد ، كما درس الملاكه ، واستعمال الشفرة والرموز والاشعارات وصيغ الاسان المخلطة التى يتبادلها الاعضاء .. الى آخر ما يتصل بالعاية التى يسعون فى سبيلها من قريب أو بعيد

وكان رجال البوليس يراقبون نشاط الجمعية خفية ، لكن يصعبوا اغضامها ، متلبسين ، بالجريمة . ولم يكن ذلك

هسيرا ، فقد كانوا « مبتدئين » قلب حماستهم على حكمتهم . وهكذا استطاع الاندساس بينهم جاسوس لحكومة أحد يوه على الشبان الاغرار حتى كسب ثقتهم ، وفى الوقت المناسب قام - على رأس قوة من رجال البوليس - بمهاجمة مكان الاجتماع أثناء وجود الاعضاء جميعا فيه فسيطروا جميعا متلبسين واعتقلوا ومعهم مصطفى كمال ثم زج بهم فى « السجن الأحمر » باستانبول !

وكان موقفه يدعو الى القلق ، فقد تجمعت لدى البوليس أدلة كثيرة ضده ، ومن ثم عزل عن الباقين فى زنزانة خاصة وبدأ المستقبل مظلما أمامه ، فأقل ما ينتظره اذا اعتراه السلطان « خطرا » أن يبقى فى السجن الأحمر الى ما شاء الله ، وهذا أخطر من بنيه من البلاد ، لان كثيرا من نزلاء هذا السجن قبله احتجزوا من الوجود ولم يخلعوا وراهم أى أثر يدل على مصيرهم الرهيب !

وجاءت على زبيدة وشقيقته مقبولة من صالونيك لزيارته ، لكن السلطات حالت بينهما وبين مقابلة ، فلم تستطعا أكثر من ارسال بعض القود اليه . وانقضت أسابيع وهو حبس فى زنزانة ضيقة قذرة عامرة بالشرارات والتهوام ، لا يفصلها الهواء والنور الا من كوة صغيرة فى أعلى الجدار !

وأثر السجن فى نفسيته أسوأ الأثر ، ففسدا فائرا متوحشا .. ودات يوم ، وبلا مقدمات ، فتحت زنزانه واقتيد منها عبر ميدان وزارة الحربية الى مكتب اسماعيل حقى باشا ، حيث وقف يؤدى النحية العسكرية فى حراسة اثنين من رجال البوليس الحربى . وجلس الباشا يرقبه برهة صامتا ، وكان رجلا من الطراز العتيق ذا لحية ، وثياب لضماضة زاهية ، وحركات بطيئة وقورة . وكان من رجال السلطان المخلصين .. وبعد أن تعرض فى السجن مرحة

ابتدره قائلا : « لقد أظهرت مقدرة فائقة • وأمامك - إذا شئت - مستقبل باهر في خدمة صاحب الجلالة • لكنك بدلا من ذلك قد جلبت العار على نفسك وعلى سميرتك العسكرية ، فعشت مع رفاق من أسوأ الشبان سمعة ، تقامر وتشرب الخمر • وأنكى من ذلك أنك صرت خائفا ، فاعلمت في السياسة والمؤامرات الانقلابية التي يقوم بها حونة يصمرون الشر لولاءك السلطان ، وشجعت رفاقك على أن يخذلوا حذوك »

وقبل أن يبس مصطفى كمال بكلمة يدافع بها عن نفسه ، واصل حفي باشا كلامه فقال : « على أن صاحب الجلالة رأى مع ذلك كله أن يظهر نحوه الرأفة والحلم ، على أساس أنك شاب طائش ، أقرب إلى أن تكون مسبقا إلى ذلك الاحرام بحكم شراستك وعنادك وحماقتك • وعلى هذا سوف نلحقك بأحدى فرق العرسان العسكرية في دمشق • ومستقبلك يتوقف على التقدير التي سوف تلقاها عنك • فيحب عليك أن تكف عن كل هذه السفاهات والحماقات ، وتكرس وقتك وجهك للنهوض بواجباتك العسكرية • • فخذ حذرَكَ واعلم أنه لن تنال لك فرصة أخرى ! »

وفي الليلة ذاتها وضع مصطفى كمال في سفينة متجهة إلى سوريا ، دون أن يسمح له برؤية أمه أو أحد من أصدقائه

في دمشق

بعد رحلة شاقة استمرت ثمانين يوما هبط مصطفى كمال إلى بيروت ، حيث استقل حوادا مضى به عبر حبال لبنان حيث وحد فرقة الجديدة العسكرية هناك متاهة للزحف ضد الثوار الدروز ، الذين يعيشون في الجبال الشاهقة الواقعة إلى الجنوب من دمشق

وأعاد مصطفى كمال من تجربته الأولى هذه في الحمة

العاملة بالجيش ، لكنها كانت مهمة عسيرة شاقة ، فالأقليم يتكون من جبال صخرية متساحلة تقطعها وديان عميقة ، وليس هناك ماء ولا طرقات معبدة • وكان الدروز من الجبلين المتوحشين الذين لم يروصوا ، وهم يعرفون كل شجر من الأرض في بلادهم • • بينما الطواير التركية ظلت أياها تهيم على وجهها عاهرة عن الإعتداء إلى مقر الثوار أو الاشتباك معهم في معركة • فقد كان من ذاب الدروز أن يتجنبوا المارك • وما يكادون يشعرون بخطر يهددهم حتى يفادروا مكان تحمهم مسرعين ، ليتسكروا في كل مكان ، ثم يتصيدوا أعدائهم ليل نهار من وراء قمم الصخور ومسطحات الجبال • • وهكذا كان أقصى ما استطاعه الأتراك أنهم لقوا الدروز درساً قاسياً بحرق قراهم المهجورة وحلولهم العليبة المتواضعة • • فلما فرغوا من ذلك عادوا إلى دمشق ليقصوا فيها فصل الشتاء !

عكف مصطفى كمال بعد عودته مع فرقته لدمشق على إنشاء فرع لجمعية « الوطن » هناك ، ومن هذا يبدو أن الأسابيع التي قضاها في زنزانة السجن الأحمر ، والتهديدات التي وجهها إليه حفي باشا ، لم تضعف عقيدته ضد السلطان أو تحييه سطوة حكومته • • فقد كان بمطهرته قائراً لا يحترم ديناً أو انساناً أو وصفاً من الأوضاع ، ولا يقدر شيئاً على الإطلاق • وكان ما يرال ينتهب بحاسة الشبابة ، لكنه قرر أن يهجر الأدب والشعر والكتابة ، لأنها لا تتفق مع الحركة والاقدام ، وتضعف المزيمة والقدرة على البت في الأمور • • ومن ثم طرح الكتابة والشعر وراء ظهره ، وركز همه في التفصيلات العملية والتنظيم الدقيق للثورة ! • •

ووجد التربة صالحة لبذر الدروز • • والشبان من الصباط

الأتراك في دمشق كانوا كزعمائهم في القسطنطينية ساخطين متذمرين من الحالة ، والكيار مهم يؤيدون الحركة في الحفاء . ويبدلون عظمهم للعائمين بها ١٠٠ وقد وجد مصطفى كمال بين صباط حامية دمشق زميلا قديما من اخوانه في المدرسة الحربية يدعى « معيد لطفي » يشاركة ميوله وحماسه ، فاجده ممينا له ١٠٠ ولدت الحمية نموا سريعا فكثر عدد اعضائها وانتشرت مبادئها في صفوف خشتي الحاميات التركية المتفرقة في أنحاء سوريا ، وهكذا بدأ مصطفى كمال يصنع شخصية ذات أهمية ١٠٠ لكنه تبين بعد قليل ان جهوده لن تؤتي ثمارها الا اذا انصبت كلها على اشغال فتيل الثورة من دمشق ، وقد كان ذلك أمرا عسير التحقيق ، لان ضباط الحامية التركية الصغيرة هم وحدهم المستعدون للثورة ، فأما أهل البلاد السورية أنفسهم فكانوا اقرب الى عرقلة الحركة واحباطها ، اذ تنقصهم الحاسة للفكرة بحكم كونهم اجانب عن النراع !

وفي أثناء ذلك تلقى مصطفى كمال رسالة من بعض اصدقائه في استانبول أكدوا فيها ان البلقان مركزا للثورة هي أصلح مهد للثورة ، واقترحوا أن يسفروا في سبيل نقله الى سالونيك ، لكي يتيسر له استفلال الفرصة هناك - فرأى أن يبحث بنفسه هذا الأمر ويذهب الى سالونيك - فسافر اذنت السلطات المختصة له بذلك أم ١٠٠ وكان قائد حامية « يافا » - ويدعى أحمد بك - صديقا له ، ومن أعضاء جمعية الوطن ، فاتفق معه على خطة رسمها لذلك ، ثم حصل على اجازة لبضعة أيام وسافر الى يافا ١٠٠ وهناك حصل على جواز سفر مزور باسم تاجر سوري ، ثم أبحر متنكرا على سفينة متجهة الى مصر ، ومنها عبر البحر الى أثينا ثم الى سالونيك ، وقد سره أن وجد السخط والذمر ، والجمعيات السرية ، والجو الذي ينفذ بالثورة ، في كل مكان !

وهناك في سالونيك اختبأ في بيت أمه فترة من الوقت واستطاع من طريق أمه وأخته أن يتصل بمصطفى كمال القدامى في كلية أركان الحرب ويبدل المساعي لكي ينقل من دمشق ، بعد أن تبين صحة ما قيل له عن تضخم حركة التفمر في البلقان وتأهب الضباط الثباني للقيام بحركة كبيرة في الوقت المناسب !

على ان أمره انكشف قبل أن يتاح له الوصول الى نتيجة ، اذ عرفه بعض جواسيس السلطان في سالونيك ، وجاءت الاوامر من القسطنطينية بالقاء القبض عليه قورا ، ولكن نائب مدير الولاية في المدينة - ويدعى جمال - كان عضوا في جمعية الوطن بالمعاصرة ، فأرسل اليه خفية نبيا الأمر الصادر باعتقاله ، ونصح له بالفرار من المدينة خلال يومين على الأكثر ، لأنه لن يستطيع تأخير اعتقاله أكثر من هذه الفترة القصيرة !

وبادر مصطفى بالفرار عبر الحدود الى اليونان ، ومن هناك استقل السفينة عائدا الى يافا ١٠٠ لكن أمر القبض عليه كان قد سبقه الى يافا ، وبدا أنه لن ينحو هذه المرة ، ولن يجد في السجى الأحمر راحة ولا رحمة ١٠٠ ولن تتاح له فرصة ثانية للتوبة والتكفير ١٠٠

وعهدت السلطات الى « أحمد بك » في تنفيذ أمر القبض على مصطفى كمال ، فذهب اليه في السفينة لدى وصولها ، ولكن لا يقبض عليه ، بل ليسلمه أوراقه الخاصة وسببته العسكرية ويعاونه على الفرار الى « غزة » ، حيث كانت منطقتها تعاني بعض الاضطرابات ، وكان صديقه الآخر « معيد لطفي » يتولى قيادة الحامية التركية فيها ١٠٠ ثم كتب أحمد بك الى القسطنطينية يطلب مزيدا من الايضاح مؤكدا أن ثمة خطا في ذلك الأمر ، لان مصطفى كمال كان في غزة

هذه شهرة ، ولم يرح سوريا منذ جاء إليها ٠٠! وأيد هذا مفيد لطفي أيضاً ٠٠ وهكذا أقدمه صدقان القديان من شر الاعتقال الجديد وما كان يستطرده بعده من خطر كبير!

وقصى مصطفى كمال العام التالي متجنباً كل نشاط عدائي ، فقد أدرك أنه لو وقع في قبضة السلطان هذه المرة فلن يرى نور النهار بعد ذلك ٠٠ ومن ثم ركز همه في عمله ، فكتب رؤساؤه تقارير يشيدون فيها بكمائه وإخلاصه لواجبه ٠٠ واعتقدت السلطات المختصة في القسطنطينية أن جواسيسها في سالونيك أخطأوا في مراعاتهم عن سفره إلى البلقان ، لأن الدلائل كلها تدل على أن هذا الصابط الشاب قد شفى من حماقته وقاب إلى عقله ١

لكن مصطفى كان قد صبح معه العزم على العودة لسالونيك ٠ إذ عز عليه أن يبقى في سوريا بعيداً من الأحداث الكبرى التي تجري في أرض الوطن ٠٠! وكان يعرف أعضاء جمعية « الوطن » المتبني في كل حامية أو فرقة ، وهي وزارة الحربية نفسها وما يتبعها من إدارات ٠٠ فاستعمل كل فرصة وصرب على كل وتر ، حتى ظهر يأمر نقله إلى سالونيك آخر الأمر ، فهرع على عجل إلى مركز التمرد الذي تختبر فيه موارد الثورة ، وكله تعجز !

في جماعة « الاتحاد والترقي »

كان العمل الجديد لمصطفى كمال بسالونيك ، في فرقة أركان حرب الجيش الثالث ، وهو عمل يقتضيه البقاء فترة من الوقت في المدينة ، ثم السفر للتفتيش في المناطق الأخرى فترة أخرى ٠ وكان زوج أمه قد مات تاركاً لها ميراثاً كبيراً وسط المدينة ٠ وقدرا كافياً من المال ، فأقام بهذا المنزل معها ومع أخته مقبولة

وأتاح له عمله هذا أن يحتجم كثير من الصباط الدين زاملهم في كلية أركان الحرب ، فحاول أن يؤسس معهم فرقة لجمعية « الوطن » لكنه لم يوفق !

وكان يفاجئهم أحياناً وهم منهمكون في الحديث فإذا بهم يسكتون مرثيين كأنما يحسبونه حاسوساً مدسوساً عليهم! وهكذا أيقن أنهم يدبرون أمراً لكنهم يحرصون على كتمانهم هذه ٠ ثم باح له واحد منهم أخيراً بأن مطية ثورية كبيرة ألفت في سالونيك وأطلق عليها اسم « الاتحاد والترقي » ،

وبأن اجتماعاتها تعقد في بيوت بعض اليهود المتدينين للجمعية الإيطالية والجمعيات الماسونية الإيطالية ، إذ أن جمعيتهم هذه تعميمهم - بحكم المعاهدات والامتيازات الإحصائية - من الخصوع لأوامر القصر التي يصدرها السلطان ، ومن تفتيش السوليس لمباركهم ، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة ٠٠ ومن ثم دأب أعضاء « الاتحاد والترقي » على الاحتفاء بحضارة هؤلاء اليهود ، فكانوا يجتمعون في بيوتهم آمين من كل حظر ٠٠! وكان بعضهم - ومن بينهم « فتحي » المقدوني ، صديق مصطفى كمال القديم - فقد انضموا إلى جماعة « الماسون » - البنايين الأحرار - واستمعوا على تأليف جمعيتهم الثورية وتنظيمها ناقضين أساليب المنظمات الماسونية ٠ وصاروا يتلقون الإعانات المالية الوافرة من مختلف الجهات ، ويتصلون اتصالاً متطعناً باللائحة السياسيين البارزين الذين ناهم السلطان إلى خارج البلاد ١

ومضت فترة طويلة راقت جماعة « الاتحاد والترقي » خلالها مصطفى كمال مراقبة خفية دقيقة ، ثم دعتهم إلى الانضمام لصقودها بعد أن وثقت بأمانته وحسن بوابه ! وبدأ الأعضاء العدائي يدربونه على نظم جمعيتهم ، ثم ألق

بأحدى الشعب التي تتألف منها الجمعية . لكنه وجد -
 في جو غير ملائم له ، إذ كانت هذه الشبهة قرعا من منظمة
 «النيهيلست» الدولية التي تصمم اشتقاقا من الناس يتحدثون
 عن اصطهاد روسيا لليهود ، ويتغنون بفصائل النمسا ،
 وأتاحتها لهم فرصا لجميع المال !! وكان أكثر الأعضاء ،
 معتل الصحة ، الولوعين بالأسرار والتحدث بالرموز
 الغامضة ، وأدرك مصطفى أنه قد تورط في الاضطلاع لمنظمة
 دولية سرية هدامة لا يدري ما هدفها على التحقيق . ولم
 يكن يعنيه في شيء أمر الأهداف الدولية أو متاعب اليهود
 أو طقوس الماسونية . وإنما كان كل ما يعنيه أنه تركي
 فحور بتركته ، حريص على انتفاذ تركيا من طغيان السلطان
 وتجاوزة حدود سلطته ، ومن قبضة الأجانب الحاققة ١

ولما كان حديث عهد بالجمعية ، لم يمهّد اليه في شيء ما أكثر
 من تنفيذ أوامر الأعضاء القديما المستترين خلف نقاب
 الطقوس الماسونية المعقدة . في حين كانت طبيعته تميل
 إلى أن يكون هو الأمر الهادي في الجمعية ، أو لا يكون فيها
 على الإطلاق ١

على أنه - أيا كانت مكانته بين الأعضاء - كان أبعد ما
 يكون عن الطاعة العمياء لسواه ، بل كان دائم الانتقاد حاد
 اللسان . وكانت انتقاداته قاطعة بتسارة ، لا تقييم وزنا
 لمجلوق ، وإنما يكفي أن يعارصه أحد حتى يفسد شرسا
 متوحشا ١

وكان يحقنه من حمية ، الاتحاد والترقي ، أنها جمعية
 جمجمة لا طعن ، يكثر فيها القول ويقل العمل . في حين كان
 هو يريد حقائق لا نظريات ، يريد أعمالا تدبر بعناية وتنفذ
 في مريح من الحزم والحذر . ومن ثم لم يظهر أي احترام

لزعماء الجمعية ، بل تشاجر معهم جميعا . مع «أنور» و
 «جمال» و «ياقيد» اليهودي الأصل . و «نياري»
 الألباني المتوحش . و «طلعت» الذب الكبير ، الذي كان
 موظفا صغيرا في مصلحة البريد ١

أولئك كانوا زعماء الجمعية ، وقد عاملهم مصطفى كمال
 جميعا في تعال وخيلاء . كان يكلمهم كما لو كانوا أيتام في
 فصل دراسي وهو أستاذهم . وفي إحدى المناسبات
 تحدث بعضهم في مقهى «جوحو» عن «جمال» باعتباره
 أله وطني عظيم ، فقاطبهم مصطفى ساعرا وألقى عليهم
 محاضرة طويلة عن العطية الحقيقية . وفي الصباح التالي
 التقى بجمال في القطار أثناء ذهابهم جميعا إلى أعمالهم ،
 فصارحه برأيه فيه وكوبه «طالب شهرة» لا أكثر ولا أقل
 . ثم كرر على مسامحة محاضراته عن العطية الحقيقية والعظمة
 المحاطة بالسفاهات ١

وحتى علاقاته بزملائه الضباط كان فيها معتدا بنفسه ،
 دائم السخرية مرير الانتقاد . دون ما دعابة تخفف من مرارة
 كلماته . ولذلك كرهه اخوانه ، وأساء اليهود الطن به
 . وحرس زعماء الجمعية على تركه خارج نطاق الدائرة
 السرية الضيقة التي تدير أعمال المنظمة



وكذلك كان شأنه في البيت ، فلم يكن يقلل أية ملاحظة
 إلا من أمه زبيدة . بل لقد كان معها أيضا كثيرا ما يعتصم
 بجموده وتحمطه إذا أخطأت مرة فخدشت كبرياءه . ولم
 يكن يسمح لها بالتدخل في شؤونها الخاصة ، وقد حدث
 مرة أنه أحضر زملاءه المتأمرين معه إلى المنزل . وفيما هم
 يتباحثون سمع الخدم طرقا من الحديت فقلوه إلى أمه ،

العسل فيها أخذ يقل ويتضاءل ، ولاسيما أن زعماءها
استمروا يدودوه عن دائرتهم الخاصة الصيقة ، ولم يكن
هو الذي يقبل أن يكون مروّسا خاصا لأحد .. فاما
الصدادة واما الانزواء !

وهكذا كان يزداد ميلا الى العزلة والنصت كلما تقدمت
به الايام !

الثورة على السلطان

وأخيرا ، اندلعت الثورة التي كان القوم يحضرون لها .
وكان ذلك فحاة بلا مقدمات ، فقد جمع «ليازي» حمة قليلة
من الرجال ، ثم شرع بتهوره المعروف ، ومن غير أي دراسة
سابقة في الزحف عبر جبال مقدونيا الجنوبية متحديا
الحكومة . وفي الوقت نفسه أصدر «أبور» بيانا أعلن فيه
الثورة ورحب هو الآخر بعلي من الجود في شرق مقدونيا!

لم يكن شيء ممدا أو مضطربا بل أن جمعية الاتحاد والترقي
ذاتها لم يكن فيها أكثر من ثلاثمائة عضو عامل . وما كان
أحد يعرف شعور الجود أنفسهم وميولهم ..! اما مصطفى
كمال فقد اعتصم بالهدوء واستمر يؤدي واجباته العسكرية
. فهو لم يكن من الحق بحيث يقامر بالاشتراك في مغامرة
جنوبية مرتجلة كهذه ، كان يرى أن اقدام على خطوة من
هذا القبيل لابد أن تسبقه دراسة دقيقة حذرة ، وأن تعد
العدة الكافية لكل احتمال

لكن «المغامرة الجنوبية» نجت خيلا لما كان يعتقد
مصطفى كمال . وكان تاريخ الأشهر العنبلة التي تلت شروع
ليازي وأبور فيها أشبه بحلم عجيب غريب . فالتواو الدين
اشتركوا في الزحف لم يكن عدهم يزيد على بضع مئات ،
وقد تفرقوا في الحبال بلا أمل في معونة أو مدد ، ولكن
القوات التي أرسلت للقضاء عليهم سرعان ما انحازت الى

وتسللت هي الى باب الحجره حيث اصغت الى ما يدور في
داخلها .! فلما انصرف القوم خلت اليه واشتدت في
معارضه ما يدبرون . ولم يستطع مصطفى اقناعها ، إذ كانت
من الجيل القديم لا تؤمن بفكر العقائد والمبادئ التي رسخت
في ذهنها . وهكذا حمى وطيس الجدل بينهما ، لكن ريبة
كانت من الحكمة بحيث قبلت أن تساعد ابنتها في مشروعاته
فقد كان رب البيت ، ويعرف من أمور الدنيا التي لمسها في
حياته العملية أكثر مما تعرف . وقد يكون الحق في جانبه
برغم ثقته بغير ذلك . ثم انها كانت تحشى أن يترك البيت
فأصطرت الى مساعدته راعية . وإن لم تكف عن الشكوى
والتمرد من تهوره . وعن تحديده في كل مناسبة عاقبة
التأمر ضد السلطان ورجال الدين !

ووقع ما خشيته زبيدة .. فقد ضاق مصطفى بلجاجتها
وبقيود الحياة البنيية ، وثرثرة النساء .. فاستأجر لنفسه
غرفة في الخارج مؤثرا أن يظل سيد نفسه ، واكتفى بالتردد
عليها بين الحين والآخر

وكان خلال النهار يؤدي واجباته العسكرية بنشاط وحمية
خارقين .. ثم يقضى أكثر لياليه في المقاهي ، حيث يأكل
ويجتمع بزملائه المتأمرين - في حجرة حليقة من مقهى
«جنوحنو» .. أو في بيت أحد الإصدقاء ، بعد احكام اغلاق
السوافد والابواب في وجه عيون البوليس وجواسيس
السلطان .! وهناك ، بين كؤوس الطلاب ودخان السجائر ،
وعلى صوء شمعة أو مصباح بترول . كان المتأمرين يسهرون
حتى ساعة متأخرة من الليل ، يتناقشون ويدبرون أمر
الثورة المقبلة ..!

وحرص مصطفى كمال مع حضوره هذه الاجتماعات ، على
عصويته في جماعة «الاتحاد والترقي» ، على أن يصيبه من

واشتركوا في الاشراف على جمعية « الاتحاد والترقي » ثم هرعوا الى القسطنطينية ينشدون الظفر بنصيب من الغنيمة ويتآمرون للاستئثار بالحكم !

وفي أثناء ذلك عاد نيازى الى ألمانيا فما لبث قليلا حتى اغتيل هناك ، وعين أنور ملحقا حربيا بسمارة تركيا في برلين ، أما مصطفى كمال فارسل في مهمة الى أفريقيا الشمالية ليكتب تقريرا عن حامية طرابلس . وعم الاضطراب كل شيء ، واستعملت الدول الأجنبية الفرصة فاحتالت المسما منطقة « الوسوسة والهرسك » ، وضمت اليونان اليها جزيرة كريت ، وأعلنت بلغاريا استقلالها التام بمعاونة روسيا ، وقامت الثورات في البانيا ، وفي بلاد العرب !

ووسط هذا الارتباك كله نشط أعوان السلطان للعمل ، فرشوا بالمال حوادث القسطنطينية ، وأرسلوا الوعاظ ورجال الدين ليحدثوا الناس من الحكام الجدد ويتهمونهم بالاحقاد واعتناق المبادئ النارية الهدامة ، كما يتهمونهم بأنهم يهود وماسونيون ، وليسوا أتراكا ولا مسلمين ، وكل ما يهدفون اليه هو القضاء على الاسلام والحلابة !

وكانت النتيجة أن تمرد جنود القسطنطينية فقتلوا ضباطهم أو سجنوهم ، وأعلنوا ولائهم لدين الاسلام وللسلطان ظل الله في الارض وخليفة الرسول العظيم ، ثم استولوا على القسطنطينية وطردوا منها أعضاء « الاتحاد والترقي » أجمعين !

ولما أعصاء الجمعية الى الجيش المعسكر في مقدونيا يلتصمون منه العون حتى لا يعود عبد الحميد وربانيته الى استبدادهم وطفاهم !

وكان القائد الاعلى لقوات مقدونيا عربيا من المقربين لدى

جانبيهم فرقة بعد فرقة ، وكان الجنود قد أهملوا سنوات ، ولم تدفع اليهم مرتباتهم بانتظام ، وأعجب من ذلك أن القوات التي أرسلت بعد ذلك من داخل تركيا انضمت هي الاخرى الى الثوار ، وهكذا وجد أعضاء الجمعية أنفسهم أمام قصر ميين جاوز كل ما كان في حساباتهم ، وبدأ جبروت السلطان يصحل ويتدد نفوذه كأوراق الشجر في الحريف حين تذرؤها الرياح !

وسارع « ثعلب استانبول » الماكر المحوز - السلطان عبد الحميد - الى اتخاذ قرارات عاجلة لابعاد الموقف ، فأعلن تأليب حكومة دستورية ، ولام مستشاريه على أخطاء الماضي ومطاله ، ثم ألغى الحاسوسية ، وأعلن ترشيحه باستقبال زعماء الثوار ، فعاد نيازى وأنور على رأس قواتهما الى سالونيك ، واستقبلتهم هناك جموع حاشدة متحمسة من اليونانيين والأتراك ، وأطمان الجميع الى أن عهد الارهاب قد زال !

وكان بين المستقلين مصطفى كمال وغيره من أعضاء الجمعية الذين لم يصطلحوا نأى دور ايجابي في الثورة . وأعلن وأنوره دستور الحكم الجديد من شرفة فندق « أولمب » بالاس ، الواقع في الميدان الرئيسي بسالونيك . وفي غمار الصباط الذين اضططعوا حلته وقب مصطفى كمال يدير عيبه في تلك الجموع ، ولا يكاد أحد يعرفه سوى أفراد قليلين يعتبرونه أحد الاعضاء الصغار الذين لا وزن لهم في الجمعية !

وفي الايام التالية تدفقت على المدينة جموع من المثنيين السياسيين الذين أبدعهم « عبد الحميد » منذ عشرين سنة . وبنيهم الأمراء ، ورؤساء الوزارات والوزراء السابقون ، وغيرهم ، وانضم أكثرهم الى الصباط الثيبان الشائرين ،

القلائين الى منصب قائد أركان الحرب بجيش المقدوني الثالث

وفي سنة ١٩١٠ عين ملحقا بقيادة الجنرال علي رضا في البعثة العسكرية التي أرسلت الى فرنسا . فمكث بضعة أيام في باريس ، ثم توجه الى فيكاردي ، حيث كانت تجري المناورات العسكرية السنوية . وكتب الجنرال علي رضا تقريرا عنه قال فيه : « انه أظهر كفاءة ملحوظة وحسن تقدير للأمر ، وكان صابغا مقدما بعيد النظر » . ولما هاد بعد ذلك الى سالونيك عين مشرفا على مدرسة الضباط بها ، فأعاد تنظيم المدرسة بما شهد له بالكفاءة العظيمة ، لكنه لم يكن راضيا أو قاعدا بهذا المنصب ، لأنه برغم ميوله العسكرية كان دائم الحنين الى السياسة

لم تكن الثورة قد أصلحت من الأمور شيئا ، وقد تولى مقاليد الحكم في البلاد رملاؤه القدامى الذين عرفهم في سالونيك - أبور ، وطلعت ، وجمال . لكن مصطفى كان يحترقهم جميعا ، ويعدمهم تأمهي لا يصلحون حكاما .

وقد حاصر بأرائه هذه في مدرسة الضباط ، وفي الاجتماعات المختلفة . وصرح بأن الدول الكبرى ترداد شراة وطعنا في حيرات البلاد ، فمالانيا تضيق الحناق على تركيا ، وماليوها يتعاون كل يوم لـ «صهم حقوقا وامتيازات جديدة ، وقد ظفروا بامتياز السيطرة على سكة حديد بغداد ، إذ باعه اليهم الوزير اليهودي الحائن « يافيد » ، عصفو الاتحاد والترقي القديم الذي صار وزيرا لمالية تركيا ! . وهؤلاء هم كبار الدبلوماسيين الاثانيين ينشطون في القسطنطينية لبث دعايتهم وتحقيق مصالحهم . أما في الداخل فكل شيء ما زال على فساده الاول في عهد عبد الحميد ، والامر أخذ يحاق الشعب ، والسخط شامل عام في جميع الطبقات ولاسيما صفوف الجيش ! . ثم يحتم

السلطان عبد الحميد ، وهو محمود شوكت باشا ، وكان طويل القامة نحيلها ، شاحب الوجه كالوتي ، فأحدثه الخيرة برغم براعته في مه العسكرية ، ولم يدر ماذا يفعل ازاء هذه المشككة ! . وأخيرا عمل بمشورة بعض ضباط أركان حربه ومهم مصطفى كمال الذي كان قد عاد مسرعا من طرابلس ، فأصدر أمره برحف جيشي مقدونيا الثاني والثالث نحو القسطنطينية ، وأسند الى مصطفى كمال قيادة أركان الحرب ، بينما تولى أنور قيادة إحدى فرق الفرسان ، وكان قد عاد في برلين حين سمع بالأحداث الأخيرة

وأحمد الجيش المهاجم تلك الثورة المضادة ، وخلع السلطان عبد الحميد وسجحه في « فيلا » بدينية سالونيك ، ثم عهد في حراسته الى « فتحي » المقدوني وولى مكانه على العرش ابي عمه الكسيس ، وأعاد مقاليد الحكم الى اللجنة العليا لجمعية الاتحاد والترقي . وكان أنور أبور أعضاء الجمعية هذا لأطار الساس بطلا شعبيا ، وأعانه على الظهور ذكائه وحماسته وجرائه وجبه للإعلان والدعاية . في حين كان مصطفى كمال لأدعا سحارا متحفظا ، فثقي في الظل . معجولا من الجماهير ، غير محبوب من القادة . وكان رأى اللجنة فيه أنه صابط كفو لكنه بغيض لا يكف عن استفاد الجميع وعصيان الأوامر . ومن ثم دفعوه الى المؤخرة وأعادوه الى عمله العسكري الذي أسند اليه من قبل !

بعد الثورة

عاد مصطفى كمال الى عمله العسكري مشتمل النشاط إذ كان عسكريا بظفرته . وأخذ يبذل مجهودا شاقا في تنظيم الطواير والقاء المحاضرات ، ودرس التاريخ الحربي لحملات نابليون و « مولتكة » قائد الاما . فلم يمض وقت طويل حتى أحرر ترقيات عدة متتالية أوصلته - وهو دون

مصطفى كمال حديثه الصريح الحريء مؤكداً ألا بد من تطهير
عاجل شامل !

وهكذا أخذ اسم مصطفى كمال وكمايته في الدبوع
والانتشار ، وكان بين الضباط عدد كبير من السباحين
المقاصين لأحداث القلاقل ، فبدأوا يصنفون إلى أحاديته هذه ،
وينظرون إليه في أكنار ، ويلتفتون حوله معجبين مؤملين !

وامتدح أن صار مرموق المكان بارز الشخصية محترماً
في الجميع ، فتغير مسلكه وصار أكثر تطلعا مع الملتزمين حوله
وأكثر شعبية ٠٠! ونقلت أخباره مسامع محمود شوكت
باشا - وكان قد أصبح وزيراً للحربية - فأدرك خطره على
منطقة البلقان التي يمارس فيها نشاطه ، ونقله من مدرسة
الضباط إلى مصعب قائد فرقة المشاة الثامنة والثلاثين في
سالونيك ٠٠! لكن ذلك لم يغير من الأمر شيئاً ، فمارس
مصطفى نشاطه في بيئته الجديدة ، وكان في الوقت نفسه
يؤدي واجباته العسكرية على الوجه الأكمل ، فأرداد عدد
الضباط الملتزمين حوله ، وبدأ يدبر خطة أكثر وضوحاً
وتحديداً ، للقيام بحركة معارضة لقلب نظام الحكم ٠! ومرة
أخرى عاد يقضي أمسياته في الاحتشاعات السرية وراء
الأبواب المغلقة ٠٠ لكنه في هذه المرة كان العقل المسيطر ،
وكان خصومه هم رجال الثورة القدامى الذين أصبحوا
حكماً ٠٠!

وكانت خطته ترمي إلى تأليف حكومة وطنية صالحة
رابعا كل نفوذ للأحزاب ، وقد اتخذ خطته الجديدة هذه
شعاراً هو : تركيا للأتراك !

وأنشأ رجال الحكومة رؤسائهم أن مصطفى بات رجلاً
خطراً ٠٠! فطالبت اللجنة بمحاكمته ، وأد ذلك دعاه محمود
شوكت باشا ووجه إليه تهمة تخريض الجنود على الثورة



١١ زينة ١١ والدة مصطفى كمال

صد الحكومة ! لكنه لم يجد دليلا كافيا يمرر القبض عليه ،
فاكتمى بأفعائه من منصبه وانتدبه للعمل في ديوان الوزارة
بالقسطنطينية !

وكان عسيرا أن يجد المستولون وسيلة الى التخلص من
خطر مصطفى كمال ؛ فالتحذير والتهديد لا يجديان شيئا
عنه لانه لا يعرف الخوف . ولم تكن هناك تهمة محددة يمكن
اثباتها عليه ، فقد كان حذرا شديد الحرص ! لكنه في
الخاصة سوف يكون بعيدا على الأقل من مركز القلاقل في
البلقان ، وبعيدا من أصدقائه وأتباعه . كما يتيسر مرادفه
فيها !

وفي تلك الفترة - اكتوبر سنة ١٩١١ - عملت ايطاليا
فجأة بلا ائذار أو مقدمات ، الى ازال حملة من قواتها في
مينا طرابلس بشمال أفريقيا ، فاستولت على المدينة ،
وشغلتها من الساحل . وكانت طرابلس وقتئذ تابعة لتركيا
وعند ذاك طرح مصطفى كمال السياسة جانباً ، وهدد
لاحت له مهمة تليق بالرجال أمثاله - انه ينبغي أن يهرع الى
طرابلس ليقاتل الايطاليين !

الفصل الثاني

في طرابلس

لم يكن يصل بين تركيا وشمال أفريقيا غير الطريق
البري الطويل الذي يحترق سوريا ومصر ، فقد كان
الايطاليون يسيطرون على البحر ويطلقون الدردنيل . وكان
الاسطول التركي مؤلما من بارحتين وضمة طرادات حربية .
لكن مراحلها كانت صعبة وبجارتها قد احتتموا ، فتركزت
مهجورة راقدة في الوحل في خليج « القرن الذهبي » .
وهكذا كان مستجيلا ارسال قوات نظامية لسجدة طرابلس ،
وصار لزاما على الصفاط الراغبين في التطوع للقتال دوا
هنا أن يبحث كل منهم عن الوسيلة الكفيلة بوصوله الى
الميدان ، وكان أكثر الصفاط الشبان راعين في ذلك التطوع .
وقد سارع « أبو » الى الذهاب الى هناك ، ثم لحق به « فتحي »
الذي كان قد عين ملحقا حربيا في باريس ، مستقلا سميعة
صيد فرنسية نقلته من مرسيليا الى تونس !

أما مصطفى كمال فقد سلك الطريق البري ، يصحبه
الان من أصدقائه ، فمروا آسيا الصغرى الى سوريا
فلسطين فمصر ، اما بالقطار واما بالركبات أو على ظهور

الجياد ١٠ على أنهم ما كادوا يصلون الى الاسكندرية حتى وجدوا أن اسطولهم قد أغلقت حياض مصر وأغلقت حدودها في وجه المحاربين من الفريقين !

وثار مصطفى كمال واستبد به العيب ، فقد كان يعتبر مصيرنا بركة لتركيا ، فكيف يجرؤ الاسطول على اغلاق حدودها في وجه الاتراك الداهيين لمساعدة اتراك مثلهم في ارض تركية ١٢ . ولكن لم يكن هناك ما يمكن عمله . فانسرق الرفاق الثلاثة ، على أن يتحدد كل منهم الطريق الذي يختاره للوصول الى غايته !

وتكرر مصطفى كمال في زى عري ، واستقل القطار الجديد المتجه الى العرب . لكنه أوقف عند الحدود بين مصر وطرابلس ، ولم يكن يعرف من العربية الا العاطا قليلة ، كما أن ورقة عينيه ولون شعره كانا يمان عن أصله التركي . وكان صابط الحدود المصري قد تلقى من القائد الاسطليزي لمصلحة الاسكندرية اوصاف مصطفى كمال ، مشفوعة بأمر صريح بأعادته محفورا من حيث أتى . لكن هذا الضابط كان يطوى قلبه على الكراهية للانجليز والاطاليين ، ويمالئ الاتراك بواطنه ، فاعتقل مسافرا آخر ذا عينين زرقاوين . وترك مصطفى كمال يواصل رحلته على بركة الله !

واتجه مصطفى رأسا الى القيادة التركية ، في عين المنصور ، على بعد خمسة عشر ميلا من ميناء « درنة » . فاستقبل بالترحيب ، ولأسيما أن القيادة هناك كانت تعاني نقصا في الضباط وأنه كان ذا خبرة بالاقليم وأهليه منذ طاف بالبلاد في العام الأسبق . وهكذا رقى من قوره الى رتبة بكباشي وأسندت اليه القيادة في المنطقة المواجهة لدرنة وحمل مقر قيادته في عين المنصور ، حيث يقم « أنور » ، القائد العام للنصبة كلها !

وكان الايطاليون - بمعاونة أسطولهم - قد احتلوا جميع

البلاد الواقعة على طول الساحل ، لكنهم عجزوا عن التقدم في الداخل ، حيث واجههم الاتراك ومن خلفهم شعوب شمال افريقيا كلها التي امتشقت السلاح وأعلنت « الجهاد » أو الحرب المقدسة . وحمل الوعاظ يثرون حمية الاطالي بالضرب على نعمة الدين ، فتدفقت القبائل من ليبيا ومن واحة الكفرة لصرة الاتراك اخوانهم في الدين . وأعلن السيد السوسي أن « أنور » ، ممثل عظمة السلطان خليفة المسلمين ، ومضى يزوده بالمحاربين . فضلا عن المتطوعين الذين جاؤوا من كل حطب وصوب !

وعرف أنور كيف يستخدم الجميع ، وأقام لنفسه خيمة عظيمة قرشت بالسجاد وغطت جدرانها بالجوح والاصواف المزركشة ، وفيها كان يستقبل المشايخ ورؤساء القبائل ويستمع الى آرائهم . ونظم المحاربين تحت امرته الى جماعات تقيم كل جماعة منها في أربعين خيمة ، خصصت لكل منها امرأة تسهر على راحة قاطبيها وتمد طعامهم . ويشرف على كل جماعة ثلاثة من الضباط الاتراك . وكان يسخر في دفع أجور المحاربين والطعامهم ، وإرسال الهدايا والعطايا الى أراذل الدين يستشهدون منهم . وهكذا مضى في صبر ومتابعة ونشاط يلهب حماسهم للقتال ، حتى استطاع أن يرد الايطاليين الى الشاطئ !

وكان مصطفى كمال على صلة مستمرة بأنور ، وكان يكبره بعام واحد في السن ، وإن عد مرؤسا له . ولم يستطع الاثنان أن يتفقا في رأى ، بل كانا دائما على خلاف . كان كلاهما أيا سريعا العصب قوى الإرادة بحكم ما يجرى في هروله من الدم الاثباتي . كما كان كل منهما لا يقبل نقدا أو معارضة ولا يعرف الخوف من الاحطار !

وبينما كان أنور يتحسس للمشروعات الصخنة والمخطط المجردة من غير أن يعبا بالتفصيلات أو الحقائق والارقام .

مهادنة إيطاليا كى توحه جهودها الى الحرب المتاحمة ..
وأرسلت تعليمات الى طرابلس تقضى بسحب قواتها الى مصر
وأعلان استقلال طرابلس ، وعودة الصياط الاتراك دورا الى
وطنهم .. لأن العدو على الابواب يهدده بخطر الصاء !

استرداد « أدنة »

هرع مصطفى كمال عائدا الى وطنه، عابرا البحر الابيض
الى فرنسا ومنها الى النمسا ورومانيا والبحر الاسود فتركيا
.. وفى كل دولة من هذه الدول كانت تعوقه بعض العقبات،
بحيث لم يصل الى القسطنطينية الا فى الاسبوع الاول من
ديسمبر . وهناك وجد كل شيء فى العاصمة مضطربا :
للمجنوش التركية قد هزمت فى كل الجهات ، وقوات الصرب
ظهرت صربتها بدورها من الجنوب فاحتلت سالونيك وأسرت
خمسة وعشرين الفا من الاتراك .. والبلفار جعلوا وجهتهم
القسطنطينية وراحوا يدقون المخطوط المحصنة فى « شطنجة »
التي لا تبعد سوى خمسة عشر ميلا عن العاصمة ! ..
وهكذا اكتسحت المجنوش المهاجمة تركيا الاوربية جميعها
فلم يبق منها غير بضعة الاميال المحيطة بالعاصمة وقلعة
« أدنة » الكبيرة التى عزلت وحاصرها البلفار حصارا
شديدا !

ووسط هذه الظلمة المذللة والدمار الشامل لم يلمع
غير ضوء واحد هائل .. كان القائد المحرر الشاب « رؤوف »
لقد فر بالطراد القديم « الحميدية » فاحترق الحصار عند فم
الدوديل وراح يشن الغارات به فى بحر ايجة فيظهر محاة
ليدمر ميناء أو يفرق ناقلة ، حتى أمسى بطلا وطنيا .. لكن
بطولته لم يكن لها أثر يذكر وسط الهزيمة العامة الشاملة
التي حاقت بتركيا !

وإردحت العاصمة بالجرحى ، فقصت بهم المستشفيات

كان مصطفى كمال على نقیضة ذلك شديد الحذر لا يجرى
وراء الاحلام العريضة وانما يسعى الى أهدافه المحدودة بعد
أن يضمن فيها النظر طويلا ويعلمها على شتى وجوها .. ولم
يكن يميل الى استمالة العرب أو الاحاب بل كان معسدا
بتركیته الى حد احتقار كل ما عندها !

والواقع أنه كره أنور منذ عرفه فى سالونيك ، لكنه
الآن صار يكره له ارداء شديدا ومقتا هائلا ، لم يحاول
حتى أن ينجيهما . وكان يشوب ارداءه شيء من العرة
لاعتباره مرؤسا له مع أنه يكرهه سنا وخيرة .. ومن ثم
صار ينفس على أنور سلطانه ومكانته العريضة ومظاهر
أنه منصبه التى تحيط به فى حينه العائرة .. فأخذ
يكثر من انتقاد كل حطة لأنور ، ونسفيه كل مشروع له
بأسلوبه الساحر وتهكمه اللاذع !

وبمرور الأيام ازداد سوء العلاقات بينهما . وصار القتال
سلسلة مرهقة من الهجمات فى اقليم صغرى تتسلط عليه
حرارة الشمس المحرقة التى تستمد صبر أقوى الناس
احتمالا وأعظمهم حلما .. فبات العربان يتشاجران علما،
وعينا حاول « فتحى » أن يوفق بينهما . فانتهى الأمر بأن
لاذ مصطفى بضيخته الصغيرة ، التى كان يعيش فيها معيشة
بسيطة خشنة مثل معيشة جنوده .. وصار يأبى المشاركة
فى شروب اللهو والتسلية أو حضور المناسبات التى يبدو
فيها فى صورة التابع المفقور وسط « حاشية » أنور !

وبعد انقضاء عام على بدء القتال ، كانت النتيجة لا تكاد
تذكر، فقد انزل الايطاليون هجمات كبيرة ، ودعموا مراكزهم
على الساحل ، وان لم يستطيعوا التقدم الى الداخل !

وحدث بعد هذا أن أعلنت حكومة « الجبل الاسود » الحرب،
فاذا بدول البلقان المسيحية سجد كلها ، لأول مرة فى
تاريخها ضد تركيا . وإذا بالحكومة التركية تسارع الى

والكنائس والجوامع والدور الخاصة .. وأصبح الاقليم المحيط بها حاشدا بمسكرات اللاحثين . وانهار نظام النسيون .. ومات الالوف بالكوليرا والتيفوس ، والوف غيرهم من الخوع والبرد .. وفي ظل ذلك استمر الساسة يتنازعون من أجل السلطان والعرش ، بحيث لم توجد حكومة وطيدة الدعائم لتسيطر على الحالة !

وراح مصطفى يتسقط في ازعاج ابهاء أسرته ، بعد استيلاء الأعداء على سالونيك ، فقال له اللاجنون الذين قدموا منها ان المدينة قد آحلت غيلة وعدرا .. وان اليونانيين قتلوا كل المديين الاتراك الذين صادفهم ، وساد المدينة السلب والنهب !

على ان مصطفى كمال عثر اخيرا على امه زبيدة واخته مقبولة في احد مسكرات اللاحثين ، فعلمها الى غرفة اعدها لذلك على الفور وكانت زبيدة قد حاوزت الستين ، وانملتها السنون وأظلم بصرها ، وقد عانت وابستها ويلات الجوع والبرد خلال العرا من سالونيك . فلم تكذ تلقى ابنها حتى استخفها المرح ولم تصدق عينيها ، لكنها حين استنقر بها المقام صارت تناؤه وتدب اقرباءها الذين قتلهم اليونانيون في سالونيك ، وبستها الذي صاع ، ومتاعها الذي فقد ، وبلدتها التي صارت موطن لعمال الأعداء !

ولم يكذ مصطفى يكمل الراحة لأمه واخته حتى توجه الى الادارة الحربية مقدما نفسه لها .. فعين على الفور قائدا لعرقة في شمس جزيرة عاليبولي كانت تدافع عن خط التحصينات الاخير ضد غزو البلقار للدرديل وقتحهم الطريق الى تركيا الاسيوية لقطع كل اتصال بالعاصمة ! وما وصل الى مقر قيادته حتى بدأ البلغار بحومهم العام ، بقيادة الجبرال سافا سافوف . وكانت تحصينات الاتراك لا تبرد على شغلها خط دفاعي يسي قبيل خمسين عاما بواسطة

المهندسين الانجليز أثناء حرب القرم ، فكان المتوقع ألا تصمد طويلا أمام هجوم السعار الموصل ، ولكن العرقة التركية بقيادة مصطفى كمال استماتت في القتال والدفاع من هذا المعتل الاحير . وفيما هي كذلك عقدت الهدنة في جميع الجهات .. ثم تطورت الأحداث بسرعة فائقة ، فدمت الدول الكبرى الى مؤتمر صلح ، طالبت دول البلقان فيه بان تسلم اليها فوراً تركيا الاوربية كلها - عدا القسطنطينية - كي تقسمها فيما بينها . وأصر البلغار على تسليم ادرنة ، بغير ابطاء !

وهنا انقسم الاتراك على انفسهم ، واختلعت آراء قادتهم .. فرأى بعضهم وعلى رأسهم رئيس الوزارة ان تقبل تركيا الصلح بأي ثمن .. بينما أصر آخرون وفي مقدمتهم الصباط القبان على مواصلة القتال ورفض التسليم بهذه الشروط المزرية !

واشتد الشد والجذب بين العريقين ، وتعددت المؤامرات السياسية ، وعمت العوصى ونشبت الثورات الصغيرة هنا وهناك !

وفي وسط هذا الاصطراب الشامل عاد أنور من طرابلس . ولم يشأ أن يصيح وقتا ، ندعا أعضاء الاتحاد والترقي الى الاجتماع ، وحشد الصباط الشبان حوله ، ثم زحف واباهم نحو مقره الباب العالي ، واقتحم المكان أثناء انقطاع مجلس الوزراء ، فلما حاول «ناظم» وزير الحربية أن يعترض مسيله أطلق أنور عليه رصاصة من مسدسه فقتله . ثم طرد بقية الوزراء من المكان واحذ مكانهم ، وبمه زملاؤه جمال ، وطلعت ، ومحمود شوكت باشا ، وولى الاخير رئيسا للوزارة !

ولم يترك أنور لحصومه أية فرصة لاصعاف الحركة ، فلما هاضمه بعض الساسة سارع الى شمعهم ! .. كما سارع الى

اخماد الثورات ، ورفض أن يقبل شروط الدول البلقانية لعقد الصلح . . .

ولكن كان لا بد من اتخاذ أدوة من البلقانيين الذين يحاصرونها ، مدبر أمور خطة واسعة النطاق للولوج هذه العاية . وعقد اجتماعا حربيا على ظهر إحدى السوارج للتشاور في الأمر ، كان مصطفى كمال أحد الذين حضروه ، فانتقد الخطة انتقادا بئرا ، خلاصه أن الخطة في ذاتها سليمة لكن تنفيذها لم تدرس دراسة كافية ولا يمكن تحقيقها !

وضايق النقد أنور ، وكان هو الرئيس صاحب النفوذ الأعلى والقول الفصل . . فطلب من مصطفى كمال أن يعد ما يكلف القيام به من أدوات الخطة دون مناقشة . . . وبعدت الخطة فعلا كما رسمها أنور ، فقامت فرقتان بالهجوم على العدو في فجر 8 فبراير ، وكان مصطفى كمال بين قوادهم . . وتقدمت القوات التركية بضعة أميال ، ثم أوقفها الضباب الكثيف . . فرحب البلقان حول الخناج الأيسر للأرناؤ وفتحوا أبواب البران . . فانهزمت إحدى الفرقتين وولت الأعداء ، بينما انسحبت الفرقة الأخرى - وهي التي كان يقودها مصطفى كمال - بعد أن بلغت خسائرها خمسين في المائة أو يزيد . . أما الجيش المباشر الذي اقتضت الخطة أن يرسل إلى البر في إحدى المناطق ، بعد نقله بالسفن ، فقد اضطره السعار إلى العودة من حيث أتى بعد أن تكبد خسارة بلغت ستة آلاف من جنوده وصباطه !

وهكذا فشلت خطة أنور فشلا كاملا . . ولم يمض شهر حتى سقطت أدرنة ، واضطرت حكومة أنور إلى التوقيع على اتفاق الهدنة مع العدو بالشروط الأولى نفسها ، التي أحدث اعلانها وأسأل الدماء وطمش بمعارضيه احتجاجا عليها !

أما مصطفى كمال فعاد للقسطنطينية ، وقد حرمت تركيا ورددت جريحة تلحق بجراحها . . بينما راح أعداؤها

يقنفسون في اقتسام الفوائد والأسلاب التي انتزعت منها . وصرعان ما دب بينهم النزاع فهاجمت بلغاريا حليفها اليونان والصرب ، لكنها حرمت وتراجعت إلى حدودها . . وهكذا سى المستصرون عدوتهم تركيا وأمسك بمعضهم برقاب بعض

وانتهز أنور الفرصة فعمد - في حارة متقطعة الظير ، ودون إعلان حرب - إلى تسير كل ما تيسر له من قوات نحو جبهة البلقان ، فاكتمح فلولهم التي أدنى عليها حتماؤهم ، ومضى بحيلوشه قدما نحو أدرنة ، فدخلها منتصرا على رأس فرسان الطليعة ، تحف به الاعلام ، وتدق له الطبول ، ويفسح له الإهالي الطريق التي فرشوها بأغصان الزيتون . . . !

وعلى رأس أحد الطوابير الزاحمة كان مصطفى كمال يحرق الأرم غيطا ويفس على أنور هذه المظاهرة الطاهرة المرحوة في حين كان هو كالمهد به مسورا مجهولا من الجميع !

نشوب الحرب العالمية

عاد مصطفى كمال إلى العاصمة ليعيش فيها مع أمه وأخته مقيمة الأبناء والأعمال ، وكان قد رقي بعد فتح أدرنة إلى رتبة القائم ، ولكنه لم يجد العمل الملائم له ، ولم تكن أمامه أهداف محدودة ، فعاد يحتل بساسة الصف الثاني الذين يحتقرهم !

وكانت الحكومة القائمة قوية حازمة ، يسيرها ثالث مؤلف من ، طلعت وأنور وجمال ، بعد أن قتل محمود شوكت باشا رئيس الوزارة ، وانعزل عقد الجماعات والعصبيات القديمة !

وإزداد الساسة زهدا في مصطفى كمال ، أكثر من أي وقت مضى . . لعد أمسى حارح المسرح تماما ، وتوقع عليه (علاء الأمس فخلعوه في المؤخرة - صار جمال وطلعت

وزيرين ، وصار أنور شخصية « دولية » - فوق كونه وزيرا للحرية - وكان قد تزوج من أميرة وعاش معيشة أمة ورفاهية في قصر يطل على اليوسفور !! وإن له خططا ومشروعات عظيمة : أن يوحد المسلمين جميعا تحت رعاية السلطان « الخليفة » .. وأن يوحد كل الشعوب الناطقة بالتركية حول تركيا « الأم » .. ومن ثم يفيد مجد الامبراطورية العثمانية !! هذا الى أن الألمان ينظرون اليه باعتباره حليهم !

ولم يكن مصطفى كمال أكثر من صابط شاب « أركان حرب » ، مكروه من رعاة الحكومة الثلاثية ، ومن جميع أعضاء « الاتحاد والترقي » .. فيما عدا صلاته الودية مع جمال ، بحكم كراهيتهما المشتركة للألمان !

ورأى أنور لكي يمد مشروعاته العظيمة وحبوب البسده بتنظيم الجيش ، ومن ثم دعا القائد الألماني الجرال « ليان فون ساندور » كي يصطلح بهذه المهمة .. فلم يكده البيا يبلغ مصطفى كمال حتى ثارت ثائرتة واحتدم غضبه ، وراح يحرض رجال السياسة والضباط سرا وجها ، على الانضمام اليه في الاحتجاج ، قائلا : « انه لنون منا أن نسمح لهؤلاء الألمان بالسيطرة على الجيش أساس قوتنا ونحسب كيانا .. بل انها لاهامة للأتراك جميعا أن يستعين بهذا البروساء .. ثم قابل جمال وناقشه في الأمر .. وطلب مقابلة أنور ، فلما رفض هذا أن يقابله كتب اليه مصطفى خطابا مرا !!

ووجد فيه زعماء الحكومة مشاغبا لا يكف عن مضايقتهم ، ويحسن إيماده عن العاصمة ، لا خوفا من قائمه أو خطره - فما كان أحد ليصفى اليه أو يتحاو الى صمه - وانما تخلصا من شغبه ومتاعبه .. وكان فتحى صديقه قد عين وزيرا معوضا في صوفيا ، فعين ملحقا عسكريا له !

عد مصطفى كمال تعيينه في منصبه الجديد بصوفيا بمقابلة نفى له من تركيا ، فقد انقطعت كل صلة له بالحياة في القسطنطينية .. ومنصب الملحق العسكري لا ينطوي على عمل يلائم مواهب العسكري المحترف .. ولكن حيثما وجد هذا العمل ، كان مصطفى يؤديه على خير وجه .. وارتبط صداقة مع القائد العام للبحارى « كيتشيف » ومع أركان حربيه .. وحضر المناورات والاجتماعات والاستعراضات وكتب تقارير بمشاهداته قدمها لصديقه فتحى الوزير المخلص

وكان أغرب ما في الأمر أنه صار صديقا حميما للقائد ليلفاري « ساما سافوف » ، الذي هزم فرقته في الحرب ، ووجها مدحورة محطبة !! وقد كان مصطفى يكره الضباط في السياسى المنافس له ، لكنه يحترم العدو والشجاع الباسل .. فلما أنه لم يكن ليستطيع أن يطل هكذا طويلا ، لا يعمل حينها ، فطبيعته تعرض عليه أن يشغل تعشه على الدوام ، إن لم يكن بالعمل فيبالهر .. فلما لم يجد عملا ركن همه في اللهو ، وكفل له منصب الملحق الحربى كل امتيازات الدبلوماسية وحصانته ، كما كفل له زيه العسكري لحرص المجون والمفتة .. فاستغل ما توافر له من الناحيتين اكمل استغلال !! تعلم الرقص الكلاسيكى على مدرس خاص ، ومارسه حيثما وجد الى ممارسته سبيلا .. وغشى الصالونات والمخيلات ، وحاول أن يكون نجما من نجوم المجتمع ، ففاض لساء صوفيا .. لكنهن لم يجدن فيه ما يحسن اليهن من الوسامة أو الحاذية ، فضلا عن كراهيتهن التقليدية لكل الضباط الأتراك ، وهذا الى فظاظته وحدة لهجته ، وجهله العام بالاساليب العصرية للفرل الخفيف .. فقد كان همه الاول كلما تعرف الى امرأة أن يستطلع مدى استجابتها لرغبته الجنسية ، فان لم يجد لديها استعدادا لذلك كف عن

الالتفات اليها وسمى الى نيل غايته من أخرى ، بمثل ذلك
الاسلوب الجاف المجرد من اللياقة ٠٠ وقد كاد يوما أن
يتورط في حب حسناء هي ابنة القائد البطاري الجيرال
كوفاتشيف ، لكنها لم تجعل به ، فعاد الى طبيعته ساحطاً
على الحب والمحبين !

وسرعان ما نسين نساء المدينة مدى العارق بينه - في
طبيعته العنق الشبيه بطبع التتار المتوحشين - وبين طبع
فتحي ، التركي المهذب الغيث الاخلاق ، فسخر من رقص
مصطفى ومن محاولاته تعلم آداب السلوك اللائقة برواد
الصلوات ٠٠ وانتهى بهم الأمر الى الضيق به ثم الى
تجاهله ٠٠ وهكذا ازداد انطواء على نفسه ، وازداد مقتاً
لنساء المجتمع واساليبهن الباعثة التي تجعلهن يفصلن
الثروة والفرل البري على التماذي معه في معامراته العرامية
حتى نهايتها المنشودة !

على أنه كان أقرب الى السجية في صلاته بالرجال ، ثم
بالنساء الماححات اللواتي لا يجوزن الى فطة أو الى لباقة ٠٠
فكان مع هؤلاء وهؤلاء يشرب ويلهو كل ليلة حتى مطلع
العصر ، في المقاهي وأوكار الغرام ٠ كما كان يقامر ويلعب
البرد ساعات طويلة مع أي انسان يجلس اليه ٠ فمارس
جميع الرذائل ، وحرب كل الموبقات وانغمس فيها حتى
أذنيه ٠ ثم دفع التن مرصاً حسياً وصحة مهارة ٠٠
وانتهى به الأمر الى أن صار ينهر من جميع النساء !

ومرت الايام ، ثم اندلعت شرارة الحرب العالمية واشتبكت
أكثر الدول العظمى في القتال ، فانصدمت تركيا الى ألمانيا،
لكن بلغاريا ظلت على الحياد تترقب الأحداث !

وبقى مصطفى كمال في صوفيا يشتعل صدره غيظاً ،
فقد كان يؤمن - ككثيرين من الامراك - بأن الحكمة كانت تقتضي

تركيا أن تغف على الحياد حتى ترى أية كفة ترحح فتساومها
على مؤازرتها ٠٠ على أنه - وقد سبق السيف العدل ودخلت
لوكيا في الممعة - كان كأي صابط نظامي يعتقد أن الحرب
لن تطول أكثر من أسابيع معدودة ٠ فلما انقضت تلك
الاسابيع والقتال ما زال دائراً من غير أن يشترك فيه ،
استشاط عيظاً وكعداً ، لأن العرض التي أعد نفسه لها
وانظرها ملهوا فتوته واحدة بعد الاخرى ٠٠ وأخيراً أبرق
الى أنور يسأله أن يسند اليه القيادة في إحدى الجبهات ٠٠
لفظلي منه رداً مؤدياً حازماً في الوقت نفسه ، إذ أمره فيه
بأن يبقى حيث هو ٠٠ لأن بلاده تحتاج الى خدماته هناك !

وأبرق اليه مرة أخرى ، ولكنه في هذه المرة لم يتلق
رداً ٠٠ فأخذ يكتب في ذلك الى كثيرين من أصدقائه في
العاصمة التركية ، ويلج على صديقه محي لكي يسعى
بدوره في سبيل تحقيق أميته تلك ٠ ولكن هذا كله لم
يلفه شيئاً !

ومرت الايام ، حتى اقبل فبراير سنة ١٩١٥، وكان صبره
لقد نفذ ، فآثر أن يعادى صوفياً بغير إذن ليطوع للقتال ٠٠
ولمّا هو يحرم حقائبه وقد بيت أمره ودر حطته ٠٠ تلقى
أمرًا باستقدمه الى القسطنطينية !

مفتاح النوديل

كان أنور بعيداً عن العاصمة ، إذ مضى الى القوقاز ليقود
جيشاً ضد الروس وأبوابه في تصريف شؤون الدولة
القائد الاعرج حفي ياشا ٠٠ ولم يكن هذا ليحصل بميول
أنور الخاصة وعواطفه الشخصية ، فأخذ يرود الجيش
بحاجته من الفواد الاكفاء ، ولا سيما بعد أن حاول الانجليز
مرتين اقتحام الطريق الى الدردنيل سوارج أسطولهم ، وكل
الدلائل تدل على أنهم يحشدون في مصر جيشاً عظيماً

للمهاجمة غاليبولي ، بينما انهك الجنرال الألماني ليمان ربر
ساندرز في اعداد جيش جديد على وجه السرعة لمواجهة
هذا الهجوم ا

وكان حتى باشا يعرف ماضي مصطفى كمال ، وعرف
كفاته العسكرية المتأخرة حين يعتمد عن السيامية ، فارتق
اليه يستقدمه الى العاصمة على عجل ، وقدمه للجنرال فون
ساندرز ، فأسند اليه هذا قيادة القطاع الجنوي في شبه
جزيرة غاليبولي

كان فون ساندرز سي الظن بكفاءة الضابط التركي
العادي ، لكنني قدر مواهب مصطفى كمال غير العادية ، رغم
ما لمس فيه من خشونة غير مألوفة في محادثته وفي التعبير
عن رأيه . فهي إحدى الملاحظات قال له مصطفى كمال
« ان بلغاريا قد أصابت بالوقوف على الحياذ ، لأن انتصار
المانيا آخر الأمر ، أمر غير موثوق منه ! »

وفي مناسبة أخرى قال له : « ان هيئة أركان حرب
القيادة الألمانية العليا تئدي قرائن أحراريا ! »

لكن مصطفى كمال كان برغم ذلك يؤدي واجبه العسكري
على خير وجه . وكان صاميا الدهن حازما في قراراته .
يستند في تكوين آرائه الى الحقائق الثابتة . وقد اختلف
غير مرة مع فون ساندرز ، وبلغ الخلاف في الرأي بينهما
أشدّه ، إذ كان كلا الرجلين أبايا مزهوا بنفسه وكمايته .
لكن القائد الألماني كان يقدر في مصطفى كمال مواهبه
العذبة وطبيعته التي تحاكي طبيعة الألمان ، فكان لذلك لا ينفك
عن امتداحه وفتح ثقته !

وكذلك كان مصطفى كمال - برغم كراهيته للجانب
عامة وللألمان الذين حلهم أبور خاصة - حريصا على أن
يحترم فون ساندرز ، ويقدر شجاعته وبراعته العسكرية

وجاءت الأنباء من كل مصدر في القاهرة وأثينا تبشّر
بفأب الانحياز للهجوم ، بجيش قوامه ثمانون ألف مقاتل ،
هذا الأسطول الجرار الذي يتحفز للاشتراك في القتال !

واجهت فون ساندرز مشككة عسيرة ، إذ كان شاطئ
هلبه جزيرة غاليبولي لا يقل طوله عن اثنين وخمسين ميلا .
وكان الأقليم جبليا ، وبعض حباله تشرف وتهيمن على الموقف
كله . وعلى هذا دعى وسع الانحياز بفصل أسطولهم أن
يزلوا الى البر ذلك الجيش المكون من ثمانين ألف مقاتل في
أمة نقطة من هذا الشاطئ المتراعى ، ثم يقتحموا أحد الجبال
ويفتحوا الطريق الى القسطنطينية !

ووزع فون ساندرز قواته وعددها ستون ألف جندي على
لثلاث مجموعات تتألف كل مجموعة منها من عشرين ألفا .
ولم يبق أمامه غير أن ينتظر ما يأتي به القدر ، فما كان في
استعانة أحد أن يتكهن بموعد الهجوم البريطاني ، أو
موضعه ا

وعاد أنور من روسيا ، فأرسل الى فون ساندرز أمرا
بفتح مصطفى كمال عن قياداته واحلال آخر محله .
فاضطر القائد الألماني الى اطاعة الأمر ، لكنه أعرب عن أسفه
لذلك علانية وأسند الى مصطفى كمال قيادة الفرقة التاسعة
عشرة الاحتياطية المعسكرة في « مايدوس » . وفي الوقت
ذاته أمره بالحد في استخدام قواته حتى تتحل حالة التوتر
والعرقب ويعرف الموضع الذي سيركز الانجليز فيه هجماتهم
وإذ أدرك مصطفى كمال مبلغ ثقته فون ساندرز به
واعتداده عليه ، صار شخصا آخر . انهك في عمله مهمة
وحساسة أظهرت مواهبه الحقيقية الكامنة ، فلم تقصر أساسا
حتى أحال فرقته التي كان ثلثها من المتطوع العرب غير
المدرّبين ، الى فرقة قوية من أحسن طراز . وأردف ذلك

بدراسة الاقليم والتأهب لجميع الاحتمالات ١

وفي يوم الأحد ٢٥ ابريل وقع الهجوم البريطاني المرتقب .. فبرزت من قلب الصبابة الحميم على الشاطئ موحدة هائلة من السفن المدرعة ، من بوارج ومدفعات وباقات .. وهجم بعضها على القطاع الشمالي من شبه الجزيرة ، عند (بولر) .. وكانت هذه حدة لكها حارت على فسوف سايبرو - وهجم بعضها الآخر على القطاع الجنوبي ، بينما وقع الهجوم الرئيسي على القطاع الأوسط .. وكان الجيش المهاجم يتألف من استراليين .. وقد جعل هدفه أن ينزل الى البر في منطقة الأرض المنخفضة عند (حاباتيبي) ثم يمشى قدما عبر وادي (مابدوس) ومن هناك يستدير ويسوي على منطقة التلال المعروفة باسم (شونك بير) .. وكانت تقع لصق معسكر مصطفى كمال ، وتعد أحد « معاتيج » الموقف كله !

لكن تبارا بحريا قويا حفر سمن الاستراليين الى امدد من المنطقة التي حددت لبرولهم الى البر ، فهمطوا خطأ في (أري بورو) ، واذا وحدوا أنفسهم عند حافة منطقة التلال اتجهوا رأسا نحو مرتفعات (شونك بير) ، ولم يمرر مصطفى كمال شيئا من هذا ، لكنه كان قد امر أقوى فرقه ، وهي الفرقة السابعة والخمسون ، بالمرح إلى الصراء في الساعة الخامسة والنصف صباحا لاجراء مناوراتها العادية عند سمع أحد تلال (شونك بير) .. وبما هو متسلق سفح التل ، رأى طابورا من الآتراك آتيا من قمة التل ، وعلم منهم أن الانجليز برلوا الى البر عند (أري بورو) واضطروهم الى الاسحاب بينما كانوا يقومون بهجمة الاستكشاف على الساحل ، وسرعان ما أصدر مصطفى كمال أمره الى قواته بالتحرك .. وبعد دقائق حاصه بيا من العرفة التاسعة المسكرة في اتجاه اليمين تؤيد نزول الانجليز ١

البر وتطلب طابورا لتغطية جناحها الأيسر .. فقدح مصطفى كمال فكره بسرعه وانتهى الى ترجيح أن تكون (شونك بير) المنطقة التي يعتمر الاعداء مهاجمتها ، وسرعان ما قرر **بحر** انقاذ هذه المنطقة دون ابطاء وبأى ثمن ، غير منتظر **وصول** أوامر القيادة العليا وتعليماتها

إن للدقائق قيمتها ووربها في هذه الظروف ، وقد كان مصطفى كمال كثيرا ما يردد في هذا الصدد شعار نابليون **المفضل** : « السرعة ، السرعة ، والسرعة دائما » .. ومن ثم سارع الى إصدار أمره الى قواته بالتقدم فورا ، وبأقصى **مرة** (شونك بير) ١٠٠

ولم تكن في حوزته وقتئذ غير خريطة صغيرة ، غير موصح عليها حتى موقع (أري بورو) الذي صط فيه الانجليز ، فامسك هذه الخريطة باحدى يديه وامسك « بوصلة » ناليد الأخرى ، واصطحب دليلا يرشده الى الطريق ، ومائتين من جنوده سار في مقدمتهم لاستكشاف مراكز العدو ١

كان الطريق وعرا تتمرطه الصخور والحدائق والعقبات ، فلهجر أكثر الجنود عن احتمال مشقة التقدم فيه ، بحيث لم يهل منهم مع قائدهم حين وصل الى قمة المرتفع غير نفسر **لنابليون** : « هناك رأى طلائع الطواير الاسترالية الزاحمة لتقدم ، وقد بلغت منتصف السمع ، على مسافة لا تزيد على أوبصائة متر ! .. وهنا صاح بأقرب مرؤوسيه اليه : « هيا .. ارحم ناقص سرعة واجمع كل من تستطيع جمعهم من فواتنا لمهاجمة العدو فورا .. ! »

وبعد قليل وصلت وحدات الفرقة السابعة والخمسين وقد أوهقها مشقة تسلق المرتفع وعواصف الطريق ، فعاد مصطفى كمال لتنظيمها على عجل ، ودفع نحوونها الى الأمام .. ثم وصلت بطارية من المدفعية ، فساهم بيديه في رصع

للمدفع الأول في المركز الملائم ٠٠! وحضى تحت النيران المتطلقة يوجه قواته هنا وهناك وكأنه شملة متقدمة من الحماية والنشاط ٠٠! ثم استدعى فرقته الثانية وألقى بها في المعركة على مسؤوليته الخاصة أيضا ، وقبل أن يلقى أمرا بذلك من رؤسائه ٠٠ وحينما وجد ذلك كله غير كاف ، سارع الى استقدام الفرقة الثالثة والاخيرة وألقى بها في الاخرى في آتون القتال !

لقد تجاهل الأوامر الصادرة اليه بأن يكون حذرا ، وألقى بكل احتياطي الجيش من الجنود الى المعركة ، أخذاً على عاتقه كل المسؤولية عن هذا التصرف الخطير ، وذلك لاقتناعه بأنه يواجه الهجوم الرئيسى للمعدو !

ولم يكن مصطفى كمال ليحصى عليه ما هنالك من خطر شديد أكيد على الجبهة كلها إن لم يصح تقديره ، وكان الهجوم الرئيسى في موضع آخر ، وقد تبين بعد قليل ان تقديره صحيح ، واحتدم القتال طيلة ذلك النهار ، وكان الاستراليون قد قطعوا تلحى السمع حين اشتبك الأتراك معهم ، فلم يستطيعوا بعد ذلك تقدما ، وإن أنزلوا بالمداغين الشجعان خمسمائة جسيمة ، فأبديت الفرقة التاسعة والخمسون ، وساد الارتباك بسود العرقين الآخرين من العرب !

والواقع ان الاستراليين كانوا أهدح خسائر ، مما جعل ميزان المعركة معلقا على وصول مدد الى أحد الفريقين فترجح كفته بلا شك ، وإن لم يزد هذا المدد على خمسمائة جندي !

وهبط الطلام والتسل ما يرال في يد الأتراك ، بينما الاستراليون متشبثون بالسبع ٠٠ لكن مصطفى كمال لم ينتظر تطور الحوادث مكتوف اليدين ، بل اتحذ مكررا لقيادته مخاضا يقع خلف كومة من الاحجار على بعد أمتار من

الليلة ، وظل طيلة تلك الليلة واليوم التالي كله يواصل العمل في نشاط عجيب ، قيسط الهجوم تلو الهجوم لدفع الاستراليين الى الخلف نحو البحر قبل أن يوطدوا أقدامهم ، وكلما فشلت هجمة شن غيرها فورا في غير يأس ولا لال ، وكان يلعب حماسة جنوده بتنقله بينهم بنفسه عاملا هلا لدير راحتهم وطمأنيتهم ، وبذلك استطاع وقف تقدم الاستراليين وإن عجز عن دفعهم من سمح التل الى البحر من حيث أتوا ١٠٠

والواقع أن مرتفع (شوك بير) كان مفتاح الطريق الى الدردنيل ، كما كان الدردنيل مفتاح الطريق الى القسطنطينية ٠٠ فلو أن مصطفى كمال لم ينجح في صد الاستراليين عن هذا الموقع لعزلت تركيا عن حليفتها ألمانيا وأحسرت على عقد الصلح ، بل ربما انصمت اليونان ورومانيا وبلغاريا الى جانب الانجليز وتحالوا جميعا ضد تركيا ، الأمر الذي يكون له أسوأ الأثر الممنون في محرى السياسة الاوربية كلها ، بل يفتح الطريق الى روسيا ويكسبها من التزود بالسلاح والمؤن !

ومن هنا احتدم أوار المعركة بين الاستراليين المهاجمين للحقبة هذه الاطماع الواسعة ، وبين مصطفى كمال الذي وقف في وجوههم بوجهه الأغبر وعزمته الجساة ، ليلود في المرتفع الضيق بقواته القليلة العدد والعدة ، معتمدا على كفاءته الممتازة وشخصيته المسيطرة الجبارة

أقوى من الموت !

عجز كل من المدوين المتقاتلين عن قهر الآخر ، فبدأ كلاهما يحمر الخنادق في مكانه ويتحصن وراءها ٠٠ وقد استقر هزم الاستراليين على التلات في المركز الذي بلغوه الى أن تباح لهم فرصة لمواصلة التقدم ، في حين اعتزم

الأتراك بقيادة مصطفى كمال ألا يتركوهم يستقرون ، ألا
.. في البحر ..!

ومضت الأسابيع والفريقان يمانيان الإرهاق الشديد من
حرب الخنادق وما يكتنفها من متاعب وأخطار وأهوال وقلق
مثير للأعصاب ، فانفجار القنابل وصعير الرصاص لا انقطاع
لها ، وإصلاح الأسلاك المقطوعة في الظلام في الشقة المحرمة
بين الخطي يبعث الرعب القاتل في الأوصال ، وهناك عدا
هذا ودانك ساعات الأفعال المريرة انتظار هجوم مروع
معاها من العدو بالسلاح الأبيض والخرباب الحادة .. وهناك
المشرفة الأليمة التي تبعث من الجرحي في الخنادق الضعيف
تحت سطح الأرض ، والمدافع الوحشية التي تتناثر فيها
أشلاء الأجسام المرفقة وتحتلظ فيها الدماء الحلوة بشظايا
القنابل المتفجرة !

ومع كل هذه الأهوال أقبل الصيف بما يلازمه من نقص
في الماء ، وزيادة في تسلط الشمس المكنهة على التلال
الصخرية بحيث تكاد تصهرها .. وبين الخطوط كانت جثث
القتلى تتعمق فيستقر الجو بأسراب الجوارح ، كما تتقل الأرض
بالخشرات والهوام وجيوش القمل الناقل للأوبئة والحميات ،
وهكذا بلغت قوة مقاومة كل من العريقين وطاقته على
الاحتمال حدا يهدد بالامحار !

ولم يعط مصطفى كمال نفسه - مع هذا كله - فرصة
للراحة أو الاستجمام ، لكنه بقي موفور النشاط ، سعيدا
بأنه يمارس هوايته المفضلة .. هواية القتال !

لم يكن ينام الا قليلا ، لكنه لم يند معتقرا الى اليوم ..
واسما واصل استنهاضه لهم جنوده في غير ملل وفي حمس
موفورة ! وظل هادئا نارد الأعصاب ، يرسم خططه ويصدر
قراراته في دقة نالفة وحزم صارم عجيب !

وأدهشت كفاءاته الجنرال « كاتينجيسر » الألماني ، قائد

الفرقة التاسعة التي تقاتل في ميمنه ، فقال عنه : « ان
مصطفى كمال ضابط نشط صامى الدهن ، يقرر كل شيء
معتدلا على داته ، ويعرف بالضبط ماذا يريد ! » .. وكان
مصطفى دائم الطواف لحط القنابل ، يدرس الأرض ويستطلع
الأنباء ، ويعرض نفسه للاخطار التي تهدد المراكز الامامية
إلهم ما جرى به العرف من الا يستهدف لها القواد ! ..

وفي خلال عدة قصيرة في شهر مايو ، تنكر مصطفى
كمال في رى جاوش واشترك في أعمال إحدى الفرق
المخصصة لدون الموني ، وذلك ليتمكن من التجسس نفسه
على خنادق الأعداء .. وكان لا يكف عن تطعيم الهجمات
العنيفة المتواصلة لأرهاق قوى العدو ، وكان يقود الهجوم
بشخصه أحيانا ليصاعف من حماسة جنوده ، ولم يسترح
إلها واحدا أو يترك قوى رجاله المعنوية تضعف أو تحور !

وكم من مرة استهدف للبراب ..! فالواقع أنه لم يكن
يجلب نفسه خطرا محققا ، بل كان يشهد حواره كل
الخطاطر .. ومع ذلك ، وبينما كان من حوله يتساقطون قتل
هذه كلى جانب ، لم يصعب هو يوما بأذى !

وكثيرا ما أقدم على تصرفات حاززت حد الاستهتار
بالوت ، فالتب بذلك هم رجاله وحماسهم ..! وحذث
همه انه كان حالسا خارج خندق حديد ، ففتحت « بطارية »
الجزيرية مدافعها على الخندق ، وأحدثت القنابل تنساقط من
حواله بحيث أيقن رفاهه ألا يد من أصابته ، فالحوا عليه في
أن يلجأ الى مخبأ آمن ، لكنه أبى قائلا : « كلا ..! لست
أحب أن أكون مثلا سينا لجنودى ! » ثم أشعل سيجارة
ومضى يتكلم في ثبات وعدم ملالة بالخطر ، بينما كان الجنود
من قلب الخندق ينظرون اليه متعجبين ..! وبقي كذلك حتى
لجولت مدقعية العدو الى هدف آخر غير الخندق الذي يجلس

خارجه ، فلم يصبه من اذاها غير غبار البارود الذي انا ،
اعجار قنائلها !

وفي مرة أخرى كان عائدا الى عاليبولي ، فتساقطت حول
عربيته قذائف زورق حربي سريع الطلقات ، واصابت ما أمه
العربية وما حولها ، بل ان قديمه سقطت على مقدمه العربه
فقتلت السائق ٠٠ ومع ذلك لم يصب مصطفى بأى سوء .

وأحيانا كان يتناول بدقيته ، ثم يخرج رأسه من الخندق
ليصوب النار الى هدف معين في خنادق الاستراليين عبر
عابىء بالخطر ٠٠ وفي المناطق المكشوفة كان يبطله فى
سيره عابدا ، لكي يشجع جنوده ويقوى عزائمهم ٠٠ وقد
فشل قاصة العدو غير مرة فى أن يصيبوه برغم قربهم منهم
وكان يؤكد لمن حوله أنه موثق كل اليقين بأن قديمه ما لم
تصيبه ، وأنه لذلك لا يمد تعرضه لقذائف العدو جرأة
تستحق الذكر ، فكان جنوده اذ يسمعون ذلك يزدادون
حماسة واستهانة بالاحطار !

وفي شهر يونيه ، اكتشف مصطفى كمال مركزا ضخما
فى خطوط العدو ، وصرغان مادبر خطة محكمة للهجوم على
ذلك المركز ، لاشاعة الاضطراب فى خنادق الاستراليين
واضطرابهم الى الاسحاب ، وحدد لذلك الهجوم يوم ٢٨
يونيه ، وأعد للقيام به طابورا كان قد وصل حديثا هو
الطابور الثامن عشر ، على أن تقوم العرة بأكملها بشد
أزره !

وقبل موعد الهجوم بيومين زار « أنور » جبهة القتال
فى عاليبولي ، وكان قد أصبح وريثا للحرية وقائدا عاما
لدليابة فلما علم بأمر هذا الهجوم سفه وعارضه قائلا :
« ان مصطفى كمال ينبغي أن يستشير السلطات العليا ،
قبل أن يبدد الأرواح فى هجوم حاصر ! » ٠٠ وكان مصطفى

له أعلن استسلامه على مدفعين رشاشين ، فأبدي أنور أنه
فى فصل له ، وطلب أن يرى المدفعين يتعسبه ليستوثق من
صحة النبأ ٠٠ واذ ذاك ثارت ثائرة مصطفى كمال ، ولم
يحل صبورا على هذه الطعنة التي أصابت كرامته ، فقدم
استقالته !

لقد كان يرى أن أنور ليس سوى شاب تافه مغرور وصل
الى قمة السلطان عن طريق السياسة اللتوية الرخيصة ،
ولهذا يأبى الا أن يتدخل فى كل شيء ، ويصعد كل شيء !

ولكن استقالة مصطفى كمال ما كادت تصل الى القائد
الاماني دليمان فون ساندرو حتى سارع الى اقاعه بسمها ،
المر عليه أن يفقد أكما معاونيه ، وكان يشترك مصطفى
كمال احتفاره لأنور واستيائه من تدخله فيما لا يعنيه ! ٠٠
ولذا لم يسع أنور الا أن يعدل عن معارضة ذلك الهجوم

الرسم ، فتم فى موعده وفقا للخطة التي رسمها مصطفى
كمال ٠٠ لكنه أسفر عن فشل تام ، وأبدي الطابور الذي
قام به ، بسبب أعمال المتحصنين فى اتحاد نصرا الاستعدادات
وعنه تصرف هيئة أركان الحرب ٠٠ فاستعمل أنور فرصة
هذا الفشل للنيل من مصطفى كمال ، وزار العرة التاسعة
فمرة حيث أعرب لمصطفى كمال عن لومه اياه على تلك
التهبة ٠ وازاء ذلك قدم مصطفى كمال استقالته للمرة
الثانية ، وبعثنا حاول « فون ساندرو » أن يقمعه باستردادها ،
الا وحده منه تصميمنا وعنادا ٠ فهدد الى أركان حربه « كاظم »
فى محاولة التفاهم معه لمه يطلع فى اقاعه !

والصل كاظم بمصطفى بالتليعون . وسأله : « كيف ترى
الموقف ٠٠٩ وماذا تطلب فى شأنه ؟ »

فقال له مصطفى . « لقد صارتك من قبل بحقيقة
الموقف وبما ينبغي أن يتخذ فى شأنه ٠٠ والآن لم يعد

هناك غير حل واحد . . . وهو ان تضع جميع القوات التي في حوزتك ومن تصرفي ! »

وعندئذ أحابه كاظم متهمكا : « أعدا كل ما تريده ؟ وهل تكفي هذه القوات لسيفد ما لديك من خطط حديثة ؟ ! »

وما كان جواب مصطفى كمال إلا ان وضع الساعة في عصف !

على أن عودة أبور للعاصمة على أثر ذلك هيأت الفرصة لاصلاح ما أفسده بموقعه من مصطفى كمال ، فادخل « فون ساندور » في اقسام هذا بالمدول عن استقالته الجديدة !

مهرجة الانقلاب

بدأ واضحا في أواخر شهر يولييه أن الانجليز يدبرون خطة لقيام بهجوم كبير . . . فقد شوهدت في مياه مصر وحرر اليونان ناقلات تحمل فرقاً جديدة ولمدادات كبيرة . وعلى هذا سارع الاتراك الى تعزيز جيشهم في شبه الجزيرة

ووقع الهجوم المنتظر ليلة ١٦ أغسطس ، وكانت هدفه قمة جبل يعرف باسم « حاجي شيمين » يقع الى الشمال من منطقة « شوك بار » ويتصل بها بواسطة معبر جبلي يقع خلف الجناح الايمن لحط القتال الذي يشرف عليه مصطفى كمال !

وكان الانجليز يأملون من وراء الاستيلاء على القمة الجديدة أن يبتعدوا حول منطقة (شوك بار) وبذلك يطوقون القوات التركية حبيها ويسيطرون على شبه الجزيرة !

ودر الانجليز أن يخرج طابور واحد من يسار خط الاستراليين متحفا الى « حاجي شيمين » رأسا ، في حين يزل طابور آخر أكبر قوامه خمسة وعشرون ألفا من الجو على بعد خمسة أميال من ساحل خليج « سوفلا » ثم يرحب

الى الداخل حتى ينضم الى الطابور الاول ويهجمان معا للاستيلاء على « عتق » شبه الجزيرة ، وبذلك يفتح أمامهم الطريق الى الدردنيل ومنه الى القسطنطينية !

وقبيل وقوع الهجوم بأسبوع ، أخذ الانجليز ينزلون الى البر كل ليلة - في تكتم شديد - قوات حديثة على الساحل الواقع أسفل خط الاستراليين المواجهة لمصطفى كمال ، وكانت ليلة السادس من أغسطس شديدة العتمة ، فانهز الانجليز هذه الفرصة وبمشا من خلف خطوط الاستراليين بطابور مؤلف من ستة عشر ألف مقاتل ، ساروا في مجادة الساحل حوالي ميل ، ثم توغل الى الداخل متحفا رأسا الى « حاجي شيمين » لكي يبلغ قمة التل هناك عند الفجر !

وما كادت هذه الأنباء تصل الى « فون ساندور » حتى أصدر أمره الى « كاسجيسر » بأن يقود الفرقة التاسعة المسكرة عند ميمية فرقة مصطفى كمال ، ليصد الهجوم الجديد . . . فهرع كاسجيسر عبر الاقليم الوعر قاصدا قمة « حاجي شيمين » ، فبلغها في الساعة الرابعة والنصف ليل الفجر . . . وهناك على صوء البحر الباهت رأى على بعد ثلاثمائة ياردة طليعة طابور العدو الذي بدأ يصعد التل في بطة ومشقة . . . ولم يكن معه على القمة اذ ذاك سوى خمسين جنديا فقط ، لكنه لم يشأ أن يضرب الوقت في العظار وصول بقية جنوده فأمر من معه بإطلاق النار على طليعة العدو الزاحمة !

وخيل الى الانجليز أنهم بازاء مقدمات مقاومه منظمة ، لوقلوا حيث هم ، وبدأوا يحفرون الحنادق استعدادا لقتال طويل . . . وكان قناصة الاتراك قد قاوموهم لدى نزولهم الى الر مقاومة عبيقة أهكت قواهم واضطربهم الى تلمس النجاة في الظلام عبر المجاري المائية المليئة بالصخور الحادة

المدبية ، يضاف الى هذا ان الليلة كانت حارة ، وان الماء كان شحيحا ، فكان طبيعيا ان يرحب الانجليز بالتوقف التامسا للراحة من كل ذلك العناء !

واستراح الانجليز طيلة النهار ، بينما انهمك الاتراك في جلب الامدادات واقامة التحصينات وكان فائدهم الحري قد اصيب بجرح بليغ خلال مساوذة العجر ، وفي الوقت نفسه امدتهم مصطفي كمال بكل من استطاع الاستمضاء عنه من رجاله !

على ان الخطر الاكبر على الاتراك كان يتشمل في ذلك الطانور الانجليزى الآخر المؤلف من خمسة وعشرين ألف جندي ، فقد استطاع السرول الى الر في خليج « سغلا » دون ان يلقي مقاومة تذكر ، ثم سط رحاله في اقرب موضع ليأخذ أفرادَه قسطنطين الواحة !

ولم يخف هذا الخطر على « ليمان فون ساندروز » فسارع الى الاستعداد لمواجهة بان حلب من « مايدوس » على عجل فرقتيه الاحتياطيتين ، كما استفهم من « بولر » ومن تركيا الاسيوية كل الجنود الذين في متناوله ، على ان عدد قواته حتى تلك الساعة لم يكن يزيد على ألف وخمسمائة ، فكيف تستطيع الصمود في وجه ذلك الهجوم الخطير !

وبقى الانجليز طيلة اليوم السابع من أغسطس مغلدين الى الراحة امام خليج « سغلا » ، في حين كان في مقدورهم ان يتقدموا بسهولة ويسحقوا تلك القوات الضئيلة من الاتراك فيربحوا الحركة كلها !

وفي فجر اليوم التالي هجم الانجليز في جبهة « حاجر شيمين » ، موحيين قلب هجومهم نحو القمة ، وجناحهم الايسر نحو « حاجي شيمين » وجناحهم الايسر نحو خنادق مصطفي كمال في شونك بير . واحتدم القتال بشدة

وروحية ، واستطاع جنود نيوريلندة ان يشتوا اقدمهم لولق قمة شونك بير ، فكر عليهم مصطفي كمال وجوده في هجوم مصاد لكنهم استطاعوا رده على اعقابه ، وساد الارتياب هيئة اركان حربه وتوقعوا الهزيمة والاستباح من ذلك الموقع الحربي الهام !

لكن مصطفي كمال ظل يارد الاعصاب ثابت الجأش ، ومضى يفتل بين جنوده تحت النيران ، يبت في نفوسهم الثقة والامل بشجاعته ورباطة حاشه ، ويشجعهم على الصمود لهجمات العدو . وهكذا لم يستطيع الانجليز التقدم خطوة اخرى نحو القمة الوسطى ، أو نحو « حاجي شيمين » . لكنهم ظلوا متشبثين بالمركز الذي بلغوه في « شونك بير » ،

وفي ساعة متأخرة من ذلك المساء ارسل « فون ساندروز » في طلب مصطفي كمال ، وصارحه في سورة من العصب والسخط بياسه من الموقف لان المد الذي طلبه من « بولر » لم يصل بعد ، ولان القائد « فوري » أثبت نقصا في الكفاة اصحق من اجله ان يفصله ، بيسا حجة « سغلا » التي زاوها في الصباح ليس فيها غير فرقة واحدة ضعيفة موزقة والى . . ليس ثمة ما يصح الانجليز من التقدم وفصل شبه الجزيرة عن بقية تركيا !

والواقع ان القائد الالماني كان على حق ، فقد قصى طيلة النهار في طلب الامداد بكل الوسائل . . بالنزق واللبصون ، والرسائل الى كل الجهات المختصة مؤكدا تأهب الانجليز للهجوم في جبهة « سغلا » خلال الساعات العلية المقبلة ، وان الموقف غاية في الحرج . . لكنه لم يتلق أى مدد ، من أية جهة . . وقد حم كلامه مع مصطفي كمال قائلا « انى قوتك ان اجمع كل القوات المشتتة في الميدان في جيش واحد . . واريد ان تتولى أمت قيادته ! »

ولم يتردد مصطفى كمال ، ولم يستفسر عن أى شئ ، فقد كانت المسئوليات الحسام والمهام الصعبة تمتثل جميعه وكما أنه الكاميه ٠٠ وعلى هذا قبل العيب الخطير الذى تلقى على عاتقه فى هدوء ، ثم أعد حططه ببلد حريته ، ومضى لتفسيدها بنشاط خارق ٠٠٠ وكان الخط حليبه فوصلت قوات « بولير » بعد قليل قاطعة حوالى ثلاثين ميلا فى فترة وجيزة ، فاستقبلها مصطفى كمال مقتبضا ومسحها فترة قصيرة للراحة ثم أعدها للهجوم المصاد ، الذى هو الأمل الوحيد الباقي لصد الانجليز ، اذ لم يكن فى الوقت متسع لاعداد مراكز للدفاع !

وفى تلك الليلة نفسها ، كان الانجليز بدورهم يعدون عدتهم لحسم الموقف فى أقصر وقت ممكن ، وقد وصل « هاملتون » القائد الأعلى لقواتهم ، وأصدر أمره بمواصله التقدم فورا ، وحدد له فجر اليوم التاسع من أغسطس . وهكذا وقع الهجومان فى وقت واحد ، واستمر القتال سجالا بين العسريين ، فثبت الاتراك فى مواقعهم ، ولم يستطع الانجليز - برغم ما بذلوه من جهود وتضحيات - الا الاستيلاء على قمة « شوك بير » ، و « حاجى شيمين » . وكان الاتراك قد أجبروا الانجليز على التراجع قليلا الى أسفل السمع فى « حاجى شيمين » ، ثم اندفع طابور من الهنود والانجليز الى القمة حيث هاجموا الاتراك بالحرب وطردوهم الى أسفل السمع ، وكادوا يبيدوهم لولا أن مدافع الاسطول البريطانى فتحت دوهاتها خطأ مصورة قدأنها الى مواقع الانجليز انفسهم بدلا من الاتراك فأصابهم بخسائر فادحة واضطرتهم الى الانسحاب !

وكان النيوزيلنديون قد تمكنوا من الاستيلاء على موقع فى (شوك بير) جعل فى متناولهم اصلاء الخطوط التركية سيرانهم الحامية ، وفشلت جميع الهجمات المصادة في

(عن حجتهم عن ذلك الموقع ٠٠ وهكذا يشق قواد العبرة التركية التاسعة عشرة من الحالة ، فاتصلوا مصطفى كمال بالليفون ، وأبلغوه أن التعب والوهن أعجزا رجالهم عن مواصلة الهجوم ، وأن مدفعية العدو الرهيبة تواصل العتاك لهم وقد تقضى الذعر بين صفوفهم

وكان جواب مصطفى كمال أن حال لحدته فى صوت حاد : « لا تترجعوا » انتوا فى مواقعكم أربعة وعشرين ساعة أخرى حتى أدبر الموقف هنا فى جبهتي وعمدته الحق لكم واضح كل شئ فى نصايه ! »

وفى الساعة الثامنة مساء كان مصطفى كمال قد عاد الى شوك بير) فخرج بنفسه للاستطلاع ، وكاد القاصصة ههيوه مرتين ٠٠ فرجاه رجاله أن يأخذ حذره ، لكنه تقرب من خطوط الأعداء كي يدرس طبيعة الارض بعناية ، لم عاد على قدميه دون أن يعطى موقعه باى وسيلة من وسائل الحماية ٠٠ وانتهى من حوالته الاستطلاعية هذه الى أنه ما لم يجبر النيوزيلنديين على التخلي عن قمة (شوك بير) فلا أمل من الهزيمة المحققة ٠٠ وعلى هذا أمضى تلك الليلة كلها يفكر ويدبر الخطط ٠٠ وكان (فون ساندور) قد أرسل لصدته الفرقة الثامنة من تركيا الاسيوية ، بينما عزز هو الفرقة التاسعة عشرة بما يعادل ثلاثة فيالق ، وحشد الجنود فى الخنادق بقدر ما استطاع ، واستثار شجاعتهم بأن صار بينهم بنفسه يضاحكهم ويقوى عزائمهم قائلا لهم : « لا تتعجلوا المركة يا أبنائي ، فسوف نفتار لها اللحظة المناسبة بالسيط ، وعمدته سأخرج أنا فى مقدمتكم » وحين كرولى أرفع يدي ، فأعدوا حرايكم فى أيديكم واتبعوني ! » وبهذه الوسائل وغيرها « حقن » الجنود الاتراك السطاء بالوهن معنوية هائلة ، فتأهب الجميع لأن يتبعوه ولو الى الجحيم !

بما في الجبهة المقابلة فقد أخذ مكان البيورينديين المهيوكي
القوي فيلقان جديدهان كاملا العدد ١٠٠

وقبل العشر أطلقت المدافع التركية برانها على مواقع
الاعداء ، ورد عليها هؤلاء بالمثل ، سببا حرج مصطفى كمال
من الحادق في حراة معطمة الطير ، ومن حلله الحدود
الاتراك الشجعان ، أصابت إحدى الرصاصات ساعده ،
لكنه لم يصب بأى سوء ، وبو حرج ساعته لا بى الحدود
المحرك ، وألقى الهجوم من أساسه ١٠٠ وحيثما توفقت
بران المدفعية بعد قليل وقف مصطفى كمال في العراء وقفه
القائد المسيطر الواقع من البصر ، ثم رفع يده صائحا بحرده
« الى الأمام ! » وسرعان ما اندفع مشاة الاتراك من
حاذقهم وراءه ١٠٠ موحدة بعد موحدة وكانهم الوحوش المجررة
وبأيديهم الخراب مشرعة ١٠٠ ثم هجموا على العرقتين
الانجليزيتين فأبادوهما ، وواصلوا التقدم نحو السبع
المواحة للبحر ١٠٠ وعندئذ أطلق الاسطول البريطاني برانه
عليهم فأحدث في جموعهم الراحة ثغرات كثيرة اضطرتهم
الى التراجع وحفر الحادق للاخفاء فيها ١٠٠ لكنهم كانوا قد
ظهروا قمة (شونك بير) من الاعداء ، وانقدوا الموقف لتلك
المعركة اسي صمها مصطفى كمال الذي منح رتبة باشويه
على أثر ذلك تقديرا لسراعه وشجاعته ولما أحرز من فوز
عظيم

وفي حلال الاشهر الثلاثة اسالة استمر مصطفى كمال
يشرف على الجبهة كلها ، وكان القتال قد اختصر على حرب
الحادق ، وقد هجم الانجليز من « سغلا » مرتين ، فأحسدم
القتال في كل مرة وكانت الحسائر حسمة للعرقتين ، واضطر
مصطفى كمال الى أن يلقي بكل قواته الاحتياطية في المعركة
واسطاع شخصيصيه الباهرة وحراة المادرة أن يقبضه

الجزيرة ، وأن يقبض العاصمة نفسها تمعا لذلك من خطر
لا شك فيه !

وفي ديسمبر سنة ١٩١٥ يثس الانجليز من الانتصار ،
لكنهم عني النصال والسجوا من البلاد ١٠٠ فحوصت الجيوش
اسريكية الى قوة زمرية صغيرة عهد اليها في أعمال
« الداوريات » ١٠٠ وعاد مصطفى كمال - باشا - الى
القسطنطينية مع العائدين اليها من ميادين القتال !

في جبهة القوقاز

عاد مصطفى كمال الى القسطنطينية معهم النفس شعور
مكانه ١٠ لقد صار الآن شخصا مرموقا يحسب حسابه ١٠٠
وأطلقت عليه الصحف لقب « مفند الدردبيل والعاصمه » ،
وأعسى يتمتع بشهره عسكرية كبيرة ، ولم يعد في امكان
أحد تحايله كما كان الشأن في الماضي ١٠ فقرر أن يرغم
السياسة على الاصعاء اليه ، وأن يعرض آراءه على أولئك
« الجردان » كما كان يسميهم ليساهم في حكم البلاد !

لقد كان - كالمعهد به من قبل - يحتقر أولئك السياسة
الاتراك الجامدين ، ولكن السياسة كانت تحذنه اليها ١٠٠
وطالما حاهر في كل مناسبة بأن الاتراك يحب أن يستقلوا
شؤون بلادهم ، وإذا لم يكن بد من استخدام الألمان فيجب
الأن يكونوا أكثر من موظفين مرؤوسين لا يقومون بشيء ما
يأمرهم به رؤسائهم الاتراك

كذلك كان مصطفى كمال لا يفتأ يندد بغرور أوروبا
كفاته ، ويصمه بأنه « خطر قومي » يجب اعاده حتى لا يدمر
البلاد ويلقى بها الى التهلكة !

وكان الرأي العام يحار الى آرائه ، وقد أخذ المحسوس
للحرب تحمد حدوته ، وشعر الألمان بتساؤل ميل الاتراك

اليهم . وتكررت حوادث الشجار بين الأفراد من هو
وهؤلاء متباعدة لعمور الاتراك من أن يكونوا أداة لا غير في
أيدى الألمان ، ولما ساد من الاعتقاد في كل أنحاء تركيا
بأنها هي الحاضرة على أي حال أيا كان المنتصر في الحرب
العالمية وبلغ من تعاقب الشعور العدائي نحو الألمان أن
وضع بعض الاتراك خطة جهنمية لاختطاف جميع الصباط
الألمان وإبعادهم من البلاد !

وكان أنور - بمساعدة الألمان - قد جعل من نفسه
دكتاتورا ، فعدا مكروها من الرأي العام ، بل مكروها من
أنصاره أنفسهم وفي مقدمتهم أعضاء اللجنة العليا لجماعة
الاتحاد والترقي فدبرت صده عدة مؤامرات ، وصار
دائم الخوف من اغتياله ، فلا يخرج إلا في حراسة قوية ،
منطلقا بسيارته في سرعة جنونية ! . . .

ولم يحاول مصطفى كمال إخماد آرائه . ولما كان صديقه
جمال عاثيا وقمئذ في سوريا فقد رأى أن يذهب إلى معانله
طلعت باشا رئيس الوزارة . فاستقبله هذا مرحبا ، وأصفى
إليه باتيما وهو يشرح له مؤهلاته لتقلد منصب وزير
الحربية ، ثم تظاهر بموافقته على طول الخط ، وما كاد يخرج
من عنده حتى صحك ساخرا منه متها إياه بالضرور
ونقل أحدهم إلى مصطفى كمال أن طلعت كان يسخر منه ،
فخرج ذلك كبريما وأغصبه إلى حد أنه لم يصنع عن طلعت
بعد ذلك قط !

ورأى مصطفى كمال أن يحرب خطه مرة أخرى فتوجه إلى
وزارة الخارجية حيث استطاع صديقه خليل وكيلها الذي
كان معه في صوفيا أن يهيئ له مقابلة مع وزير الخارجية
« نسيم باشا » . وكان هذا معروفا بكرهيته للألمان مثله .
لكنه كان مشغولا ببعض المهام حين وصل مصطفى إلى دار

الوزارة ، فتركه ينتظر بعض الوقت في الحجرة الخارجية . . .
فلما أرسل في استدعائه كان مصطفى في حالة عصب
والفعل ، وقال للوزير في مظلة . « إن التقارير المتعائلة
التي وصفتها قيادة أركان الحرب ليست صحيحة ، فالأحوال
سبلة جدا ، ولا شك في أن أمور سياسي عاجز مجرد من
الكفاية ، ولا شك أيضا في أنك تعرف هذه الحقائق ، وعلى
هذا تعتبر مشتركا في المسؤولية عن الصدام المقبل الذي
بعت تركيا به عن حتمها بظلمها ! »

وساعت الوزير لهجة مصطفى كمال ، فأجابته بمثلها قائلا
« لقد أخطأت المرحم المحتص بهذه الأمور إذ جئت إلى هنا
لتحدث في شأنها ، وكان ينبغي أن تتوجه بهذه الآراء إلى
وزارة الحربية ! »

فقال له مصطفى كمال : « إن الاتجاه إلى وزارة الحربية
مفاد الاتجاه إلى الألمان ، فهم يسيطرون على كل شيء ، وقد
حاولوا أن يتخلصوا مني ! » ثم غادر مصطفى مكتب الوزير
حائلا لا يلوي على شيء !

وهكذا وحده نفسه ، كما كان في الماضي ، غير مرغوب
فيه من السياسة والمسؤولين . والواقع أن تعدد مواهبه
جعله يبدو غير صالح لمصعب معين بداته وكان إلى ذلك
شامسا متعاليا ، لا يريد أن يختلط بأحد بل ينتظر من
الجميع أن يأتوا إليه ويوافقوه في الرأي ويطيعوه طاعة
مطلقة ولم يكن يرى أن يلتقي بأحد في منتصف
الطريق ! . . .

وإذ بلغ به الغيظ والسخط غايتهما ، صار يحاهر بآرائه
هذه في كل مناسبة . وكانت العاصمة تفرج وقتئذ
المؤامرات التي يدبرها صغار القوم ، فعدا اسم مصطفى
كمال يقترب بأسمائهم ، باعتباره خصما لأنور وللألمان ،

ولو أنه كان في الواقع أكثر حذرا وذكاء من أن يشترك في تلك المؤامرات ١٠٠

وكادت إحدى هذه المؤامرات تبلغ عاينها ، وقد دم ثنائ حقد يدعى « يعقوب جمال » خطة لقتل أنور ، ابتغاه لئلا شخصي ، وتحدث عن تصويب مصطفى كمال مكانه ٠٠ وكانت مؤامرة « رحيصة » منهورة ، سيج حيوطها يمر من ضباط الصف الثاني ، فلما وصل حبرها إلى أنور تاني وتريث حتى حصل على الأدلة الكافية لاداة المتآمرين . وعندئذ شق يعقوب وزملاءه اندارا وعيرة للآخرين ، وعلى الأخص لمصطفى كمال ٠٠ وما كان ليحجم عن شس مصطفى كمال بدوره لو استطاع سبيلا إلى ذلك ، ولكن له يكن هناك أي دليل على اشتراكه في المؤامرة ١٠٠

على أن أنور خرج من الحادث وفي ذهنه أن مصطفى كمال مشاغب يحسن إبعاده عن العاصمة ٠٠ ومن ثم أسند إليه قيادة الجيش السادس عشر المرابط في القوقاز ٠٠ ثم نقله إلى قيادة الجيش الثاني في « ديار بكر » ٠٠ مبالغة في ذلك الإبعاد المطلوب ١

كان يمتد من العاصمة خط حديدي مفرد ينتهي عند ملتقى الخطوط في « أنقرة » ، على بعد ثلاثمائة كيلومتر منها ٠٠ ومن هناك ركب مصطفى كمال جوادا ، ثم عربة ، فسيارة ، قطع بها جميعا مسافة الكيلومترات الستمائة الباقية التي تفصله عن جبهة القوقاز

وكانت الرحلة طويلة شاقة ، والطرق غير مهيأة ، و تناولها يد الإصلاح مند سموات ٠٠! ولم يكن أنقرة ذاتها إلا بلدة ريفية صغيرة تقع في بقعة مرتفعة داخل البلاد ٠٠ ووراءها إلى الشرق إقليم حبي صخري كبير ، موحش قاحل كئيبي ، يكاد يكون غير مأهول بالسكان إلا في بصعة أودبي

خصية تتخلله ، طقسها شديد القبط في الصيف ، قارس البرد في الشتاء ١

وقد وجد مصطفى كمال القوات التركية في القوقاز في حالة فوضى تامة ٠ فان أنور كان قد أعد في العام السابق خطة - من خطته الصحية - أراد بها أن يلفخ جيشه حول جناح الجيوش الروسية ، وهناك يضرب خط تراجعهم ويصطبرهم إلى العودة من حيث أتوا عبر القوقاز . وكان قد حشد لهذا الغرض جيشا جرارا وجاء بنفسه شخصيا من العاصمة كي يتولى قيادته ١٠٠ والواقع أن خطته كانت من الناحية النظرية رائعة ، لكنه كان قد تجاهل الاتصالات الصلية العديدة مثل عامل المسافة والطقس ، فكانت السيرة إلى ذهبت القوات التركية ، في المعارك الحولية ، أعاصير يناير الرهيبة ٠٠ فلم يعد من المائة ألف مقاتل الذين ذهبوا إلى هناك سوى اثني عشر الفا من الأتراك تجدوا من البرد بعد أن التصقوا بمعصمهم بمصاص التماسا للدفء ١ . وهؤلاء هم حدود فرق الأناسول ، رهرة الجيش التركي ١

ومنذ ذلك اليوم أصبحت جبهة القوقاز ، بطرا إلى شدة احتياج جبهة الدردنيل إلى كل رجل وكل سلاح ٠٠ فتقدم الروس سطه ولكن بانتظام ، وأقاموا أثناء تقدمهم القناطر وأنشأوا الطرق ومدوا الخطوط الحديدية ، موطين أقدامهم في كل منطقة يطعمون بها ٠٠ وكانوا قد ظفروا بمدن : فان ، وبطليس ، و موش ، ثم قلعة أضرورم الشهيرة . على أن مجهودهم الرئيسي كان مركزا مع ذلك في جبهتهم الألمانية ٠٠ وكانوا حين وصل مصطفى كمال بمدون مجهوما هائلا للتوغل في قلب تركيا ٠٠ وقد جاء قائدهم العام « الفرانديق نيقولا » ليتفقد بنفسه الحالة العامة في الجبهة ١ وليس مصطفى كمال ضعيف قوة المقاومة عند قواته

التركية ، اذ كان يقصها كل شيء من الطعام والذخائر والأسلحة ، وكانت ثياب الحود قد غمت أسما متهللة ، كما كانت كل مواد تموينهم تحتلست ونهب - فمتهمه جيش يرشون الصايط الدين بيدهم الأمر واليه ويشاركوهم أرباح الصفقات ، فأثرى العريقان من هذه السرقات على حساب تموين الجيش - وكذلك كانت الخدمة الطبية على أسوأ حال - فالجسد يموتون بالالوف تأثر بالدوسنطاريا والتيفوس وغيرها من الأمراض فضلا عن موت الكثيرين منهم تأثرا بالبرد والجوع !

كل ذلك كان في نظر مصطفى كمال دليلا حديدا آخر على الفجور الخطير في كفاية أنور صافسه الذي الأخرق - وقد زاد في حقه عليه أنه ألقى عليه عبء تطهير هذه التركة المثقلة ، لكنه عكف من فوره على أداء مهمته الجديدة بهمة ونشاطه الحارقين ، اذ لم يكن هناك متسع من الوقت ، وقد ، بعد دراسة الاحوال والاحتمالات، أن الروس سوف يهجمون في أواخر ربيع سنة ١٩١٧ ، وأنه ما لم يتخذ ما يمكن انقاذه فورا ويبادر الى اتخاذ اجراءات حاسمة فانهم سوف يحترقون الخطوط التركية دون صعوبة !

ومن ثم أبرق في الحال الى وراة الحرب في العاصمة يصف الحالة العامة ويبين خطر الاستمرار في سياسة همال هذه الجبهة ، ثم أردف ذلك بطلب الاسراع في تجميعه بالامدادات اللازمة والذخيرة والدواء والرجال ... فلما لم يتلق ردا أرسل الى أنور راسا في وراة الحرب برفق - تطوى صيفتها على التحسدى والعظاظة ... لكنه لم يتلذذ ردا هذه المرة أيضا !

لقد كانت حجة القوقاز بعيدة عن أنظار القوم في العاصمة وكان أنور ورجال هيئة أركان الحرب مشغولين بخطوطهم وقد انبرهم في شأن أمور أخرى !

وأزداد مصطفى كمال حنقا وسخطا على أنور ومعاونيه من الألمان ، لكنه برغم ذلك استمر في العمل جهد طاقته لتطعيم قواته واستخدام القليل من العتاد والادوات التي تحب يده أحسن استخدام ... وبدأ بحملة تطهير شملت اللصوص من الضسباط والموردين ، فأرسل بهم عقوبات صارمة ليس فيها شيء من الرحمة أو اللين ، وحينما جرؤ بعضهم - ممن أخطأوا بهم أخلاقه - على عرس الرشوة عليه بال ، يشاركهم أعمال السلب والنهب كان جوابه أن شقهم وأمر بجلد كل من تشب عليه تهمة محلة بالراحة ... كما كان صاروا في معاملته للكسالى والعاشرين ... وهكذا نجح الى حد يثير الإعجاب في إعادة تطعيم فرق الجيش التي تحت يده ، وادارات التموين والخدمات الطبية ، وعمل بغير لوم على بث روح جديدة في صفوف المحاربين !

وكان يماز به صابط ذكي نشط هو الاميرالاي عصمت رئيس أركان حربه ، ويؤب عنه في القيادة عند الاقتضاء فالله يدعى الجنرال كاظم قره بكير ... وكان عصمت ضابطا لواء مجريا ، صغير الجسم شاحب اللون لكنه قوى البنية أثيل المظهر ، ذو رأس صغير وأنف كبير مقوس ، وكان هادئا صموتا ، به شيء من الصمم في سمعه ، متزن الشخصية ، صبوراً مثابراً الى أقصى حد ، خيرا بالاعمال العسكرية وتصريف الأمور اليومية «الروتينية» وتמיד الأوامر غير ذلك بما جعله موضع تقدير مصطفى كمال

أما كاظم قره بكير فكان ضخم الجسم ، بطيء العقل ، لكنه كان مخلصا مجتهدا كموأ محبوبا من مرؤسيه ... وكان فعل عصمت نزيها أميناً الى حد التزم ، وقد قبل كلاهما مصطفى كمال رئيساً له وتعاونوا معه تعاوناً رائعا ... غير ألا برغم جميع الجهود والمحاولات التي بذلها هو ومعاونوه

ما لبث ان ادرك عند حلول الربيع أن هجوم الروس المتظر لن يجد أمامه مقاومة مجدية !

ومرة أخرى استعقب الحظ مصطفى كمال .. فقد تغيرت الاحوال ، فاختمرت الثورة في روسيا ، واضمحلت السمرد والتدمر قواتها الحربية ، فساء النظام فيها واضطربت الأمور .. فبدأ الجنود يهربون من تكتاتهم وشجاعت بيهم روح الهزيمة ، فاستدعى المرادوق يقولوا الى موسكو وأجل هجوم الربيع الى أجل غير مسمى !

وفي حلال أشهر الربيع والصيف - من عام ١٩١٧ - فعل الإنحلال فعله في الجيوش الروسية ، فانهارت وبداعت وصارت كهشيم تذروه الرياح .. وهنا اسهز مصطفى كمال الفرصة بهم بقواته ، لكنه لم يستطع التقدم الا في مطر ، بطرا الى ما كانت عليه هذه القوات من ضعف واقتتار الى العتاد .. فضلا عما أدته قوات ارمينيا وجورجيا المحلية التي نظمها الروس من مقاومة شديدة للدفاع عن ارضها الخاصة ، وأخيرا .. تم له احتلال .. هان ، و .. وبيطليس .. و .. و موش .. ثم واصل تقدمه نحو باطوم !

- وزال خطر الروس في تلك الجبهة ، فقد تبددت حيوشهم واكتسحت .. ولكن الجبهة الجنوبية برر فيها خطر جديد ، فقد راح الانجليز يمدون العدة لشن هجوم من طريق سوريا ، وحادث الأوامر العاجلة من العاصمة - القسطنطينية - بنذب مصطفى كمال لتولي القيادة في الجبهة السورية ، وبإرسال كل حندي وكل سلاح يمكن الاستمضاء عنه الى تلك الجبهة .. فعهد مصطفى كمال الى نائبه كاظم في إر يخلعه في اقام تطهير جبهة القوقاز ، وهرع هو الى العاصمة ومنها الى سوريا

في سوريا والماتيا

كان الانجليز قد عروا - بجيش من الهند - بغداد هاصمة العراق ، واستاءوا رجعتهم نحو الموصل . وفي الوقت نفسه احتلوا يمدون جيشا آخر في مصر كي يهاجموا به الفلسطينيين وسوريا .. فكان لا بد من وقف تقدمهم واسترداد بغداد من أيديهم !

وارسل الألمان - بناء على طلب عاجل من انور - الجنرال | لون فالكهاين | لينظم قوات جديدة اطلقوا عليها فيما بعد اسم (الصاعقة) . وجعلوا مقر قيادتها العليا بلدة (حلب) ، لي ان تدعم بعدد كبير من الصباط والجنود الألمان

وارسل مصطفى كمال الى حيث تولى قيادة الجيش السابع ، ولكنه لم يتبع بذلك المنصب واحتج بقوة على السيطرة الألمانية !

فقد عرف من قبل كيف يتعاون مع رئيسه الألماني السابق | لمان فون ساندروز | ، ولكنه لم يستطع أن يهضم رئيسه الجديد (فالكهاين) ، كما عثر هذا عن فهم شخصية مصطفى كمال القائد الكفاء العنيد المتعد برايه ، فلما فشل في استماتته اليه أقدم على كبري حماقاته فأرسل الى مصطفى كمال « هدية » هي صندوق من العملة الذهبية .. فأرسل اليه مصطفى كمال ، ردا على ذلك ، ايضا لا شئت تسلمه الذهب ، ثم أعاد اليه دهنه فيما بعد واسترد أيضا له .. !

وفي اول اجتماع لهيئة القيادة العليا في « حلب » التقى انور وجمال - وكانا يتوليان قيادة الجيش الرابع - مصطفى كمال وفالكهاين وعدد من كبار القواد الألمان .. وانتقد مصطفى كمال بشدة كل خطط فالكهاين ، وبخاصة خطته التي كان ممترا بها وهدف بها الى مهاجمة بغداد برا ومهاجمة قناة السويس جوا .. فقد كان مصطفى كمال

مقتنعا بأن مصر الهجوم الى العيشل الدريع .. لكن الألمان لم يلقوا بالا الى أمتراضاته وانقاداته ولم يظاهروا على رايه هذا سوى جمال ، الذي كان يحاكيه في معوره من الألمان !

ثم توالى اسباب الخلاف بين الفريقين وازدادت حدة ، حتى لم يجد مصطفى كمال بدا من تقديم استقالته من القيادة الموكولة اليه .. وحاول أنور وعالكهناين اقتناعه بسحب استقالته ، لكنه رفض بل ذهب الى أبعد من ذلك فعين خلفه وأصدر أمرا بذلك الى الجيش !

وأراد العالكهناين أن يحقق معه بتهمة العصيان والتمرد ، لكن أنور حال دون ذلك وأمر بعودته الى مقر قيادته القديمة في ديار بكر . فلما رفض مصطفى هذا الحل راي أنور - لكي يحافظ على كرامته وعلى النظام - منحه اجازة مرضية الى أجل غير مسمى !

ونعدت تقود مصطفى ، فاعطاه جمال مبلغا من المال في مقابل ارتحان جياده ، واد ذلك استقل مصطفى كمال القطار الى القسطنطينية ، وقد اقترب الخلاف بينه وبين أنور من مرحلته الخامسة ، إذ أدرك هو أن موقفه سليم من كل شائسة ، بينما أنور لم يكن واثقا من قوة مركزه ، وكان الشعور العام ضد الألمان وصدده يزداد . وفي الوقت نفسه كان مصطفى كمال قد صار ضابطا كبيرا ذا شأن وصيت ذائع ، بحيث لو اتخذ أنور أي اجراء لاتهامه بالعصيان بسبب رفضه الخدمة تحت سيطرة الألمان لثار عمله هذا عاصفة شعبية وخلق من مصطفى كمال بطالا وطنيا .. !

وعاش مصطفى كمال في العاصمة مع امه وأخته في المنزل رقم ٧٦ بشوارع « اكارتر » في ضاحية « باش قطاش » ، القائمة فوق التلال الواقعة خلف المدينة ، لكنه - كماداته - وجد الحياة العائلية ثقيلة لا تحمّل . كما كانت القيود التي

لا بد منها كثيره وتسخطه ، فهو يكره ان يرى النساء ملفات حوله دائما ، يثرثرن ويتصحن ويتنقذن ، بل ويعنين بأمره ويبدخن في شؤونه .. وإنما كان يريد النساء فقط من أجل المعاماة العابرة ، لا الرفيقة الدائمة .. ففي جميع الشؤون ، حتى في أدق دقائق حياته وتفصيلاتها ، كان ينبغي أن يكون حرا من كل قيد !

ومن ثم استاجر لنفسه حجرة في فندق « بيرا بالاس » المثل على القرن الذهبي واستامول .. وهناك عاش معمدا ساخطا منطويا على نفسه .. وان لم يدع فرصة تمر دون أن يجاهر برأيه في وجوب مهاجمة أنور والسيطرة الألمانية !

وبدا بعض الصباط والساسة الذين كانوا يعارضون أنور يلقون حول مصطفى كمال .. حتى غدا من الخطر ابقاء هذا القائد النازي في العاصمة عابلا عن العمل .. فلما تم الاتفاق في ربيع سنة ١٩١٨ على أن يقوم الأمير وحيد الدين ولي العهد برعاية رسمية لألمانيا .. الحق أنور مصطفى كمال بعاقبة الأمير المرافقة له في هذه الزيارة . وذلك للتخلص مؤقتا من وجوده في العاصمة .. فضلا عن إتاحة الفرصة له كي يرى آلة الحرب الألمانية وهي تعمل لماله يقتنع بقوة ألمانيا وانتصارها في الحرب .. !

وقبل مصطفى كمال المهمة التي أسندت اليه كي ينجو من التعطل الذي عاناه طيلة ثلاثة أشهر ، وكان نقاؤه بلا عمل أثقل الزان العذاب على نفسه ولا سيما أنه لم ير في الأفق بوادر « تغيير » قريب يرغم امتلاء العاصمة - كالعادة - بالأميرات والدسائس .. ذلك أن القائمين بها نكرات ضئيلو اللوذ والشخصية ، ومن رجال الطبقة الثانية ، ومن ثم حرص على أن ينأى بنفسه عنهم .. وكان أنور بفصل

سيطرة آلة الحرب ، مستوليا على مقاليد الأمور معه وحزم !

ومن جهة أخرى راق مصطفى كمال أن يرى الجيب الألمانية وبتنقى بكبار صباط القيادة العليا هناك . وقد بدء في التذابه على قوله السفر . . وقبيل حلول مواعيد يومين توجه الى قصر ولي العهد لتقديمه له رسميا ، وهناك جلس في انتظار الادب في المفاسد على مقعد غير مريح في حجرة مزركشة الجدران بألوان السجاد ، بينما وقف رحى القصر حوله في أرديتهم الرسمية يتهامون !

ودخل وحيد الدين . . وكان رجلا هريلا كثيف شعر الجسم ، ذا رقبة طويلة ووجه يبدو عليه الضعف ، يرتدى مجموعة من ثياب الصباح لا تلائم جسمه . . وجلس على أريكة مزدحمة بالوسائد والرياش ، وبعد أن تقلب تحيات رجال حاشيته أغمص عينه ثم فتحهما مرتين بعد مجهود . وأبدى ملاحظتين تافهتين ، ثم عاد يغالب الناس . . فأدرك مصطفى كمال أنه أنه !

وفي موعد السفر وصل الأمير الى المحطة في ثيابه المدسدة ومر يسرعز قره قول الشرف وهو يرفع يديه الى حبهه بالتحية على الطريقة الشرقية ، فلم تعصم عافية مصعب كمال العسكرية هذه الحركة واحتج عليها لدى مدير ادارة المراسم « البروتوكول » فأسكبه هذا طالبا منه ألا يتدخل فيما لا يعنيه . . ثم تبين أن رتبته العسكرية ومرتبته مد جعضا ، وأن المكان الذي حصص له يقع في المرة الأخيرة من القطار ، مع امتعة ومهمات نفية الركاب ، فلما شكأ من ذلك لم يابه لشكواه أحد . . وعومل كصابط صغير ، وأمر عصبه أن يحف نه كل هؤلاء القوم من حشاله موطنى القصر . مسلكتهم اساق لليانة وتمقهم لمن هم اكبر منهم وقطاطيه .

مع من يصعرونهم في المقام . . . وحين وقف يرقب الأمير ، بوجهه التحيل وعينه العيين ، مطلا من إحدى النوافذ بتقل في اعياء هتافات أخواهير عند بدء تحرك القطار ، أدركه الندم على حماقته التى جعله يقل مثل هذه المهمة . . . فقد آله - وهو التركي العجوز بتريته - أن يرى بلاده تمثل في أوروبا بواسطة بعثة يرأسها مثل هذا الأمير العاجز الأبله . . !

على أن القطار لم يكد يمر الحدود التركية حتى حاده ساع يحس اليه أمرا بأن يذهب ليفس ولي العهد في عربه ! فعصى مصطفى كمال أمر الممر الطويل نائر النفس مفعلا ، وحين دخل العرب السطاسه أدله أن يحد الأبله العلى الذى رآه في القصر قد أحصى ، وحل مكانه رجل يقظ موفور الانتباه ينظر اليه بعينين دكيتين ثاقبتين !

كان وحيد الدين قد عاش سنتين عاما في القصر تحت حكم السلطان عبد الحميد ، الذى كان قد أعجب به ودوره أحسن تدريب ، لكنه لم يكف عن مراقبته طيلة الوقت بواسطة عيونه وأرصاده ، فعاش الأمير كل ذلك الزمى في خطر دائم ، كان يكفى أن تغلت منه هوة واحدة أو إشارة تنم عن طموحه أو اهتمامه بالسبب أو العالم الخارجى ، فسرعان ما يختفى من الوجود ، أو يرح به في عاصف السجون . . . ومن ثم عهد الى اتخاذ ذلك المظهر التسكرى المخادع ، مظهر الأبله الواقع تحت تأثير مخدر أو موم . . . بينما كان في الواقع يحفى وراء هذا المظهر فكرا ناقا وعقلا ذكيا . . !

وكان مطمعه وهدفه أن يصير سلطانا . . بينما أراد أنور وطنعت وبقية أعضاء اللجنة العليا أن يتحاوروه الى ابن أخيه عبد المجيد ، وعلم هو ذلك فكان من الحذر والمكر معهما ومع الجواسيس الذين أحاطوه بهما مثلما كان مع

السلطان !.. ومن ثم حرص في العاصمة على ان يعامل مصطفى كمال بالاهمال والارذءاء اللذين يقتضيهما الخذر .. اما الآن فما هو ذا بحبيبه في حرارة ويعتذر اليه بان له يستطع التبسط معه في العرصة السابقة .. ثم هناك على نحاحه وانتصاراته كقائد حربي ، وبهذا الاطراء المستحب ارضى غرور مصطفى بحيث ازال استيائه واثلج صدره من فوره !..

وسرعان ما صار الاثنان صديقين حميمين ، وغدا مصطفى خذن الأمير وأمين سره . وكان كلاهما يكره أنور وظلم ، فابعدا فترة الرحلة كلها في احاديث تسودها روح النقمة والتفاهم المتبادل !

ورأى مصطفى كمال في ذلك فرصته المرتقبة .. فالسلطان الحالي رجل مريض ولا يمكن ان يعيش طويلا .. ووحيد الدين ضعيف هزيل لن يعمر .. وهكذا يستطيع هو ان يرقى العرش بعد زمن وجيز ، فيضد سلطانا وقائدا هاما في الوقت ذاته !.. وادن فيجب ان يوطد نفوذه وتأييده على وحيد الدين ، كي يصيح القوة المحركة لصاحب العرش المقبل ، ومن هذا الطريق يرتقى الى القمة ويستائر بالسلطة التي يريدها !.. واول شيء ينبغي ان يفعله هو ان يقتنع وحيد الدين بان ألمانيا لا تستطيع ان تكسب الحرب ، وان التحالف معها حماقة جنونية ، وان أنور ومن يظاهروه من الالمان يجب ان ينحوا عن الحكم !

وبقى خلال رحلته في ركاب ولي العهد بألمانيا لا يكف عن ابداء انتقاده لكل ما لم يحبه في حرية تامة .. واستقبلهما الفيلد مارشال « هندنرج » في مقر القيادة الألمانية العليا ، وعرض امامهما في لهجة المتفائل تفصيلات الموقف في جميع الجبهات - ومن بينها الجبهة السورية - فلما خرجا من عنده صارع مصطفى كمال ولي العهد بان اكثر ما قاله القائد

الآللي وهم وخداع ، وبأنه هو نفسه يعرف من حقائق الموقف في الجبهة السورية ما يتقضى كلام هندنرج !

ولم يستطع مصطفى احفاء كراهيته للالمان ، وزهو البائع بالركبته ، وایمانه بتركيا والأتراك .

ولما اقتربت الحولة من نهايتها ازداد مصطفى كمال سحيا الى هدفه .. واخيرا سال الأمير ذات يوم - وكانا في فندق « ادلون » ببرلين - ان يسمح له بان يكون صريحا معه .. فلما ادس له في ذلك اردف قائلا : « اريد ان اقترح شيئا من شأنه - اذا وافقت عليه - ان يربط حياتي الى حياتك »

وهندلد اوما اليه ولي العهد كي يستطرد ، فقال : « اري ان تطلب من الالمان ان يعهدوا اليك في قيادة جيش من جيوش تركيا .. ان جميع الامراء الالمان يقودون جيوشا فكيف لا يلود ولي عهد تركيا جيشا من جيوشها ! وانها لاهانة كبرى ان أنور لم يقترح ذلك من قبل .. ومتى لم ذلك فانه يستعنى ان تجعلني سموك نائبا عنك في القيادة ! »

فساله وحيد الدين : « وای جيش تقترحه ؟ »

والا ذاك اجابه مصطفى كمال : « الجيش الخامس » وكان يعلم ان هذا الجيش يقرر مصير العاصمة والمنطقة المحيطة بها ، وسوف يكون العامل الحاسم في اية أزمة سياسية !

فقال الأمير : « ولكنهم سيرفضون طلبی ! »

فقال له : « لا بأس !.. اظهر لهم انهم باراء شخصية محسب حسابها ، وانهم لا يستطيعون تجاهل سموك ! »

فقال الأمير : « حسنا .. سوف نتدبر الامر ، عقب مروتنا الى العاصمة ! »

السلطان الجديد

بدأ مصطفى كمال خلال العودة من ألمانيا يرسم خطط المستقبل ، وأوصى إليه الأمير وحيد الدين في اهتمام . لكنهما لم يكادا يبلغان العاصمة حتى سمع مصطفى مرسم لرخص شديد ، فقد كان أثناء مقامه بصوفيا ، أصيب بمرض خطير أصعب علاجه فلم يشف منه تماما ، ثم أرقق جسمه وعقله في خدماته العسكرية ، كما كان في حياته الخاصة يعطى في الشراب ويمتنع في المجون ، فكانت النتيجة أن أثر الداء في كليتيه ، واضطر إلى ملازمة الفراش شهرا كاملا كان خلاله فريسة لآلام مروعة ، ثم أشار عليه الأطباء بالاستشفاء في فيينا وكارلسباد !

وكانت تصحب الداء نوبات انقباض وكآبة اجترحت إلى مهاوى اليأس وأفقدته النشاط والمبالاة بأي شيء ، وما هنا تلقى في كثير من العتور بأ موت السلطان في شب يوليو ونولى وحيد الدين عرش تركيا والحلافة بعده . وإيفقه هذا النبأ بالمسارعة إلى البلاد لاستئناف عمله في العهد الجديد !

وتلقى من العاصمة رسائل عدة نصح له فيها كابووا بأن يجعل بالعودة ، وذكروا أن السلطان قد اتحد عزت باشا عضو جماعة «الاتحاد والترقي» مستشارا له ، وانترخ من أنور لقب « نائب الجبرال » . كما بدأ يكثر عن أبيانه لكل زعماء الإصلاح . على أن مصطفى كمال - مرغم كل هذا - لم يعد في نفسه أية رغبة في اتحاد خطوة إيجائية . واكتفى بأن أرسل إلى السلطان الجديد كتاب بهتة !

لكن رسائل أصدقائه توالى عليه ، كما تلقى خطابا من عزت باشا ناشده فيه أن يعود للعاصمة التركية . وإزاء ذلك لم يسعه إلا أن يتحامل على نفسه ويعود للقسطنطينية

مرغم مرضه الشديد ، فوصل إليها محطما مهدود القوى ، إذ أصيب في الطريق بألمورا حادة ، وكانت الألمورا في ذلك الوقت أشبه بطاعون محيف يكتسح أوروبا ويقفل آلاف الضحايا كل يوم !

على أن مصطفى كمال كان بطبعه قوى الأعصاب إلى أقصى حد ، بل كان نشاطه العصبي هو القوة الكبرى المحركة له ، ولما وجد نفسه مرة أخرى في القسطنطينية ، بين أعدائه وأصدقائه ، أمده أعصابه بقوة أعادت صحته العامة ، وجددت آماله القديمة ، فقرر الشروع في تنفيذ الخطط التي رسمها بالاتفاق مع السلطان الجديد الحاكم بأمره منذ كان معه في ألمانيا وهو بعد ولي للمهد !

واستقبله السلطان الجديد بكل مظاهر الود والترحيب . بل ذهب وحيد الدين إلى حد أن أشمل له سيجارته . وهذه ، وهي عادة لها في التقاليد التركية دلالة الإكرام والتبجيل ، الأمر الذي شجع مصطفى كمال على أن يصارحه بأرائه في حرية تامة . وشرح له خطته القديمة مؤكدا أن الدمار الذي يهدد البلاد قد صار قاب قوسين أو أدنى ، فإذ يسعى أن يتولى السلطان بنفسه السيطرة التامة على الجيش ، وأن يحدد أمور والعواد الآن من كل سلطة ، ليكون الأمر له حقا ولا يكون سلطانا بالاسم فقط كما يريدون . لم عاد مصطفى كمال فأكّد استعداده لأن يصطلح بأعزاء القيادة العامة ، وبذلك بعد تركيا من الهاوية التي ستتردى فيها . نعم عليه أن يتحرر من التحالف الألماني ويعقد صلحا مبرورا على العور ، قبل أن تموت العرصة الملائمة ! وسائله وحيد الدين : « هل هناك صباط آخرون يضطرونك هذا الرأي ؟ » ، فأجاب مصطفى : « هناك كثيرون يا مولاي ! »

لكن وحيد الدين لم يعد بأي شيء . وفي المقابلة التالية

لم يتقدم مصطفى كمال نحو غايته خطوة تذكر ، لكنه في
المقابلة الثالثة عاد الى شرح وجهة نظره .. وكان يتكلم
بلهجة التنوكيد ، فقد رأى احلامه القديمة العريضة في مساوئل
يده ، وليس يقصده الا أن يعلج في التأثير على السلطان
فيقنع الى القمة دورا ويستأثر بالسلطة التي طالما تحلب
لسابه عليها .. ويطرده أور - مناعسه اللعين - وكل
عصبته ١٠٠

واحتد مصطفى في كلامه ، محاولا اقناع مولاه ، واد بدأ
السلطان يجيبه تناسي مصطفى آداب اللياقة واستمر في
كلامه حتى طوى صوته على صوت السلطان .. فلما مرغ
من قوله اسرى له وحيد الدين قائلا في لهجة الحزم والتنوكيد
« لقد نظمت كل أموري بالاشتراك مع صاحبي السعادة
أور باشا وطلعت باشا » ثم صرفه من حضرته على العود
والواقع أن أور كان قد هدد السلطان ، باستشعار
وحيد الدين صهره وصفيه مريد باشا ، واقعه هذا بأنه
ليس من القوة بحيث يتصدى لمعارضة أور وجميعية الاتحاد
والترقي ، وبأن مصطفى كمال ليس له أتباع يذكرون ..
ومن ثم فالخليفة تقتضيه أن يحذر فلا يخاطر بمرشه ١٠٠

وهكذا أهمل السلطان الجديد مصطفى كمال ايضا ، فزاده
ذلك غصبا وحقا على أنور ، وبدأ أن قد فشلت جميع خطط
القائد المأمور وتبددت كل احلامه .. ولم يكن في وسعه أن
يفعل شيئا عاجلا لمقاومة تيار القوى المناوئة له ، فاطوى
على نفسه وقرر أن ينتظر ما تأتي به الايام ١٠٠

أما أنور فقرر من جانبيه أن يتجنب كل خطر جديد من
جهة مصطفى كمال ، فقرر ابعاده عن العاصمة بأسرع ما
يمكن .. ولم يمض أسبوعان حتى دعا السلطان اليه
مصطفى كمال ، ووجده هذا بين أفراد حاشيته وبعض

القواد الاثنا ٠٠ وبعد أن استقبله محتفيا مرحبا ، خاطبه
قائلا : « هذا هو مصطفى كمال باشا ، وهو من أكمل
الضباط الذين أتق فيهم » .. ثم استدار الى مصطفى
وقال له : « لقد عينتك يا صاحب السعادة قائدا لجبهة سوريا ،
لنبي ذات أهمية قصوى .. وأنا أريدك أن تذهب اليها في
سراة ، والا ندعها تقع في أيدي العدو ! وأنا أعلم أنك
معتزدي المهمة التي أعهد فيها اليك على خير الوجه وأقربها
الي كمال » .. ثم صرفه من حضرته على أثر ذلك من غير
أن يترك له أية فرصة للكلام !

وفيما كان مصطفى كمال يمبر الهجرة المحاوره مكتعب
بالسلطان النفي وحما لوجه بعريه أور : « فأدرك أنه
الحرك الذي أعزى السلطان باتخاذ هذا القرار ، وبعد أن
لمت برهة واقفا ينظر اليه .. قال له : « مرحبا يا أور
فرحي » .. اسي أهيك ، لقد انتصرت ! .. ان المعلومات التي
طددي تقرر أن جيش سوريا لا يوجد الا على الورق ،
لهارسالك اياي الى هناك قد انتقلت لمسك أعظم انتقاما ،
ووقف الخصمان متواجهين : أنور بحسبه الضليل
الفضط ، المغطي بالأوسمة والياشين ووجهه الصبباني
لضاحك المرح ، وشخصيته الظرفية الشجاعة .. ومصطفى
كمال بقوامه الطويل ووجهه الاغبر الداكن ، وشخصيته
المشاكسة المكدة ، وحاجبيه المقوسين فوق عييه المليئين
بالغضب !

وفي تلك اللحظة قال قائد الماني كان في ركن الهجرة
بصوت مسموع : « لم يعد في الوسم عمل شيء للحيشوش
التركية .. انها قطع ماشية لا تعرف غير الهرب » .. ولست
أحسد أي شخص يتولى قيادتهم !

واد ذاك اندفع مصطفى عاضا نحو القائد الألماني وقال
له وقد اشمعلت عيابه غصبا وانتفض حسبه كله : « أنا

أيضا حدى ، وقد توليت القيادة في هذا الجيش . ار
الجندى التركي لا يهرب أبدا ، وهو لا يعرف معنى التراجع
.. فادا كنت قد رأيت ظهور الجنود الأتراك يا مسيحي
الجنرال فلابد أنك رأيتها أثناء هزارك أمت داتك .. كيف
تجرؤ أن توبخ الجندى التركي من أجل جسدك أنت ؟

وجلجل صوته في أركان الحجر وسط الصمت المطلق ..
وما لبث أن عرس الحجر ، مارا بأبور ، الى خارج القصر

هزيمة تركيا

وصل مصطفى كمال الى مقر قيادته في الجبهة السورية
في أواخر أغسطس ، فقدم نفسه الى القائد العام الأتالي
« ليمان فون ساندور » - وكان فالكهاين قد عاد الى ألمانيا
في الربيع - فأبدي فون ساندور سروره بالتعاون من حديد
مع مصطفى كمال ، وقام معه بحولة في أنحاء الجبهة كلها ،
حيث كان الأتراك قد حفرُوا حنادقهم على طول الجبهة من
العرب الى الشرق عبر فلسطين ، ابتداء من نقطة تقع على
عشرة أميال الى الشمال من نابا ، ثم بمحاذاة الشاطئ على
طول السهل المسيح ، فتلال « اليهودية » ، فسر الأردن ،
الى سكة حديد الحجاز ، فالصحراء !

وتسلم مصطفى كمال قيادة الجيش « السابع » من
الجنرال فوزى ، الذي نقل الى القسطنطينية رئيسا لهسته
أركان الحرب .. وكان الجيش السابع يسيطر على النطاق
الأوسط من خط الدفاع التركي ، ويتألف من فرقتين
تتسكرا في الحنادق ، ترأس أحدهما الأميرال عصمت
والثانية الأميرالاي على فؤاد . وإلى اليمين كان الجيش الثامن
والفرقة الثانية والعشرون بقيادة الأميرالاي رفعت بدافمان
عن الخط الممتد الى شاطئ البحر .. وإلى اليسار كان الجيش
الرابع يحوى سكة حديد الحجاز !

ووحد مصطفى كمال حاله القوات التركيبية في الجبهة
اصموا كثيرا من حالها في القوقاز .. كان الجنود مهبطي
الغياض ، تعيش في أحسادهم الحشرات والبهائم ، ويقصهم
الظلم بل يقصهم الماء في كثير من الأحيان .. كانوا يموتون
الألوف من الدوسطاريا والجوع تحت شمس الصحراء
لحرق المروعة .. وكانت روحهم المسوية قد اهارت تماما ،
لم تعد تعيهم في حنادقهم غير القوة ، ممثلة في داوريات
من حملة المدافع الرشاشة يطوفون بأصحاء الجبهة في سيارات
للل كبيرة ولديهم أوامر بإطلاق النار على كل من يحذونه
خارج الحنادق .. ومع ذلك كان عدد العارفين يزيد على عدد
الباقيين !

وكان الانجليز قد اتخذوا لأنفسهم خطا للقتال يقع في
واجهة خط الأتراك .. وكان واضحا أنهم يعدون العدة
للقيام بهجوم كبير ، وأنهم متوقعون تفوقا كبيرا في العدد
والعدة ، وفي الحماسة ، والروح المعنوية ، وهذا عدا تفوقهم
في التنظيم والتموين والخدمات الطبية .. وبما لديهم من
المخازن الواسعة المملوءة بالذخيرة ، والمدفعية الوافرة ،
والطائرات العديدة ، والمواصلات الميكانيكية المنظمة ..
إلخ لم يكن عند الأتراك سوى ثمانى طائرات ومدفعين
ضاديين للطائرات !

وكان العرب نزعة الأمير فيصل بن الحسين ملك الحجاز ،
قد اصموا الى الانجليز .. وأقبلوا يشنون الغارات المتوالية
في الصحراء - بقيادة صديقهم الانجليزى « ت » لورنس -
- فيقطعون السكك الحديدية وحطوط التليفون والتلغراف ،
ويستفون الكبارى ويأسرون القوافل ويهددون المواصلات ،
ويخلقون بين قوات الأتراك شعورا بعدم الأمان .. ويشيرون
الإمامي الوطيين في سوريا كى يرمعوا رايه التمرد
والنصيان !..

ومرة أخرى انهك مصطفى كمال في عمله بحماسة المهودة ، بادلا أقصى جهده في سبيل تحويل القوي والاضطراب الى شيء من النظام . لكن مرض كليتيه لم يلبث أن عاوده بشدة فأجأه الى أن يلام فراشه في مركز قيادته في « نابلس » ، بلا حول ولا طول ، في الوقت الذي أجمعت فيه كل التقارير السرية التي وردت عليه في ذلك الاسابيع الاولين في سبتمبر سنة ١٩١٨ على أن الانجليز يتأهبون لشن هجومهم الخامس !

وفي ١٧ سبتمبر أقبل على خطوط الجيش الثاني والعشرين امباشى هندي حارب من الجيش الانجليزي ، وأبلغ المسئولين أن الهجوم الكبير الذي يتأهب له الانجليز سوف يحدث في يوم ١٩ ٠٠ فنقل رعت النبا الى مصطفى كمال ، وأكد صحته القائد ان عصمت وعلى فؤاد . وكان رعت قد قضى ثلاثة أعوام في محاربة الانجليز في هذه الجبهة فعرض أساليبهم ، ثم أرسلت هذه المعلومات الى القائد الألماني « ليتمان فون سايدر » بوصفه القائد العام ، لكنه لم يوافقهم على الرأي ، ووجه أن الامباشى الهندي الذي جاء بالنبا ليس الا حاسوسا عليهم ، وأما الهجوم فسوف يأتي بمحاذاة السكة الحديدية الى الشرق . ومن ثم نقل أحسن قواته الى ذلك الاتجاه ١٠٠ !

وبقي مصطفى كمال عند ترحيبه صدق رواية الهندي ، وعلى هذا لم يجد بدا من أن يتعامل على نفسه ، ويترك العراشي برغم الحمى التي كان مصابا بها ، وبرغم القبط القتال في تلك الاوبة . ثم استعان بعريمته لمواجعة الموقف ، واتصل بجميع رؤوسه ليكوبوا على استعداد ! وفي منتصف ليلة ١٩ سبتمبر انفصل عصمت بزملائه بالتليغون ، وأحضرهم أن العدو بدأ يمهّد للهجوم بحملة قوية من القبايل الثقيلة . ثم بدأ الهجوم العام عند العجر ، مركز

الانجليز جهودهم في جبهة الجيش الثامن ، واخترقوا الجناح الايمن لخط دفاع الاتراك . ثم تقدموا نحو الساحل ، واكسحوا الجيش الثاني والعشرين ، والجيش الثامن بأكمله ، حتى كادوا يأسرون القائد العام الألماني « ليتمان فون سايدر » . ثم التفتوا حول مؤخرة الاتراك وقطعوا الخط الرئيسي لتفقرهم نحو الشمال ١٠٠ !

والسحب مصطفى كمال بحيشته جاعلا ظهوره الى نهر الأردن بينما امتصر في القتال برغم أن خسوفه كانوا قد صاد الذعر في صفوفهم . وكان الفصل لسيطرته الشخصية على من بقى منهم ، وفي اليوم الخامس تأهب لعبور النهر وبقي يشرف بنفسه على جميع التفصيلات والدقائق حتى عبرته كل قواته ثم تبعها الى الضفة الاخرى . ولكن لم يلبث دقائق حتى كرت عليهم فرقة المرسان الانجليزية الحادية عشرة فقطعت الاتصال بينهم وبينه ، ونجا هو في آخر لحظة !

وكان الجيش التركي الرابع يتسحب بمحاذاة السكة الحديدية ، فجمع مصطفى كمال قوته ومضى بها نحو الصحراء . لكن العدو صاحبه من الخلف والحاجين ، فصعدت مدافعه الرشاشة مؤجرة قواته مرتين ، وهاجمته طائرات الانجليز من أعلى فصعدت من حصنات ودمرت بوابلاته ومدفعيته بالقنابل والمدافع الرشاشة . فامتلات مساحة القتال بحماعات من الرجال المذعورين الذين يشدون الفرار بأنفسهم تاركين أسلحتهم ودخائهم وعرائثهم لعائيتهم في اضطراب لاحد له . وفي الوقت نفسه انقص عليهم العرب الذين يعملون مع « لورنس » فأعملوا فيهم الرصاص والسيوف !

وخلال ذلك كله ، ظل مصطفى كمال مسيطرا على طابوره الصغير الذي بقي له بفضل شخصيته الجبارة ، وراح يستحث

المحيطين به على القتال ، مزودا اياهم بالشعاعه والحماسه
حتى انسحبوا اياهم بمحاداة الخط الحديدي الى دمشق في
سرعة افقدت الانجليز كل اتصال به !

وفي دمشق تمهل قليلا ، وأمره « فون ساندور » بأن
يشي خطا دفاعيا جديدا في « الرياف » ، فترك عصمت هناك
ومضى لاجار هذه المهمة ومعه علي فؤاد حيث عكفا معه على
العمل الشاق. ولكن في تلك الآونة جاءت الاساءه بأن الاهالي
في مدن الساحل استسلموا للانجليز وأعلنوا ترحيهم بهم ،
وبأن بيروت سقطت في أيديهم ، فأصبح أي خط يشي في
« الرياف » مهددا بتطويق الجاحين من الأعداء !

وأحد مصطفى كمال يفكر في الأمر فمأى أن الانحلال
المعزى قد شمل جميع القوات ، حتى الصفاط الدين من
رتب عالية نابوا بشدون الفرار ، وقد باتت بالفسل كل
محاولاته في سبيل وصح حد حالة السعر السائدة . وحدث
أن لمح قائد الجيش الرابع أنباء فراره فأوقفه وقال له
« أنت تستحق أن تشقى ، لكني سأمنحك فرصة أخرى ،
فهيا صم نفسك تحت تصرف علي فؤاد في (الرياق) » . وكفر
عن فراره ' . . . فحياء القائد وانصرف ، وفي الصباح
البالي كان قد فر من حديد فم يعف له أحد على اثر !

وأراء هذه الحالة التي سادت صفوف صباط القيادة العليا
أنفسهم ، وحدث مصطفى كمال ألا فائدة من أن يأمر بأعداد
الجنود أو صغار الصفاط العارين . . . وأدرك أن تنظيم
الصفوف يحتاج إلى متسع من الوقت ، ولما كان الانجليز
ما يزالون بعيدين ، وفي استطاعة الأتراك أن يستحووا
فورا مسافة مائه ميل إلى « حلب » متحليين عن سوريا كلها ،
ثم يعيدوا الحصن وراء خط دفاع حديد في الشمال ،
فيستدوا الطريق إلى تركيا داهيا في وجه الأعداء الراحين !

وتوجه من فوراً إلى « ليسان فون ساندور » حين عرض
عليه هذا الرأي ، فقال له القائد الألماني « إن حطكت وجهه ،
لكني لا أستطيع إصدار الأمر بتعبيدها ، لأنني لا أريد أن
أحمل مسئولية ترك قطعه كبيرة من الامبراطورية العثمانية
لقعه سائلة للأعداء دون أن أصرب صلبة أحيرة . . . إنها
مشكلة عنكم اسم الأتراك أصحاب البلاد أن تفرروا ما ترويه
في شأنها ! »

فأجاب مصطفى كمال : « أنا أتحمل المسئولية الكاملة » .
ثم أصدر أمره بأنك فوراً عن كل صدام مع العدو
وبالتأهب للاستحباب العام إلى حلب . وذهب بنفسه في
المقدمة وأعد خطا دفاعيا جديدا على بعد عشرة أميال شمالي
(حلب) كي يحمي الطريق الوحيد الذي يحرق حبال
طوروس الحصار إلى تركيا نفسها . وكان حياحا الخط
الجديد محميين ، لا يستطيع العدو أو العارون من الخدمة أن
يعبروا منها دون أن يصطدموا بالمدافع عنهما . . . ولئن
صاعت سوريا وفلسطين وبلاد العرب - التي كان الأتراك
يحلوها كرامة وحكام لا عبر - فقد صار في وسع مصطفى
كمال الآن بفصل هذا الخط الدفاعي الحديدي أن يجعل حدوده
يقامون وظهورهم إلى الحائط دفاعا عن وطنهم ذاته !

ولم تكن اعيال المهرومة تفصل حتى أعاد مصطفى
تنظيمها وأعد منها فرقا جديدة قدب بأمرادها إلى حطال القتال
بعد أن بلغ فيهم من روحه الحماسية القوية . . . ثم أبقى
إلى السبيل بطله باقتصاد أمور وعصائه وتأييد حكومه
جديدة يسمند اليه هو فيها منصوب وزير الحربية !

ولم يتبق أي رد على ترفيته هذه . لكن الابناء جاءت على
اثر ذلك بأن كلا من أمور وطبعت وحمال قد ولوا الأعداء
عبر البحر الاسود ، وبأن حكومة حديده قد ألغت من الكاش
رؤوف والجنرال فوزي وآخرين !

الاتراك الى مراكز اعدت لهم من قبل على بعد عشرة اميال الى الشمال !

وفيما كان العريقان ينتظران وصول الوحدات لاستئناف القتال جاءت الاباء من العاصمة بأن الحكومة وقفت على اتفاق للهدنة في « مدروس » - وجاءت الأوامر الى الامان ليعودوا جميعا الى ألمانيا فوراً !

وهناك في حانة بمدينة « أمسة » تسمم مصطفى كمال من « فون ساندور » قيادة جميع قوات تركيا الجنوبية ، وواجه كلا الرجلين الآخر عن مصددة صميرة من مناصد القهى ، وقد صار مصطفى كمال المصيف وفون ساندور صيفه - لا رئيسه ٠٠ وفي ساعة الهزيمة هذه لم يكن عند الرجلين كلام كثير يتبادلانه ٠٠ كان كلاهما شجاعاً قوى الشخصية وعسكرياً مجرباً مرهوا بنفسه ، يحترم الآخر دون أن يظهر له شعوره ٠٠ فلما حانت ساعة الوداع قال فون ساندور لخلعه وهو يصافحه « لقد عرفتك منذ توليت القيادة في (انافارتا) ٠٠ وانى لا أعبط نفسي على كونى قد اكتشفت مقدرتك منذ البداية » لقد احتكما في كثير من الأحيان ، لكنهما صربا صديقين ٠٠ وعزائي الوحيد اليوم انى أترك القيادة في يديك القديرتين !

لقد هزمت تركيا ، لكن مصطفى كمال - وقد انعد بالامر والنهي في هذه الجبهة ، انى وهو المحارب الباسل أن يستسلم استسلاماً رحيصاً ، فبافش كل تفصيل ينصل بشروط الهدنة التي يعرضها العدو ، وانتهر كل فرسه ٠٠ وحين أراد الانجليز أن يحتلوا « اسكندرونة » انكر عليهم هذا الحق وامر حاميتها بالمعاصرة بل هدد باستشاق القتال ٠٠ وحين أرق اليسه « عزت » - رئيس الوزراء - أمراً ، ثم راحيا منه أن يستسلم ٠٠ أحابه قاتلاً « يعبى الأقبيل

واقترح زعماء العرب ، بتحريض من صديقهم الانجليز « لورنس » أن يستخدم مصطفى كمال بعوده ليضع الحكومة التركية بنعش باب المفاوضة في عقد صلح منفرد مع الحلفاء ٠٠ لكن مصطفى كمال رفض الفكرة مفضلاً الاستمرار في القتال ، فهو ليس حباناً ليهرب كالأجربين أمام تهديد الأعداء له ٠٠ ومن ثم راح يواصل الكفاح ليل نهار كي يقوى تحصيناته !

وفي البداية ظل سكان وحلب متذرعين بالهدوء ، ولكن لم تكن طوابير الانجليز المتقدمة تقترب منهم حتى انقلبوا معادين مشاغبين ٠٠ وكان مصطفى كمال يعيش في فندق « بارون » الواقع في وسط المدينة ، فحدث وهو عائذ اليه من مكنته في سيارته وليس معه سوى السائق أن احاط به بعض المتحمهزين الذين راحوا يتصاحبون عنده كالكلاب السابحة ، فداهم عن نفسه يسوط كان في يده ، وحين تبعوه الى الفندق رشاهم بوعده بامدادهم بالمال والسلاح

وفي الصباح التالي سمع صجحة فخرج الى شرفه غرفته ، وادا الشوارع المحيطة بالمدق تملج بالجمهير الصاحبة المهتدة ، وعلم أن الصرب اغاروا قادمين من الشرق عبر الصحراء واملائت بهم المدينة !

ولم يكن امامه في الوقت متسع ، فاحل المدينة فوراً ونقل مركز قيادته الى « كيتما » وراء الخط الجديد ، واستعد للملاقاة الهجوم القادم ٠٠ وفي ٢٦ أكتوبر ظهرت طلائع القوات الانجليزية الزاحفة ، وهاجمت خط الاتراك عند قرية « هارى تان » فركبان من فرق الفرسان اليهود ٠٠ فتوجه مصطفى كمال من فوره الى القرية وتولى ادارة الدفاع بهمسه ، وكان الاتراك قد استردوا روحهم المصوية فقاتلوا قتالاً عيباً ، ومضى اليهود بخسارة فادحة اصططرتهم الى التراجع بغير انتظام والمسارة الى طلب السجندات ٠٠ بينما تراجع

المدة . والا أباد الإعداء كيافنا اداة تامة ! »

واستمر يقوى خطوطه ، وأرسل صباطا الى الجبال الوادعا خلفه بعد أن رودهم بالسلاح والدخيرة كي يجمعوا رجالا ويؤلموا منهم عصابات قوية غير بطاميه ٠٠ انه سوف يوسع تغفل العدو في تركيا بوسيلة أو بأخرى ٠٠ سوف يتأهب لانسوا الاحتمالات ، ولو لحرب عصابات يشنها في الجبال اذا اقتضى الأمر ١٠٠

وتألمعت حكومية جديدة في العاصمة تصمم فتحى والكاتس رؤوف والجرال فوزى ٠٠ واستدعى عصمت ليكون وكيلًا للوزارة لشئون الحرب . أما مصطفى كمال فقد ترك وأهمل . الأمر الذى أحققه وأثار تأثيرته ، ولكن دون جدوى ١

وفجأة أرسل اليه د عزت ، رسالة مستعجلة . تعد احتلف مع السلطان واعزم أن يستقيل من رئاسة الوزارة . وكان مقررا أن يخلفه في منصبه «توفيق باشا» ذلك الشيخ الحسن صديق الانجليز ٠٠ لكن عزت رغب الى مصطفى كمال في أن يعود فوراً ، فانه في حاجة الى معاونته ٠٠

وازاء تطور الأمور على هذا النحو سلم مصطفى كمال مقاليد قيادته الى الصابط الذى يليه . ثم غادر مقراً قاصداً الى القسطنطينية !

الفصل الثالث

بعد الهدنة

وصل مصطفى كمال الى القسطنطينية وقد انقضى شهر هل بدء الهدنة ٠ وكان العدو قد سيطر على كل شئ : استولت البوارج الانجليزية على البوسفور ٠٠ واحتلت الجيوش الانجليزية العاصمة وكل قلاع الدردنيل والمواقع الحربية الهامة في أسعاء تركيا ! بينما احتلت الجيوش العرسية استانبول ، وملا جودها السفاليون شوارع غلطة ٠٠ واحتلت الجيوش الإيطالية « بيرا » وحطوط السكك الحديدية ٠٠ واشترى ضباط الهدنة على شزون البوليس والحرس الوطنى ، وعلى المياه ، وعلى تجريد القلاع من أسلحتها وتوزيع الجيش ١

لقد تحطمت الامبراطورية العثمانية وتفككت الى احزاء صغيرة ٠٠ واسلخت عنها : مصر ، وسوريا ، وفلسطين ، وبلاد العرب ٠٠ وماتت تركيا ذاتها عزلاء لا حول لها ولا طول ، حاصمة لسيطرة العدو المتصر وقبضته الحديدية ٠٠ وانهارت الاداة الحكومية انهيارا تاما !

وكانت جمعية « الاتحاد والترقى » قد انحلت وتفرقت

فمر أنور وطلعت وجمال إلى الخارج ٠٠ واختفى « يافيد » اليهودي وبقية الأعضاء في أماكن مجهولة ٠ وتألقت حكومة هزيمة برياسة توفيق باشا، أحد رجال عبد الحميد المعروفين بصداقتهم للانجليز لتتخذ أوامر الأعداء !

على أن مظاهر قوة الأعداء وبطشهم لم تهرب مصطفى كمال ، بل ظل مستعدا لأن يقاوم ، وراح يناقش ويساوم معهم بمناذ على كل صغيرة وكبيرة ٠٠ لكنه لم يلق عونا من أحد !

كان الاتراك من جميع الطبقات ، معزقين مهزومين ، لا يقوون على مقاومة أو قتال ، وكانوا ينتظرون - مسحوقى الاحسام والبعوس - أن يقرر الحلفاء المنتصرون مصيرهم ، ويتوسلون اليهم في خضوع ومذلة أن يصوا عليهم بالبقاء ، وتوجه مصطفى كمال إلى « عزت » - رئيس الوزارة السابق - فوجده غاصبا حزينا ، وعلم منه أنه عاون أنور وطلعت على الفرار - قبل وصول الأعداء - على ظهر سفينة عبر البحر الاسود ، ولكن السلطان أنهى ولامه على عدم القائه القبض عليهما وتسليمهما للانجليز ، قائلا « ان تركيا ينبغي أن تكون على صلة طيبة مع الانجليز المستعزين » ، فاجابه عزت بقوله : « ان أنور وطلعت قد يكونان ندلين ، لكنهما تركيان قبل كل شيء » ، وما كنت لاشترك في تسليم أحد من المواطنين إلى أية دولة أجنبية ، ولو تسفيدا لأمر السلطان ! » ٠٠ وعلى أثر ذلك استقال من منصبه ، وحلفه توفيق باشا

ولم يجد مصطفى كمال بدا من أن يتأشد عزت أن يعود إلى الحكم ، فهو وإن اتفق معه في عواطفه الوطنية لا يتفق معه في البقاء بمعزل عن الأمور والسماح لتوفيق وحكومته وللسلطان بقبول الهزيمة على هذه الصورة المزرية المتطوية على الجبن ، وذلك يعنى نهاية تركيا ! ٠٠ نعم ان الأمر لم

يحد أمر احياء الامبراطورية أو استرداد شيء من ولاياتها المفقودة ، ولكن الأمر الآن انقاذ تركيا ذاتها ! فيجب أن تؤلف حكومة قوية ، تطيح بحكومة توفيق وتحل عرت مكانه ، على أن يعين مصطفى كمال وزيرا للحربية ، كي يواجه الاثنين العدو بصلاوة ويتقذا ما تبقى من تركيا !

وعكف مصطفى كمال على تأليف حزب جديد ، باشتراك عزت ومعاونيه، ومرة أخرى عاد يندمج في أوساط السياسة ، فوجد عشرات الجماعات التي تألفت كل منها بزعامة كل من هب ودب من الطامعين في السلطة والعضد : فهذا حزب يتأذى بتأييد الانتداب الانجليزى ، وآخر يسمى بالانتداب الأمريكى ٠٠ وهذه جماعة من أصدقاء انجلترا ، وأخرى من أصدقاء فرنسا ، وثالثة من أصدقاء إيطاليا ٠ وكل منها مؤلفة على أساس انه لم يبق ما يمكن عمله من غير معونة من الدول الأجنبية !

أما مصطفى كمال فلم يكن يؤمن بفكرة المعونة الخارجية ، الا خلال الفترة القصيرة التي راودته فيها فكرة التعاون مع أمريكا ٠ وفيما عمدا تلك الفترة كان من رايه دائما أن الاتراك ينبغي أن يقدوا أنفسهم بأنفسهم أو يهلكوا ١٠٠

واضح اليه السياسة ، فقد صار في مركز مريد ٠ لم يبد له منافس بعد أن فر أنور ٠ وكان معروفا بأنه وحده القائد الموفق في تركيا كلها ، فقد رد الانجليز عن غاليبولي منحورين ، وأبى أن يمكنهم من الاستيلاء على داسكندرونه ٠٠ ثم هو إلى ذلك معروف بأنه صديق للسلطان ٠٠ وقد وقف موقف المعارضة العديدة للثلاث ولجمعية الاتحاد والترقى ٠ وفوق هذا وذاك فهو لم يمر - مثل أنور وطلعت وجمال - لينجو بنفسه !

وراح مصطفى يسمى - يوما بعد يوم - كي يقنع السياسة لرائته ٠٠ كان يتفق الساعات الطويلة في دار البرلمان في

نقاش وجدل معهم . وبدأ على كثيرين منهم أنهم اقتنعوا بما يقول . . ودبر بعضهم أن يقتنعوا على الثقة بتوفيق باشا وحكومته . وقبل أن يحل موعد طرح الثقة خطب مصطفى كمال في جمع من النواب يستحثهم على الصمود في وجه توفيق باشا وحل حكومته ثم تأليف حكومة قوية رشيدة . وأيقن من النجاح ، ومن تقلده منصب وزير الحربية في الحكومة الجديدة ، وبذلك يستطيع أن يقتنص السلطة في يده !

وفي ساعة الاقتراع مضى مصطفى إلى « قاعة المرءاء » في دار البرلمان ليستصحب إلى مناقشة الاستحواب ، وفي النهاية فاز توفيق بأغلبية ساحقة . . فقد خشي النواب مصطفى كمال وآراءه وشدة بأسه ، وارتأبوا في مطامعه . فعدوا اعتزاهم المقاومة حماقة كبرى !

وشحب وجه مصطفى كمال غصبا من النتيجة ، ولعن السياسة الدين حذوه . . ثم مضى إلى أقرب تليفون وطلب الادل له في مقابلة السلطان . وكان مد عودته قد حرص على الانتماء عن القصر . . فقبل له . أن في الوسع تدبير لقاء بينه وبين السلطان ، لكنه ترك يستطر أسبوعا كاملا !

وأخيرا استقبله السلطان وحيد الدين ، مسديا ابتهاحه بلقائه ، لكنه لم يكن مرجيا به في قرارة نفسه . . على أن ذلك لم يشن مصطفى كمال ، الذي مضى إلى غايته فورا فطالب السلطان بأن يؤلف حكومة قوية لتواجه الأعداء وتعاملهم بمعاملة اليد لليد وتوقف الحركة التي يرمي منها بعض المتطيرين إلى قبول الهزيمة الكاملة ، وقال له . . أن كلمة واحدة من حلالك كريمة بتقوية الحماسة الوطنية ، فاجلسي وريروا للحربية في حكومة قوية ، وأما كميل بأنقاذ تركيا . لكن هذا البرلمان يجب أن يحل . . فان نصف النواب حوكة . . أعضاء في حمية الاتحاد والترقي وأصدقاء لآل نور . .

وتصمهم الآخر من الحباء . وليس بينهم رجل واحد صلب العود ! »

وهنا قال له وحيد الدين - وكان قد ازداد بدانة في الجسم واعتدادا بالنفس منذ تولي الحكم - ، أنت ذو نفوذ عظيم في أوساط الجيش ، فهل تعتقد أن الجيش محلص لي؟ فاجابه مصطفى كمال وقد أخذ بالنسؤال المعاجزه : داني م أعد إلى العاصمة إلا بعد فترة قصيرة يا مولاي . . ولست في الواقع أدري ! . . وكان وحيد الدين حالسا مفضى العينين كالثائم ، على الطريقة التي اعتاد أن يصمها ، كلما أراد أن يحفي أفكاره الحقيقية عن عبد الحميد . . فساله مصطفى كمال :

- هل لدى حلالتك أي برهان على عدم الولاء ؟

فلم يجب بل سأل بدوره : « هل الجيش يدين لي بالولاء ، وهل يستمر كذلك في المستقبل ؟ »

فقال مصطفى كمال : « ليس عهدي ما يحملني على الارتياح في ولاء الجيش ، ولا في استمرار هذا الولاء . »

فقال السلطان : « إذن أستطيع أن اعتمد على استخدام نفوذك في هذا السبيل ! »

وكان السلطان قدكون لنفسه - منذ زمن - فكرة واضحة من مصطفى كمال انه رجل طموح أشبه بالعاصفة ، وهو رجل خطر لا تمكن السيطرة عليه اذا أعطى العود ، لكنه قد يكون ذا نفع أحيانا ، ففي الماضي أمكن استحداثه ضد آل نور ، والآن يمكن استحداثه لكسب ولاء الجيش !

ومن تحت أحفانه الطفيلة ، وبمبين حدرتين ، راح السلطان يرقب القائد النحيل ذا الوجه الأغر المائل أمامه ، مفكرا في مدى استطاعته الاعتماد على احلاصه ومعونته !

وفي اليوم التالي حل وحيد الدين البرلاني، وأسس رياضة الورادة الى صفيه ومستشاره الأول « فريد » ، وبذلك استولى هو على السلطة والموذ كاملين ! لكن قتلته أثارت عاصفه شديدة من النقد ، فصار الناس يلعنونه علانية . وتشرت إحدى الصحف فقرات من خطاباته الى عبد الحميد ، وكانت قد وجدت في القصر في حوزة عبد الحميد، وهي تظهر كيف كان وحيد الدين يشتغل بالتجسس لحساب السلطان الأحمر !

ولم يسند الى مصطفى كمال أي منصب في الوزار الجديدة ، لكن الجميع اعتبروه مسئولاً عن تصرفات السلطان وأخطائه ، فقد كان معروفاً لكل انسان انه حاول التوصل الى حل البرلاني من طريق الاقتراع على الثقة بتوفيق باشا، وانه حلا الى وحيد الدين ساعة كاملة تحدثا خلالها حديثا لم يقف أحد على كفه ! لكن رأى الاكثرية اتفق على أنه يعمل لحسابه الخاص ، فمعه منه كثيرون من الذين كانوا يتطعمون الى زعامته . وارتاب الناس في أمره !

ثم ان حكومة وحيد الدين لم يكن فيها مكان له . فان السلطان بما طبع عليه من ضعف وجبن وعناد ، كان تفكيره يدور وينحصر في فكرة واحدة راسخة في ذهنه : هي أن العرش وتركيا شيء واحد ! وانه ينبغي أن يدعم سلامة العرش وسلامته الشخصية ، وبذلك يقد تركيا . ولكن يصل الى هذا لايد له من أن يتحالف مع الأعداء ويجلب رضاهم من طريق الطاعة لأوامرهم ! وكان الانجليز هم المسيطرين على بقية الخلاء ، أعداء تركيا . ومن ثم رأى أن يحار الى جانبهم ، وكان لديهم هم من الاسباب ما يجعلهم على أن يعترفوا به - وهو خليفة المسلمين - كخليفة لهم . واقتنع هو بأن كل تفكير في تأليب حكومة قوية او ابداء معارضة من أي لون يعنى دمارا عاجلا ويجب الانصراف عنه

٠٠ وكان يؤيد السلطان في هذه السياسة - على طول الخط - صهره ومستشاره الأول ورئيس حكومته الجديدة . فريد !

منظلمات سرية

لم يعد لمصطفى كمال مكان في السياسة الجديدة ، فقد تمكر له الجميع ، وكان في سعة الأفق وتعدد الروايات بحيث لم يصلح للاندماج في أية جماعة اندماجا كاملا يفسح به ويستكين . وقد استأجر منزلا صغيرا في « شيشل » - إحدى ضواحي القسطنطينية - وهناك عاش ميمشة هادئة، غير مشترك في السياسة أو الشؤون العامة ، على انه كان يتردد بين الحين والآخر على أمه وشقيقته ، بعد أن أبى السكس معها في بيت واحد ، مؤثرا العزلة والاطواء على نفسه

وكان له أصدقاء قليلون ، منهم صديق واحد حميم يدعى الاميرالاي « عارف » ، وهو صابط مشهود له بالكفاءة والمقدرة ، قصى سنوات تدريبه في ألمانيا ، وكان يصغر مصطفى كمال في السن ، وقد تعارفا منذ زمالتهما في سالوبيك وموناستر وسوريا والبلقان وغاليمولي . وبعد عقد الهدنة ربطت بينهما صداقة متينة . وكانت لهما ميول مشتركة وطباع متوافقة ، فان كليهما كان مستعرقا في المسائل العسكرية ، ولوعا بالاحاديث الخفية والامراط في الشرايط ، والمغامرات المأخوذة والليالي الحمراء في رفقة النساء . وقد كان عارف هو الشخص الوحيد الذي أظهر له مصطفى ودا صريحا ، وكان يضع ذراعه على كتفه ويطلق عليه أسماء تطوى على التدليل حتى اعتقد كثيرون أنها قربان ، ولاسيما للتشابه الضحيق بين ملائمتها وحسبهما وشغفهما مما بكل ما هو عسكري ، والميل الى التهمك اللادع

في البلاد ، وينافس حلفاءه - أو غرامه - في ابتكار الحيل
التي تمكنه من أن يتدخّل الاتراك !

وهنا وهناك ، بدأت تلوح في الأفق بوادر أمل جديد
ضئيل ، مبعثه الاعتماد بإمكان تنظيم حركة مقاومة جديدة
تتخذ تركيا من الهاربة !.. لكي المقاومة كانت عسيرة
التصديق في العاصمة ذاتها ، حيث كانت قبضة الانجليز
والسلطان الجديد عليهم قوية صرامة .. ولكن كان في
الامكان فعل شيء في المناطق المحلية الداخلية .. في
الاناضول !

وتألفت في العاصمة اكثر من عشر جمعيات سرية هدفها
سرقة الاسلحة والدخائر والمستودعات الخاضعة لاشراف
العدو ، ثم ارسالها الى اقصاها في الداخل .. وتكوين
المراكز التي يجمع فيها الرجال وترسم المخطط !

وتلقت الحركة مومة من بعض الرسميين ذوي المراكز
الكبيرة . كان عصمت بكنة وكبل ودارة لشؤون الحرب .
وعوري رئيسا لهيئة اركان الحرب ، وفتحي وزيرا للدخالية ،
ورؤوف - قائد البشارة - حميديه ، المشهور في الحرب
البلقانية - وزيرا للبحرية .. وكان الجميع اصدقاء لمصطفى
كمال ويسعون سرا الى الغاية ذاتها !

وفي عشرات المواضيع - في الداخل - تألفت جمعيات
مهمتها تدبير المقاومة السرية . وانتعشت المنظمات التي كان
مصطفى كمال قد وضع بدورها في الجنوب ، قبل أن يعود
الى العاصمة . وفي كل مكان عادت الفروع المحلية العديدة
لجمعية « الاتحاد والترقي » الى سابق نشاطها واجتماعاتها
.. وفي حيلة القوقاز ، على الحدود الشرقية النائية ، بدأ

« كاظم قره بكير » والفرق الست التي لم يهرم ، يعصمون
اوامر الحلفاء بشأن تسريح الجيش وبقية المقاتلين

.. على أن عارف لم يكن على شيء من قوة ارادة مصطفى ،
وكان يظن اليه تمثل احترام الكلب لسلده واحلاصه له ..

وفصح مصطفى قلبه لعارف .. فقد آله وأثاره أن يرى
تركيا تنحدر الى المصير الذي صارت اليه ، وأن يحتال
الانجليز والفرنسيون في شوارعها بغير حسيب ، ويهينوا
بسادها المحصنة .. لكنه مع ذلك كان عاجزا مسلوب
القوة ، يبقى أن يعمل شيئا دون أن يفرى ماهيته بالسط
.. ثم فوق ذلك كان مراقبا ولانجليز حواسيسهم في كل
مكان ، وعملاؤهم يقتلون كل من يبدى ميلا الى القتال !

وهكذا اقتنع مصطفى كمال بأنه يجب أن يخفى مشاعره
ويخمد بران الكراهية التي تتأجج بين جوانحه نحوهم ،
والا كان مصيره الاعتقال !

ومضت الاسابيع متتامة ، حتى حلت الاشهر الاولى من
سنة ١٩١٩ ، وعددت تبدلت الاحوال .. وقد بدأت قبضه
العدو على البلاد تتراخي ، فسرحت جيوشه واستجنت ،
ونشبت في كل من ايطاليا وفرنسا وانجلترا متاعب داخلية
جديدة .. وفي جميع الدول المنتصرة بدت بدر رد العسل
المحتوم بعد الضغط المتوالي على الاعصاب طيلة سسنوات
الحرب .. وفي باريس استغرق ساسة الحلفاء في وضع
سياسة للتعاقد مع ألمانيا ، ولم يكن لديهم وقت للتفكير في
شأن تركيا . ولم تكن المخطوط الرئيسية لشروط الصلح
قد حددت بعد !..

وقال الباصحون للويد جورج : « دعوا تركيا وشأنها ،
فسوف تنهار من تلقاء ذاتها وستتولى اقتسام اجزائها فيما
بعد ! » .. وفي القسطنطينية كان مثلوا الحلفاء في شجار
دائم صريح : كل منهم يدبر حطة للحصول على نصيب
الأسد من المراكز الاستراتيجية والامتيازات الاقتصادية

والعقبات في وجوه ضباط المراقبة المتحالفة ..

لكن هذه كلها لم تكن غير البدر الأولى الحذرة والمحاولات التجريبية التي بدلت في ظل ادراك اصحابها للمال المحتوم الذي لا يبد سستنتهي اليه حين يكتشف الانجليز امرها ويعصفون بها على الفور !

وتسربت انباء هذه المنظمات الى الانجليز ، قالوا القبض على عدد من الرجال اعتبروهم « خطرين » وزجوا بهم في سجن ، وكبر اغا .. ثم أحبطوا محاولة دبرها هؤلاء وأعوانهم في الحارج لتفريبهم من سجنهم ! ..

وكانت لمصطفى كمال يد في هذه المؤامرة ، لكنه لم يظهر فيها للليمان ... كان على اتصال بجميع المنظمات السرية الحديثة ، لكنه كان اتصالا حذرا مكتوما ، لم يتورط فيه تورطا يؤخذ عليه ، وذلك لأنه لم يكن واثقا من نجاح الحركة ، فلم يشأ تعريض نفسه لمخاطر لا فائدة من ورائها . وهكذا بدا وكأنه قبل الهزيمة وأيد سياسة السلطان وصهره فريد ! .. على أن الانجليز - رغم ذلك كله - كانوا يرتابون في امره ، فوضع اسمه في قائمة الرجال الخطرين الذين ينبغي اعتقالهم وارسالهم الى مالطة . وكان قد ترك مترله في حي شيشيل وعاد الى عرشه القديمة في فندق « بيرا بالاس » ، المظلة على القرن الذهبي ، بينما عاوده مرضه القديم وصار في أسوأ حال من الانقباض والاسه والافتقار الملح الى السقود .. بل لقد بليت ثيابه وساء مظهره . ولم يعد له صديق غير « عارف » .. أصعب الى هذا انه كان مراقبا من الاتراك أيضا ، فاحذ يقضى أيامه ولياليه في العاصمة متحولا على غير عدى أو قصد معين في الشوارع والطرق ، أو حالسا في مقهى من المقاهي مكتنبا بجاه الاعصاب بغير أمل أو خطة للمستقبل !

وجل التطهير

عاد الخط فجأة فأسلم ومعه لمصطفى كمال .. لقد كان كما قال « ليتمان فون ساندروز » يملك تلك الصعة الرئيسية من صفات القائد العظيم .. صفة الخط ! .. كما كان يملك الصفة التالية لها وهي القدرة على أن يعتنق فرصة الخط ويستخدمها في حينها ! ..

وكان الانجليز والسلطان قد راوا أن الخطوات الأولى للمقاومة في الاناصول يجب أن تقع فورا .. وأن يتدب السلطان شخصا يمثل كى يتدبر الموقف ويحبر المتطرفين على تسليم أسلحتهم وتسريح حدودهم ووقف اجتماعات اللجان المحلية لجمعية الاتحاد والترقي ، فرغب السلطان في أن يتدب مصطفى كمال ليقوم بهذه المهمة ، لكن السلطات العسكرية الانجليزية عارضت ذلك بحجة انه رجل خطر قدير ، لم يسر بعد مسلكه في اسكندرونه

وهنا تطوع فريد - رئيس الوزارة - للدفاع عنه ، قائلا : « ان جميع الاضطرابات الناشئة في داخل البلاد لا ترجع الى أية عاطفة شعبية بقدر ما ترجع الى تصرفات جمعية (الاتحاد والترقي) الملوثة ، وعصاوية الاشرار الذين يترعهم أبور .. أما الاتراك أنفسهم فهم يريدون السلام . ولئن كان مصطفى كمال عصوا - اسميا - في جمعية الاتحاد والترقي ، الا أنه في الواقع من الد حصوصها ومعارضى سياستها ، علاوة على أن له شهرة دافعة في البلاد . ثم هو الى ذلك « جتلمان » يمكن الثقة به ، ومن ثم فهو خير من يصلح لأن يضطلع بالمهمة الكبيرة »

وظل القرار معلقا بضعة أيام ، ومصير مصطفى كمال يتأرجح بين أن يمتقل وينفى الى مالطة ، وبين أن يرسل الى الاناصول مبعوثا رسميا للسلطان ! .. وأخيرا أبلغ

ورئيس الوزارة في اقتناع الانجليز بوجهة نظره ، فرقم اسم مصطفى كمال من قائمة المرشحين للاعتقال وعين معتمدا عاما للمنطقة الشمالية وحاكما للولايات الشرقية !

ومع انه لم يكن على علم بمصير الاخطار التي تهدده من جانب الانجليز ، لم يكن يعلم سببا احتيثار السلطان له ليشغل هذا المنصب حتى أدرك أن مرضه قد حلت ، وتبددت كآبته وانقاصه وعارده فورا حيويته وصحته . ثم بدأ على الفور يدبر خططه التي لم يطلع عليها غير صعيه عارف . وأعلن موافقته الحارة على التعليمات التي رسمها له رئيس الوزارة !

انه كمبعوث للسلطان سوف يحظى باحترام وتقدير كبيرين من جانب اترك الاناضول . ومن ثم فانه سينتظر بأبهى قدر أرسل ليقبدهم من الانجليز ، وبهذه الوسيلة يستطيع أن ينظم المقاومة الكفيلة بانقاذ تركيا !

وكان أول ما فعله أن اتخذ لنفسه « شجرة » سرية في مراسلاته مع عصمت وفوري في وزارة الحربية . وبعد ذلك لم يصبح وقتا ، بل هرع الى بيت أمه وشقيقته في شارع « اكارتير » كي يودعهما . وكانت أمه قد أوشكت أن تغد بصرها تماما ، فتحنست وجهه بأصابعها المرتجفة المروقة ، ثم قبلته وهي تمكي ، كما اعتادت أن تفعل كلما جاء ليودعها ، وأطلقته مزودا بسرقتها . وفي هذه المرة لم يكتشف حتى أمه بخططه وآرائه !

وفي الليلة ذاتها استقل سميعة أبحرت به عبر اليوسفور الى شاطئ البحر الاسود . يصحبه « عارف » والاميراي رفعت ، الذي عين قائدا للحيش الثالث في « سيواس » . وأقبل « رؤوف » لتوديعهم حاملا معه بيا بأن مؤتمرا الحلفاء في باريس قد أرسل القوات اليونانية لتحتل مدينته ازمير !

كان واضحاً أن الاعداء قد حكموا على تركيا بالموت ، وأن مقاومة العدو - لا مبالاة - هي العمل الوحيد الباقي لابقاد لبلاد !

وفي منتصف الليلة نفسها طلب رئيس الوزارة أن يقابل جنرالا للمندوب السامي البريطاني في الحال . وأوضح له أن السلطان قد عدل عن رأيه ، فقد حذته الإناء بأن مصطفى كمال يعتزم ائثاره الفلقل في الاقاليم الداخلية ، ومن هنا ينبغي وقعه أثناء رحلته ، بأي ثمن !

وصدرت الأوامر باعتراض سبيته واعادته الى العاصمة لكن إدارة قوات الاحتلال كانت على حاسب كبير من تعقيد الاحرامات ، وهي تقضي الفيرة الدولية والاغراض الخاصة بين القائمين على أمرها من الانجليز والفرنسيين والايطاليين ، الذين كانت لهم حبيما يد في تفتيش أو وقف سفر الركاب فاضطرب الأمر بين احتصاص سلطات الجيش والاسطول بسعيد هذه الأوامر ، وظلت معلقة حائرة بين جهات الاحتصاص المتصارعة بضع ساعات ، تمكن خلالها مصطفى كمال من الوصول الى مخبئه !

كان مصطفى كمال أثناء الرحلة قد ترك نفسه على السحبة ، فراح يتكلم بلا انقطاع ، شارحا أفكاره وبطامحه وخطته بينما كان رفعت يصفي صامتا . وكان رفعت على التقيص من ذلك تماما . فقد كان صانطا في سلاح الفرسان فتورا بنفسه ، شهبا مرحا طيب المعشر ، مشهورا بشجاعته . وقد تولى قيادة قوات مقدونيا في ثورة سالونيك ، ودافع عن « غزة » في حصار طويل الأمد ضد الانجليز . وكان صليل الحسم أبيق الملحس والمطهر ، يتكلم في حاسمة الصبي المعقل وهو يحرك رأسه بلا انقطاع ، ويشير بيديه ، ويضحك بعينيه !

أما في هذه المرة فقد جلس صامتا يصفي . أدرك مدى

كفاءة مصطفى كمال، ومؤملاته كقائد أو زعيم لثورة يائسة .
وكان يؤيده في اعتزامه تنظيم حركة مقاومة للعدو .. لكنه
وهر يصمت اليه أحس أن وراء كل ذلك تكمن أمانة مصطفى
كمال الطاعية وتقصييه على اغتصاب السلطة بأي ثمن ..
فقرر أن يقف في صفه ، على أن يراقبه من طرف خفي !

وبعد رحلة قاسية رست السفينة يوم ١٩ مايو سنة
١٩١٩ في ميناء « سامسون » على البحر الأسود ، بينما
كانت تزار في الجو عاصفة شديدة، وكانت القوات الإنجليزية
تحتل المدينة ، قدس ضابط قلم صغراتهم أنه في كل
حركات مصطفى كمال وسكناته .. ووشى عملاتهم
اليونانيون والأرمن بكل تقلباته وأحاديثه ، بل حتى
بمكالماته التليفونية .. أما الاتراك فقد خشوا حتى أن
يكلموه !

وانتقل حجة نقل بها مركز قيادته من المدينة إلى « كافاسه »
ثم إلى « أماسيا » وهي بلدة بعيدة في داخل البلاد ، تقع على
الطريق الرئيسي الذي يصل بين شرق تركيا وغربها ..
وهنا أتبع له أن يتحرر أخيرا من الأسطير الملاعين ، فتنفس
الصمداء .. ومد يديه في حركة من يوشك أن يأخذ عدوه
في قبضته ! .. لقد عاش في العاصمة ستة أشهر يقف
غيتا وحيفا ، محبرا على أن يبقى مسلوب القوة مكظوم
المشاعر ، بينما المدينة تنزعت أقدام الحلفاء المنتصرين ! ..
سته أشهر أجبر خلالها على أن يرقب السياسة والرسميين،
وفي مقدمتهم السلطان ورئيس الوزارة ، يحزن هاماتهم
صاغرين ويلقون مواعظ أقدام الانجليز . الأمر الذي
طعن كبرياءه الوطني - كتركي - في الصميم .. فصر على
أسنانه كمدا وراح يجتر كراهيته الهائلة للأعداء الطافرين،
وهو حالس بلا حراك ، ولا حول أو طول !

لكنه الآن لم يسمع أن يتحرك .. وبعد الأشهر الطوال

من السكون والدعة انقلبه ، برد فعل عجيبي ، إلى كتلة من
النشاط الحارق ، هدفها مقاومة العدو ! .. أنه ينبغي أن
ينظم حركة المقاومة . وأول خطوة عليه أن يتحداها هي أن
يدعم سلطته على الجيش ، ومن ثم أرسل - من أماسيا -
بطلب بالتليفون والبرق تقارير عن الحالة في شتى أنحاء
البلاد ! ..

كان الموقف غاية في البساطة : أن تركيا ترقد مشحنة
بجراح الهزيمة ، وليس في طوقها أن تبذل مقاومة عسكرية
إيجابية . كان كل ما بقي لها أربعة جيوش في الأناضول ،
وجيش في أوروبا ، في الجهة الأخرى من العاصمة . وكانت
أربعة من هذه الجيوش الخمسة مجرد هياكل اسمية ، بقيت
لها قياداتها العليا فقط ، أما جنودها فقد سرحوا وجمعت
أسلحتهم في المخازن والمستودعات ثم سلمت إلى الانجليز .

والجيش الباقي بقوته هو جيش « كاظم قره بكر » المتمركز
في ديار بكر ، في أقصى الشرق .. ثم بضعة عصابات كمننت
في الجبال المواجهة لأرمير وقد أقسمت أن تقاوم قوات الغزو
اليونانية التي أرسلها الحلفاء بقرار من مؤتمر باريس ١٩١٩ .

وكان رؤوف قد استقال من منصب وزير البحرية وأخذ
على عاتقه أمر تنظيم حرب هذه العصابات !

وأدرك مصطفى كمال أنه في حاجة إلى معونة قواد الجيوش
المتفرقة ، فاستدعى رفعت من سيواس ، ودعا على مؤاد -
قائد الجيش العشرين المتمركز في أنقرة - كي يقامه في
أماسيا .. فحضر على مؤاد وفي صحبته رؤوف !

وكان الاجتماع سريرا ، تولى فيه عارف مهمة تسجيل
أحاديث المجتمعين .. فأدلى مصطفى كمال بوجهة نظره
وسط آراءه ، فوافق الجميع على أن المقاومة هي الأمل
الوحيد الباقي . ومن ثم رسموا خطة لتنفيذها تتلخص

هي أن يصاعفوا ويظموا العصابات غير النظامية التي تواحه
أرمير ، كمن تعرقل وسوق تقدم القوات اليونانية . ووراء
ستار هذه المناوشات يمدون تكوين حيش وطني واحد ،
نظامي وقوي ، على أنقاض الجيوش ، الاسمية ، المتفرقة ،
نعم ، عليهم أن يشنوا في أنحاء البلاد مراكز محلية
لغريد الجيود وجميع الأسلحة ، على أن يتصرفوا بحذر بالغ ،
والاستحقاق الاجلجيز حركتهم في مهدها .! وهم يدركون أنهم
لن يتلقوا عونا ما من السلطان أو الحكومة المركزية ، وأن
الشعب في كل مكان منهك القوى ولن يستيقظ أو يشور
بسهولة .! لكنهم سيبدلون أقصى ما في وسعهم !
وكان لابد أن توحيد مراكز المقاومة العديدة تحت إدارة
واحدة . فاستقر الرأي على أن يتولى « علي فؤاد » قيادة جميع
القوا في العرب .! وكاظم قره بكير قيادة قوات الشرق
.. ومصطفى كمال قوات القطاع الأوسط .!.

ثم استطرد مصطفى كمال قائلا :

« ان الحكومة المركزية والسلطان واقمان تحت سيطرة
الاعداء ، فيسفى أن نقيم حكومة وقتية هنا في الاناضول !
ولكن .. لم يكن مصطفى كمال يدس افعه في السياسة
حتى تردد الدين حوله وندأت الشكوك تساورهم في بيته .
فقد كانوا جميعا يعرفون بزغنه الثورية ويحشون بأسها .
وهكذا بدأ رؤوف فأبدى ممارسته في اتخاذ أية خطوة من
شأنها اغصاب السلطان « الخليفة » أو حكومته المركزية .
اما على فؤاد فكان حذرا متنبها وغير متأهب لقول مصطفى
كمال رئيسا له .! وكان رفعت أيضا يرتاب في مصطفى
كمال وقد استعاد إلى ذاكرته ما سمعه من آرائه على ظهر
السفينة ، وهي كلها تنطق بمطامعه وأفكاره الثورية وعدم
احترامه لجميع ما درج الناس والتقاليد على الولاء له !

وحاول مصطفى كمال بكل ما أوتي من قوة تأثير أن يقنعهم
بافتراحه ويكسبهم إلى صفه ، فقد كان في أمس الحاجة إلى
معاونتهم .! وأجيرا وافقه رؤوف وعلى فؤاد ، اما رفعت
فلم تزل مترددا .! لم ير أي فائدة من إنشاء حكومة مستقلة
في الاناضول .! لكنه أمام الحاج مصطفى وخرج الموقف ،
فصطر إلى الموافقة !

وقرر الأربعة أن يوجهوا - في أسرع وقت - الدعوة إلى
عقد مؤتمر في « سيواس » يضم من يمثلون شتى أقاليم
تركيا .! وسرعان ما تلقى مصطفى كمال تأييد كاظم قره
بكير - قائد جيش ديار بكر - لقراراته .! وتلاه تأييد
منازل في « حمص طيار » - من أدرنة - ومن القائد العام
للمنطقة « قونية » .! وبذلك ربح مصطفى كمال الجولة الأولى
من الصراع . صم إلى صفه كبار قواد الجيش !

وعلى أثر ذلك عكف على وضع خطته لانارة الشعب نفسه ،
لطاق بالقرى ، وحطب في الموطن ، وجمع حوله الضباط
المسرحين المتعطلين . وفي كل مكان وكل مناسبة نادى
مقاومة الانجليز الفاسقين :

« لقد قرر العدو أن يدمر تركيا ، وطننا ، ويمزقها شرا
ممزق .! ويقيم ولاية يونانية حول سامسون ، وقد امتلأت
جميع قرى الاقليم بولكلا بطريك اليونان .! وندت السلطان
- حليفكم - مسلوب الحول والقوة . أسرا في أيدي الانجليز
.. لذلك أرسلني اليكم كي أفتدكم ، لكنكم يجب أن تتقدوا
أنفسكم بأنفسكم .! ولا حدود في بقايتكم مكتومي الأيدي
في انتظار عون من الخارج .! واما السبيل الوحيد إلى
انقاذ وطنكم من الهلاك المحتوم وحماية زوجاتكم وبيوتكم
من النار والمذلة هو أن تنطروا في صفوف الجيش الوطني
كجديد وتقاوموا العدو بقوة السلاح ! »

هكذا كان مصطفى كمال يقول في بياناته ، وقد أرسل الى كل قرية مدويين مهمتهم أن يؤلّوا لجنة محلية للمقاومة . وكانت الخطة جسارة عسيرة التنفيذ ، فقد كان الشعب ممزقا ، منسحق النفوس والاحسام ، فقد كل أمل في المستقبل ، وتبحر من رؤوس أفرادهم كل تفكير في المقاومة ، أو حتى الاحتجاج !! لقد غرق في لجة اليأس والاستكانة بسبع سنوات من الحروب الطاحنة والهزائم المتتالية .. ولم يجد ينشد غير السلام ، واتاحة الفرصة له كي يعيش حياة هادئة ويحصد محاصيل حقوله !

لكن الأهليين وهم يستمعون الى خطاب مصطفى كمال النورية بدأوا يستيقظون شيئا فشيئا .. وكانت الإساءة تترى من أرمير حاملة تفصيلات ما يقدم عليه اليونانيون من حرق القرى وذبح الأتراك .. فحمل مصطفى كمال يرفع في رماح الغضب والحمية المتخللين في النفوس ليعيدها الى الاشتعال من جديد .. وسرت في قرى الأناضول ربح البغضاء للانجليز ، فاثارت في الجماهير نشاطا جديدا .. وأقبل الصباط يعضون تحت لواء مصطفى كمال ، ففزع فيهم من روحه ، وأرسلهم الى القرى الأخرى ليشعلوا فيها نار الحماسة !

مؤثر التحرير

طارأت أنباء هذا النشاط الى العاصمة ، فهدد الانجليز باخذ النار .. واستشاط السلطان غضبا ، فقد كان من رايه ان المقاومة التي تدبر ضرب من الجنون ، وانها عقيدة لن تؤدي الى نتيجة غير استقرار الخلفاء كي يسحقوا تركيا سحقا كاملا !! . وقد أرسل مصطفى كمال الى أقاليم البلاد الداخلية كي يوقف كل مقاومة ، لكن هذا ما لبث ان استخدم اسم السلطان كي يشجع المقاومة !

وأزاء ذلك أمر السلطان باستدعاء مصطفى كمال كي يقدم له تقريرا عن أعماله .. فلم يكذ مصطفى بتلقى الأمر حتى أجه الى مكتب البريد وأرسل الى السلطان برقية شخصية مطولة عاجله ناشده فيها باعتزله الخليفة والسيطان والقائد لسعيه ، أن يذهب الى هناك كي يقود ثورتهم ضد العدو الأجنبي !

وطيلة تلك الليلة لبث مصطفى في مكتب التعرف ينتظر الرد .. وعند الفجر تلقى ردا مقتضا بأمره السلطان فيه بالعودة فورا ، فأبرق اليه بدوره يقول : « سوف أبقي في الأناضول حتى ينال الشعب استقلاله ! » .. مما كان من السلطان الا أنه عزله من قيادته وأحضر جميع السلطات المدنية والعسكرية بوجود عصيان أوامره .. فاستقال مصطفى كمال من الجيش ، واستدعى جميع مناصريه وقواد الجيش وخطبهم بقوله :

- نحن الآن في مفترق الطرق ، فإذا مصينا الى الامام فنحن انما نفعل ذلك اعتمادا على أنفسنا فقط ، فان الحكومة المركزية سوف تكون صدنا ، وقد يعنى ذلك نشوب حرب أهلية . وسيكون علينا ان نواجه مخاطر كبيرة وسدل تصحيبات جسيمة .. ومتى بدأنا السير في طريقنا يمتنفي الا يعكر أحد في الفرار أو الندم أو النظر الى الخلف !! . فعليكم أن تقرروا أمركم . عليكم أن تختاروا لكم رعيما . وهناك شرط واحد جوهرى للنجاح : أن يكون لكم رجل واحد في المقدمة ، رجل واحد يقود هذه الحركة ، ورجل واحد فقط !! . فإذا اخترتموني مسوف ينهي عليكم أن تشاطروني مصيري . لست الآن سوى مواطن مدني ، وسوف أعتبر حتما بمثابة نائر على النظام والحكومة . ولست أطلبكم بغير شرط واحد : أن تنفذ أوامري وطعاع دون مناقشة كما لو كنت لا زلت قائدكم العسكري !

واختاروا جميعا ان يستمروا في طريقهم .. وانتخوا مصطفى كمال زعيما لهم وعائدا ، وقبلوا الشرط الذي فرضه عليهم ، وفي مقابل ذلك اشترطوا عليه هم بدورهم الا يعمل شيئا من شأنه ان يسبب اذى للسلطان ، في شخصه .. فقبل الشرط قائلا : « ان السلطان حاضرا لقنصة العدو وتوجيهه باصحه الحمقى ، فينبغي ان تقاوم حاشيته كما تقاوم الاجنبى الفاسد »

كانت الوجود دائما - في نظر مصطفى كمال - وسيلة الى غاية وسلمنا الى هدف ..! وهذا هو الآن قد اتى القطار في وجه العدو الاجسى المحتل ... وفي وجه السلطان !
وبادر مصطفى كمال بتوجيه الدعوة الى عقد « المؤتمر » الموعود ، من طريق برقيات ارسلها الى جميع المناطق هذا نصها :

- ان الوطن مهدد ، والحكومة المركزية لم تعد قادرة على القيام بوظيفتها وتاديبه واجبا .. واستغلال بلادنا لن يتيسر الاحتفاظ به الا بارادة الشعب ومحوده . لذلك تقرر عقد مؤتمر وطنى عام في « سيواس » للمناقشة في الوسائل والاساليب الكفيلة بلوغ هذه الغاية .. وفي وسع كل اقليم ان يرسل عنه ثلاثة من المندوبين .. ويحرصوا على السرية التامة !

وكان مركزه الشخصى غير محدد . لم تكن له قبل انعقاد المؤتمر المذكور اية صفة رسمية . كان مواطنا عاديا مجردا من كل سلطة . بل تحاربه الحكومة الشرعية والتقاليد . وفي كثير من المدن رفضت السلطات المدنية ان تقبل اوامره .. ولكنه من الجهة الاخرى كان بعضه قواد الجيش واكثر ضباطه وجميع اللجان الجديدة التى تنظم حركة المقاومة ويزداد نشاطها يوما بعد يوم !
لكنه كان في حاجة الى شيء من الدعاية الرسمية !. وبعد

مشاورات مع (كاظم قره بكير) دعا القواد العسكريين ومندوبى الاقاليم المجاورة الى مؤتمر في ارضروم . وكانت تواجه مهمة عسيرة ، فان كثيرين من الدين حصروا هذا المؤتمر كانوا يعارضون آراءه ، بل يعارضون سعيه الى السلطة .. كانت تعمل في عوسهم عوامل كثيرة من العيرة الوسيمة . لكن مصطفى كمال - بصبر جميل وتواضع جم - احدث يستميلهم الى صعه .. وشيئا فشيئا بدأ يدعم زعامته الشخصية عليهم ، لكنه كان يلقى دائما بالشكوك والريب التى تعترض سبيل سيطرته الكاملة عليهم !

وفي وسط المناقشات المحتدمة جاءت الاوامر من حكومة القسطنطينية المركزية الى (كاظم قره بكير) بالقاء القبض على مصطفى كمال وفض المؤتمر وامادة مندوبى الاقاليم الى بلادهم !

وبات مستقل مصطفى بين يدي كاظم بكير . كان هو القائد المسيطر على القوة الوحيدة الطامية في تركيا ، وكان يعطره نظاميا صارما ، عادلا ، محامدا ، محبا للتقاليد .. فتردد امام هذا الحرج . كان قد وعد مصطفى كمال بان يؤيده . لكن ولاء للسلطان وحكومته المركزية كان يستحثه على تنفيذ الامر بالقبض على مصطفى ! ولم يخف نص الاوامر التى تلقاها ولا مدى الحيرة التى يعانها ..

وبات الموقف معلقا في ميران يتأرجح بين شخصيتين : كاظم .. ومصطفى كمال .. فذل هذا الاخير كل جهده وبراعته في القاشى كي يقنع صاحبه بالانحياز الى جانب . كان يدرك انه لو فشل الآن فقد هزم ! واعزم - ايا كان ما يحدث - ان لا يدع نفسه يهزم ويسلم الى السلطان والى الاطيار ، كي ينهض الى مائدة ليقصي نقيبة ايامه في زفراته ضيقة ، او لعلهم يحكمون عليه بالشنق .. وعادوته ذكريات الايام التى قضاها في « السجن الاحمر » فحدث

نفسه بأنه يؤثر الموت على أن تتكرر . ودبر أمره مع حارف على أن ينشدا الفرار فيما إذا فشل في التأثير على كاظم . فإذا انتصح أمرهما ماتلا مطاوديهما حتى يقتلا . أما أن يؤسرا فلا !

واستخدم مصطفى كل بلاغته ، وحماسته و محاولة اقناع كاظم قره بكير . وقال له : « ينبغي أن تكون مخلصين ، لكن إخلاصا وولاءنا يجب أن يكونا تركييا . أما السلطان وحكومته فهما العونة في أيدي العدو الاجنبي ، ومن ثم فالأوامر الصادرة من العاصمة ليست في الواقع صادرة من السلطان بل من الانجليز ، واذن فهي غير شرعية . والى الوحيدة الشرعية هي الممثلة في مؤتمر المندوبين المتعقد الآن وفي المؤتمر الوطني العام المزمع أن يعقد في (سيواس) .

وبهذا النقاش استدرج مصطفى كمال كاظم قره بكير ، متاعه من الاحداث الفلسفية السياسية . ثم ناث كرميل ، وذكره بوعده له بالمساعدة . . وكان كاظم يفتقر ببطئا في الوصول الى قرار في امر من الامور ، لكنه اد استقر عليه لم يكن ليغيره أو يتراجع عنه ! .

واصدر الرجل قراره اخيرا ، بالوقوف في صف مصطفى كمال ورؤوف والشعب ! . وعقد المؤتمر في جو من السخط على حكومة السلطان المركزية ، وانتهى الى قرار حازم هذا نصه : « تنظم مقاومة للاحتلال والتدخل الاجنبي . . وتؤلف حكومة وقتية تتولى تصريف امور الدولة اذا عجزت الحكومة المركزية عن ذلك أو امتنعت عنه . ! . »

وانتخب المجتمعون لجنة لتنفيذ قراراتهم ولتمثيلهم امام مؤتمر « سيواس » المقبل . واحتاروا مصطفى كمال رئيسا للجنة ، كما اختير رؤوف مساعدا له . . وكذلك انتخبوا مصطفى كمال مندوبا عن ولاية أرضروم . . وهكذا ربيع

! الذئب الاغبر) الجولة الثانية الكبرى من جولات القتال . .
توصار في مركز معترف به ، يظاوه فيه كاظم قره بكير
لوقواته ! .

الميثاق الوطني

اقبل المندوبون من شتى بقاع تركيا لحضور المؤتمر العام في سيواس . جاءوا متكبرين خلال ممرات الجبال وتحت جناح الظلام ! . وكانت الحكومة المركزية قد اصدرت الى البوليس امرا باعتراض سيلهم . ولم ينج مصطفى كمال نفسه من الاعتقال الا في آخر لحظة ! انه آمن في أرضروم بسيواس ، حيث توجد قوات نظامية . لكن جمعا من رجال الباحث انتظروه في الطريق ليقوموا به قبلة ، فجلدوه بعضهم في الوقت المناسب واذ دأب لجأ الى طريق آخر يحترق الجبال ووصل الى سيواس سالما !

ولم يكن لمندوبي الاقاليم اهداف واضحة ، فاشتبكوا في مناقشات طويلة دون نتيجة . وكان من رأى بعضهم أن مقاومة الانجليز بالسلح مستحيلة . . ولم يبد مستعدا لمواجهة الحكومة المركزية بالمعاد وتعرض البلاد لخطر الحرب الالهية غير نقر ضئيل

لكن مصطفى كمال ثابر على مناقشتهم ومقارعتهم الحاجة بالحجة دون ملل ، في صبر نادر لم يكن طبعا أصيلا فيه . . فقد كان اول من يعلم أن كل المستقبل يعتمد على نجاحه في هذا الوقف . ومن ثم صار يجلس اليهم الساعات الطوال يجادلهم حيناً ويفخرهم حيناً آخر سبيل من كلامه المشتعل حماسة وحمية ، وكان بذلك يكسح معارصهم اكتساحا ! وكان ايمانه برسائله التي تهدف الى ايقاد وطنه قد امدته في ذلك الظرف الخاص بقصاحة غير عادية !

وشينا فشيناً وطد مصطفى رعايته وسيطرته على

المجتمعين ، كما فعل من قل في ارضهم ، فانحاز اليه المعارضون واحداً بعد واحد لكن الأغلبية ظلت تضن عليه بثقتها .. حتى رؤوف وكاظم تغير حاولا اقناعه بالا يرشح نفسه رئيساً للمؤتمر !

على أن ذلك لم يكن بدى أهمية في الأمر ، فقد سبق مصطفى طريقه بحاج ، في وثوق وتأن !.. كان ، بصعاء دهنه ، يعرف ما يريد ويسمى اليه مباشرة .. وحتى الذين ضنوا عليه بثقتهم وقعوا تحت تأثير سحره فسيطرت شخصيته على الحاضرين جميعاً !

ومرة أخرى حذمه أعداؤه في استامبول .. فعلى منتصف دورة المؤتمر وقع في يد أنصاره أمر مرسل من الحكومة المركزية الى « على غالب » حاكم « ملاطيا » - وهي اقليم يقع الى الجنوب من سيواس ، في بلاد الأكراد - وكان الأمر يوصى بتدبير حملة من رجال القبائل الأكراد لكي يعزوا على سيواس ويقتضوا على مسدوس الأقاليم الذين حصروا المؤتمر .. ذلك أن السلطان اعتقد انه يستطيع الاعتماد في تحقيق غايته على التمسك الديني والولاء له بوصفه السلطان خليفة المسلمين !

وتلقى الحاضرون هذا الأمر بحنق شديد . اعتبروا تعريض عشائر الأكراد لبقاء القضي عليهم أهانة لا يمكن السكوت عليها . ومن هنا طلبوا الى مصطفى كمال أن يرسل قوات نظامية الى ملاطيا . فاعد مصطفى حملة من فرق المشاة وراكبي البغال والخيول وارسلها دون انطاء .. فالتقم بالأكراد ، وسحقهم قبل أن يستعدوا للمعركة ثم طاردت زعيمهم على غالب !

وعلى اثر ذلك اكتسح مصطفى كمال معارضيه ، وكان يملك موهبة الخطيب الذي يفرغ النار في القضية السيطة

فيحولها الى كراهية مروعة ! ومن ثم انتهت الفرصة لاستثارة حمية الحاضرين ضد العدو العاصب . واستصدر منهم قرارات « حامية » بالامعان في المقاومة وتحديد الشروط التي سوف يقانلون من اجلها ولن يرضوا عنها بديلاً ، وقد اطلقوا عليها « الميثاق الوطني » . واقسموا الأيضعوا السلاح او يقبلوا السلام حتى يقبل العدو بنصوص الميثاق .. !

وانتخب المجتمعون لجنة تنفيذية لتتولى عمل الحكومة المؤقتة المستقلة عن حكومة السلطان المركزية .. واختاروا مصطفى كمال رئيساً لهذه اللجنة .. ثم أرسل « المؤتمر » تلدارا الى العاصمة يطلب عزل « فريد » رئيس الوزارة - الذي ثبت من المراسلات التي سبقت مع على غالب انه الأمر بمادة الأكراد - واجراء انتخابات لبرلمان جديد حر !

ولما لم يصل رد على التلدار ، تولى مصطفى كمال رهام الموقف فأصدر امره الى السلطات العسكرية بالاشراف على المواصلات الرقية مع العاصمة وعزلها عن بقية البلاد .. وتحويل الإيرادات وجميع المراسلات الحكومية اليه ، مع خلال أشخاص موثوق بهم مكان الموظفين المدنيين !

عندئذ اصطر السلطان الى الرضوخ ، فعزل صهره فريد وعين مكانه على رضا - وهو شيخ مسن لا شخصية له - ثم أمر باجراء انتخابات جديدة !

واسفرت نتيجة الاسحانات عن فوز حزب « المؤتمر » بأغلبية كبيرة في البرلمان الجديد .. وانتقل المؤتمر بقضيه وقضيته الى مدينة « انقره » ، التي كانت بحكم توسطها للأقليم انتب البلاد التي تصلح مركزاً له .. وانتخب مصطفى كمال نائبا عن ارضهم !

واقبل على انقره كثيرون من النواب الجدد ، لعقد اجتماع

تمهيدى يشاقبون فيه في شؤونهم .. فعرض في الاجر الاول اقتراح بان يلتزم البرلمان في العاصمة ، وان يحل المؤتمر ، بعد ان صار أعضاؤه نوابا رسميين .. لكن مصطفى كمال عارض الفكرتين في شدة وإصرار ، قائلا : « ان المؤتمرين ان يستمر ، حتى يظهر مدى التزام البرلمان للعدالة وسنن سياسة . اما الانتقال الى العاصمة فليس سوى حماقة جنونية .. انكم لو علمتم ذلك لاصحتم تحت رحمة العدو الاجبي ، فالانجليز ما زالوا هم المسيطرين على البلاد . وسوف تتدخل السلطات في اموركم ، وربما امتقلتكم ! وادى ينبى ان يعقد البرلمان هنا في انقرة ، كي يظل حرا مستقلا »

لكن في هذه المرة هزم ، فلفد طرح النواب جميعا بكونهم قد انتحوا انتخابا شرعيا ولم يعودوا يعتبرون نوابا ، فاعتزموا ان يذهبوا الى دار البرلمان في العاصمة ، ليكونوا هناك في ظل الحاكم الشرعي للبلاد .. السلطان وحيد الدين !

واذ فشل مصطفى كمال في بلوغ غايته حاول ان يملى على النواب رأيه في واجباتهم واتجاهاتهم ، لكنهم ابوا عليه تدخله وادعاه التفوق عليهم !

وبقى مصطفى كمال في انقرة ، يرقب ساحرا جموع النواب اللذابين الى العاصمة ، ورؤوف في مقدمتهم .. وقرر ان يدع مقعده في البرلمان الجديد شاغرا ، ولا يشترك في هذه الحماقة !

وانتقل مركز النشاط من انقرة الى القسطنطينية ، وانتقلت الزعامة من مصطفى كمال الى رؤوف .. وفي كل مكان - بين النواب ، وفي الأتاليين ، وفي انقرة ، وحتى في صفوف الجيش - حدث رد فعل لمصلحة السلطان والحكومة المركزية ، وسادت رغبة حارة في تجنب الشجار بين تركي والطور بمظهر الشعب المتحد في جبهة واحدة

تحت زعامة الحاكم الشرعي .. وهذا كان السلطان هو الذي فاق ، ومصطفى كمال هو الذي خسر !

على ان مصطفى كمال لم يتزعزع ، فقد استقر رأيه على شيء . انه لم يتغير ، او يتردد ، او يضعف .. وما زال عبد رأيه من ان المقاومة المسلحة للقاصب الاجنبى هي كل الأمل الباقي في انقاذ البلاد ! .. وكان يعرف السلطان خير المعرفة . ان وحيد الدين لن يأنس من نفسه يوما الشجاعة على استعمال القوة ضد الانجليز . ثم ان ذلك مستحيل التنفيذ من العاصمة ، حيث يسيطر الانجليز على كل شيء .. وهو مقتنع تمام الاقتناع بان البرلمان المعقدي في القسطنطينية لا بد ان يفشل .. ونوابه لا بد ان يعودوا اليه مقربين بخطئهم ! .. وبلغ من ايمانه بهذه النتيجة انه حاول ان ينتخب - عابيا - رئيسا للمجلس ، كي يتسنى له ان يعالج الأزمة حين تقع ! ..

لكنه فشل في بلوغ امنيته هذه .. وبرغم ذلك واصل نشاطه في اعداد القوة المسلحة ، وجمع الرجال والسلاح ، والاشراف على تدريب الجنود !

جيش الخليفة

وصل النواب الى العاصمة واجتمع شملهم في جو من الجدل والنقطة وأرسلوا برقية الى السلطان يعربون فيها عن ولائهم له .. ثم عكفوا على عملهم بهمة كبيرة .. وكان ذلك في مستهل يناير سنة ١٩٢٠

لكنهم لم يكونوا في حالة نفسية يحسدون عليها . فقد جلسوا في مقاعدهم ليدافعوا عن حقوق تركيا ، ومن ثم لم يلبثوا ان رفضوا - برعامة رؤوف القوى الشكيمة - كل محاولة من السلطان او الانجليز لاملأ ارادتهم عليهم .. في

الوقت الذي طالب فيه الانجليز بالطاعة السريعة لجميع
وامرهم ، فاهمل النواب طلبهم وتجاهلوه !

وهنا طلب قائد القوات المتحالفة عزل ودير الحربية ،
فوافق السلطان ، لكن النواب احتجوا .. وحوالوا على هذا
التحدي اقروا ثم شرروا « الميثاق الوطني » الذي اعدوه في
مؤتمر ارضروم ، وهو المشتغل على الشروط والمبادئ التي
يقفلون السلام على اساسها ؛ واعلموا ان تكون تركيا حرة
مستقلة داخل نطاق حدود مقررّة !

وكان ذلك تحديا مباشرا للعدو الظاهر ولجيش الاحتلال ؛
واذ لم يحرك الانجليز ساكنا امعن النواب في الصلاة .
ولا سيما ان الحوادث في كل مكان كانت تعمل لمصلحتهم .
فعى شال سوريا هاجم الاثراك المحليون غرامهم الفرنسيين
واحرقوهم على النقيض .. وفي « اورما » و « عينتاب »
حوصرت الحاميات الفرنسية . والانجليز بدورهم كانوا
ينسحبون في جميع الاتجاهات ، من القوقاز الى القرم الى
الاناضول ، بعد ان سرحت جيوشهم

وفي طول البلاد وعرضها بات الاثراك يرفضون تنفيذ اوامر
جيش الاحتلال . وقرر صراط المراقبة انهم قد تجاهلوا .
بل اهيئوا في بعض المناطق . ولم تعد الاسلحة تسلم الى
الانجليز ، واستدعيت القوات الى الخدمة من جديد ودرت
تدريبا افضل .. وخولفت شروط الهدنة اكثر من مرة .
واعادت جماعة من الاثراك على مستودع الذخيرة في غاليسولي
وحملوا معهم عند انصرافهم حارسه الفرنسي وماكان يحتويه
المخزن من سلاح .. ومع ذلك لم يتيسر القبض على هؤلاء
ومعاقبتهم !

وقرر الانجليز ان يتخذوا اجراء عنيفا بغيث المتحدين ..
ولكن سحب البقية الباقية من القوات الانجليزية من داخل
البلاد حال دون اتخاذ هذا الاجراء العسكري الا في العاصمة

لثانها .. ومن ثم احتلوا يوم ١٦ مارس احتلالا رسميا
والقوا القبض على بعض النواب ، ومنهم رؤوف وفتحى
وغيرهما من كبار الوطنيين وتولوا ترحيلهم الى معسكر
احتقال في مالطة .. ثم اطلقوا دار البرلمان !

وعمد جميع زعماء الاثراك في العاصمة الى الاختفاء او الفرار
الى الاناضول ، كما فر الى انقرّة كل من « عصمت »
و « فوري » من رجال وزارة الحربية ، والكاتبة الكبيرة
« خالدة » وزوجها عدنان !

وكان السلطان يتابع انباء هذه الاحداث وفي عزمه ان يبد
الثوار ويستريح منهم . وكانت شروط الهدنة ورقابة لجنة
مراقبي الحلفاء تمنعه من استخدام القوات النظامية ..
فامر بان ترسل اليهم القوة غير النظامية التي اليها - بناء
على رغبة حلاله - ودير الحربية « سليمان شوكت باشا »
واطلق عليها « جيش الخليفة » .. كما كلف الوعاظ ورجال
الدين في سائر انحاء تركيا بان يستنبروا بخوة الجماهير كي
تقف في صف الخليفة والعرش . فاستجاب الناس في كل مكان
للدعوة الجديدة ، وهتت جماعات متفرقة مهمهم لصرة
السلطان .. وسرعان ما نشبت الحرب الاهلية من ادنى
البلاد الى اقصاها ، فانقسمت المدينة ضد المدينة ، والاسرة
ضد الاسرة ، وابلق الاح على احيه والاب على ابنه ! ..
واشتعلت الثورات في كل مكان على غير انتظار ، وبلا
مقدمات ، وكان رجال السلطان واعوانه يشعلونها كلها
اخمدوها مصطفي كمال وانصاره . وهكذا صار التركي يقتل
اخاه التركي ، أو يرحمه بالاحجار ، ويشقه أو يصله ..
في حمى من الكراهية الضارية لا نظير لها !

وبلغ من اساليب القسوة التي استعملت ان عمد رجال
السلطان في « قونية » الى انتراخ اطراف الضباط الذين

أرسلهم مصطفى كمال ، ثم قيدوهم الى ذبول جيلادهم وتركوها تجرهم على أرض الطريق بأقصى سرعتها .. فانسف أنصار مصطفى كمال للضحايا بأعدام قادة المدينة رميا بالرصاص !

وأعاد السلطان صهره ومستشاره فريد الى رئاسة الوزارة ، وأبعد عن خدمته كل الذين أبدوا ميلا الى « الوطنيين » ... وأصدر نداءات متكررة ناشد فيها جميع رعاياه المخلصين أن يهبوا لتجديده ضد « حونة أنقرة » .. وأخيرا أصدر مرسوما خاصا باعتبار مصطفى كمال وأمواله خارجين على القانون ومستحقين للموت ، وأعلن أن من يقتلهم يؤدي بذلك واجبا مقدسا يكافأ عليه في دياره وآخرته !

ووصلت أنباء هذه الأحداث جميعا الى أنقرة في امسية من امسيات أوائل الربيع وبرد الشتاء ما يزال في الجو . وكان مصطفى كمال جالسا في يهو مدرسة الزراعة ، داخل مبنى حجري صغير فوق التلال الواقعة خارج المدينة . وإلى جانبه الكتابة خالدة أديب وزوجها عدنان وعلى فؤاد ، ثم عصمت الذي كان متكئا بمرقعه على اطار النافذة يتطلع الى الخارج . وتهامس الحاضرون بالأنباء في صوت خافت ، خشية أن يبرز لهم من الظلال رسول من السلطان او متعصب ديني مؤمن بخرافة القتل المقدس ! .. كان الموت يكمن لهم وراء كل شبح ، بعد أن امسوا في نظر الجيلاء منبذين محكوما عليهم بالموت ، يستحق قاتلهم ثواب الدنيا والآخرة !

وكانت الأنباء جميعها سيئة نثر الكتابة .. فاليوتان قد استأنفوا زحفهم من أزمير ، وراحوا يحرقون ويقتلون ويكتسحون الأقليم بلدا بلدا .. والفرنسيون بدورهم قد

حرزوا بعض النجاح في الجنوب .. وعملاء السلطان قد أثاروا وة الأكراد في الشرق .. والحرب الأهلية تحديق بهم من جانب ، وقد امتد لهيبها الى « بولو » وانتشر منها سرعة صار الثوار على قيد اميال قليلة من أنقرة ذاتها ؟ ! وإسلاك البرق قد قطعت أكثر من مرة . وأرسل ضابطان لتعامهم مع الجماهير مرححا بالأحجار وسيقا الى السجن ثم الى العاصفة كي يشقا باعتبارهما حائذين ! . والفرقة التي أرسلت لقمع الثورة تمزقت وتشتت شملها .. والفرقة الرابعة والعشرين التي أرسلت الى « جنسك » وقمت في كمين وأبيدت من آخرها ! ..

وأحرر « جيش الخليفة » بجاحا ناززا ، فاستولى على عدد كبير من المدن وأعلن خضوعها للسلطان .. وسادت البلاد موجة من روح الهزيمة ، وفي ذلك اليوم نفسه توجه وفد من بساء أنقرة الى مقر مصطفى كمال في مدرسة الزراعة وخاطبته قائلات : « لقد قتل رجالنا في الدرديل ، فلماذا نستشهد مرة أخرى في أنقرة لأن الانجليز يحتلون العاصمة .. فلتمن العاصمة شأنا فالتقتال عقيم وميتوس منه .. ونحن نريد السلام ! »

وقبع مصطفى كمال في مقعده صامتا ، وقد تدثر بمعطفه الأفيبر ووضع على رأسه طربوشه الرمادي المصنوع من فراء أستراخان ، ومال ذقنه فوق صدره ، وأربد وجهه ، وزاغت عيناه !

كان قائدا بغير جيش ! . ورئيس حكومة مؤقتة مجردا من المال والسلطة وسائر مقومات الحكومات ! .. لقد وضع خططا رائعة لانتفاذ تركيا من قبضة الأجانب وجعلها دولة مستقلة عظيمة ، لكنها مرقت بين برائن الحرب الأهلية ، وما رآه العدو يحتويها في قبضته ! .. أن كل ما عمل من أجله

مصطفى كمال ، وجميع خططه الرائعة ، قد بددتها الرياح . . ولم يعد هو نفسه أكثر من نائر مطارد وضعت الحكومة ثمنها لمن يأتيها برأسه !

وفي الخارج كان الطلام حالكا . . وخلف أشجار السنط ، وسط السماء الباردة وفوق الطلال السوداء للحال العربية لاح الهلال العنفي بشيرا بقر جديد . وفي مزرعة عند أقدام التل كان كلب الحراسة الهائل المحيف « كراياش » ينبج في وجه القمر !

وأصفي مصطفى كمال لنجاح الكلب اللئبي الأغبر ثم فاء منتفضا وكأنه حيوان معترس !

انه سوف يقاتل ! . وقد تبحر من نفسه اليأس ! . انه حي وممتلئ حيوية !

وشامت روحه في البهر كله ، وكهرت الآخرين ، فعمت فيهم الأمل الذي كان قد خبا . ثم صاح مطالبا بأصاءة نور يبدد الظلمات والأشباح . . وطلب من عارف ورملائه من هيئة أركان حربه ان يتلقوا منه الأوامر ، ومن آخر ان يحرك النار الهامدة في المدعاة !

نعم . . انه سوف يقاتل ، سوف يقذف تركيا ويخلق منها دولة عظيمة حرة !

كان مصطفى كمال في الوقت الذي قرر فيه مواصلة القتال قد عاوده مرضه القديم ، فسب له آلاما حادة تصحبها حمى مرتعة . وهكذا عاش في حالة خطر دائم على حياته ! . كانت القرى المحيطة بأفرة نضوى واحدة بعد الأخرى تحت لواء السلطان وتنضم إلى (جيش الخليفة) . وبات من المحمل في أمة خطة أن نشب الثورة في أنقرة ذاتها ، أو يقع هجوم مفاجيء على مدرسة الزراعة ، فيقتلوا جميعا عن بكرة أبيهم . وكان الحراس يشاهدون أشباحا مريسة

لحوم حول الناء أثناء الليل . وفي ذات صباح وجد كلب الحراسة الهائل « كراياش » مسموما أمام عتبة الدار !

وكان مصطفى كمال وعارف ينمان نسيابهما الكاملة ، ويتناولان الحراسة بينام الأول في الساعات المبكرة من النهار ، وبينام الثاني في المساء . . وفي الفناء الأمامي بقيت جباههما ممرجة ومعدة للانطلاق براكبهما فورا إلى « سيواس » عند حدوث ما يقتضي ذلك . . وتعلمت « خالدة » كيفية استخدام المسدس ، وحمل عدنان بك السم في جيبه كي يلجأ إليه عند الضرورة فينجو من العذاب المروع الذي ينتظره لو وقع أسيرا في يد جيش الخليفة !

وظل مصطفى كمال يعيش على هذا المتوال في حالة أرهاق دائم نفسي وجسماني ، وقد مرقه الأعياء وهذه المرض ، من غير أن ينال قسطا من الراحة !

كان يعمل طيلة النهار وشطرا من الليل وهو جالس إلى مكتبه في ركن من البهو الرئيسي ، على ضوء مصباح يترول ذي لمب أصفر ، يدرس الخطط ويناقش المشكلات ويصغي إلى التقارير ويصدر الأوامر . . وكانت الرقيات الوافدة ذات معنى واحد : مدينة بعد مدينة تستسلم لجيش الخليفة ، وفشل وراء فشل في كل مكان ! .

وأثناء ذلك كله لم يكن مصطفى كمال يكف عن تناول القهوة السوداء وتدخين السجائر المتناعة في نهم وعصبية ، حتى كان رمادها يتراكم في المنافض ويتناثر فوق المنصدة . . ومن خلفه كان عصمت في ردائه الأسود يلدغ البهو دهابا وجبهة طيلة الليل وقد عقد يديه وراء ظهره ، يظل من الناعلة آنا ، ويتجه إلى مصطفى كمال ليشاور معه أما آخر . . لا يكاد يجلس أو يستريح . . وفي حجرة أخرى كان فوزي منهمكا بدورته في العمل !

على هذا النحو قاتل مصطفى كمال كما يقاتل الوحش الجيبس في ركن ضيق ، لا يشفق ولا يطالب خصمه بأن يشفق عليه !.. كان يقضي بالموت على كل رجل من أعوان السلطان يقع في يده .. وحين سألته قائد أميركي عما يصرم أن يفعل أذا فشل الوطنيون ؟.. أجابه صائحا : « الشعب الذي يبدل أقصى ما في وسعه في سبيل حياته واستقلاله لا يمكن أن يفشل !. فالفشل معناه أن الشعب قد مات ! »

لكنه كان يعلم أن الشعب لم يمت بل هو حي ! وكان هذا الإيمان بالشعب يملأ جوانحه ، ويتعلم في دمه ، وفي كل كلمة ينطق بها ، وكل أمر يصدره وكل خطبة يلقيها .. فاشعل في الوطنيون نار حماسة جديدة . كان يصيح بهم : « انتصروا أو دعوا العدو يسحق جنثكم ! » فكانوا يجيبونه بعاصفة من التصفيق وتناهم نوبة من الحماسة الحارفة التي تكتسح من يقف في طريقها !..

وهكذا أوقفوا الزحف اليوناني .. واخمدوا الثورات المتفرقة التي أشعلها أعوان السلطان ، وحرروا أنقرة من الخطر المحدق بها .. ثم هاجموا « ماراش » وأبادوا حاميةها الفرنسية والأرمن الذين جندتهم .. ثم حطموا شوكة الأكراد .. واكتسحوا القوات الإيطالية الرابضة على طول السكة الحديدية في قونية .. وهاجموا الحامية الإنجليزية عند السكة الحديدية في (اسكي شهر) ثم طاردوها إلى البحر .. واعتقلوا جميع ضباط مراقبة الخلفاء الذين استطاعوا أن يضعوا أيديهم عليهم في الداخل ، واحتفظوا بهم كرهائن مقابل النواب المعتقلين في مالطة !



وشاعت في أقاليم تركيا وقراها أنباء احتلال الإنجليز

العاصمة وحركة الاعتقالات التي أقدموا عليها ، واغلاق دار البرلمان بالقوة ، ومؤازرة السلطان وحكومته لهم .. فتبخرت حماسة الشعب المناصر للسلطان والحكومة المركزية ، وأثبت الأبناء الوطني وجوده فانحاز الرأي العام الى الوطنيين ، وتبددت روح الهرمية في أرواح الحماسة العاصية .. وأدرك كل تركي أن لا سبيل لتطهير العاصمة ما دامت سيطرة الإنجليز عليها !

كان مستحيلا أن يثق أحد في السلطان أو حكومته . ولقد أصاب مصطفى كمال في رأيه : لا بد من أن يتخذ الشعب نفسه ويتخذ تركيا من برائن الغاصب الأجنبي بالمقاومة المسلحة !..

ومن شتى الجهات أقبل الرجال والنساء من جميع الطبقات ليسجلوا أسماءهم في سجلات المتطوعين : النساء القرويات يحملن الدخائر والأسلحة ، ونساء الأسر الكريمة ليتولين التمريض والحياكة .. وتطلع الجميع بأبصارهم وآمالهم نحو « مصطفى كمال » !

وفر كثيرون من جنود « جيش الخليفة » من صفوف جيشهم ، وآخرون أبوا أن يقاتلوا ، وقتلوا قوادهم !.. وجاء من العاصمة نواب يلتمسون مهرا من الاعتقال ، كما جاء منها ضباط وقادة ووراء ، ومدنيون أغنياء وفقراء .. حادوا بأسرع ما استطاعوا عبر ممرات سرية في الجبال وفي لياف تنكروا فيها للافلات من البوليس الإنجليزي المربط حول المدينة !

وأصدر مصطفى كمال منشورا بالدعوة الى انتخاب برلمان جديد يكون مقره « أنقرة » .. وأعاد النواب الصاريون - بالاشتراك مع رئيس البرلمان - افتتاح البرلمان الألفته القوة العاصية في العاصمة ، وأقروا مرسوم الى انتخاب برلمان جديد !

حول مائدة الصلح

هناك في باريس ، حول مائدة مؤتمر الصلح ، جلس ساسة الحلفاء : الرئيس ويلسون ، ولويد جورج ، وكليمنصو . . يحيط بهم مساعدوهم ، ويسقط أسيادهم كل يوم وكل ساعة خمسمائة صحفى من شتى أركان العالم . . جلسوا يرسمون مستقبل الدنيا ويصدرون أوامره الخاطيرة كما لو كانوا آلهة !

واستنداروا في قلق . . ان شيئا غير عاذى يحدث في تركيا . . وتساءلوا متعقلين : « ما هذا كله ؟ » . . لقد هزمت تركيا في الحرب العالمية وانتهى أمرها ! « . . وكانوا قد سمعوا بمصطفى كمال ، القائد الذى كان له بعض الشأن في معركة الدردنيل ، والذى صار معامرا غير مرغوب فيه وثائرا ضد السلطان يعيش في مكان ما بين الجبال في الأقاليم الداخلية من تركيا !

وتحت ضغط ناصحهم أعد الساسة العظام معاهدة صلح خاصة بتركيا ، أطلقوا عليها معاهدة « سيفر » ثم نشروا نصوصها . . !

لكن نشر نصوص هذه المعاهدة كان له رد فعل مباشر ، فقد كانت تلك النصوص - اذا قلت - بمثابة حكم على تركيا بالاعدام . . كان من مقتضاها ان تترك الأناضول للأتراك ، بعد اد اقتطعت منها أزمير . لكن كل حركة وسكنة من حياتهم كانت تصحح موضع مراقبة : مالبثتهم تحضج لاشراف صارم . . وجيشهم يسرح وتعل غلله قوة جديدة قوامها المنظوعون ومهمها تولى امور الصرايب ، وحرس العابات ، والبوليس . وهكذا يقيد الأتراك بهذه القيود الخائقة بينما يتروكون مسمعى - أسما - بحقوق السيادة !

وسرعان ما آمن كل تركى أصيل بوجوب مقاومة هذا

واقبل الثواب الجدد ، العائزون في الانتخابات الجديدة ، الى انقرة وقد امتلأت صدورهم حماسة للكفاح . . وأطلقوا على أنفسهم اسم « الجمعية الوطنية الكبرى » واعتبروا أنفسهم الحكومة الشرعية لتركيا . . ثم انتخبوا - باجماع الآراء - مصطفى كمال رئيسا للجمعية !

ان الرجل الذى كان بالأمر وحيدا منوذا ، بات اليوم زعيما معترفا به وبلغت حوله الاتباع . . . وقد رد بوصفه رئيسا للجمعية الوطنية على رسالة تلقاها من رئيس الجمهورية الفرنسية مقال مرهوا : « ان الجمعية الوطنية الكبرى المعقدة الآن في تركيا سوف تشرف على مصر تركيا طالما بقيت العاصمة في يد العاصب الاجنبى . . . وقد ألغت الجمعية مجلسا تنفيذيا أحل على عاتقه تصريف شؤون البلاد وحكمها . . . ولما كانت العاصمة والسلطان وحكومته تحت سيطرة العدو . . فان جميع الأوامر الصادرة منهم تعتبر ملغاة وكان لم تكن . . . ان حقوق الشعب قد انتهكت والشعب التركى برغم هدوئه يحترم المحافظة على حقوق بلاده كدوله مستقلة ذات سيادة ، وهو يبنى سلما عادلا مشرفا تكمله معاهدة صلح يرتصبها ممثلو الشرعيون ! »

والى جانب هذا الإيمان بالوطن ، الذى أملى على مصطفى كمال هذه الرسالة ، كان يطوى جوانحه على وهو عظيم بتركته ، زهو حليق بجنى دى ماض عريق وتاريخ عظيم . . . وحين تلى عليه خطاب ألقاه (لورد جراي) تحدث فيه عن الأتراك بلهجة الأنفة والتعالى عليهم ، استشاط غضبا وصاح بصوت صارح خاد مفعم بالسخط : « هؤلاء الانجليز سوف يعلمون أننا مثلهم بل أفضل منهم كثيرا ! . . وسوف يعاملونا على قدم المساواة ! . . ولن نحسب لهم هامانا يوما ! . . سننصف ضدهم حتى آخر نسمة ، حتى نحطم حضارتهم فوق رؤوسهم ! »

الحكم .. ان الأتراك الذين هاشوا خمسمائة عام شعبا حاكما لن يصبحوا بين غمضة عين وأنتابها مبيدا .. ومن ثم نسوا غيرتهم القديمة المتنادلة وأنصروا جميعا تحت لواء مصطفى كمال .. فها قد تحقق كل ما نبه اليه من قبل ! واستجابوا لدعوته فكشروا عن أنيابهم ، وسحقوا ما بقي من جيش الخليفة .. وظهروا المناطق الثائرة ضد انقرة وأنهوا الحرب الاهلية .. وتعاهدوا على الانتقام من « فريد » وباصحى السلطان الذين لن يعارضوا المعاهدة .. ثم نصبوا مصطفى كمال زعيما ، ولقبوا انفسهم بالكماليين بدلا من الوطنيين ! ثم انطلقوا ليهزموا اليونان والخلفاء الذين يظاهرونهم !

وكان مصطفى كمال على أتم استعداد : ألف مجلس وزراء مقاتل ، من : بكير سامي ، وعدنان ، وفوزي - الذي نبط به تنظيم الدفاع الوطني ، ولا سيما فيما يتعلق بالدخيرة والتبوين - وعصمت كرئيس لهيئة اركان الحرب .. اما رؤوف وتحتى وبقية القواد فكانوا ما يزالون معتقلين في السجن الانجليزى بمالطة !

وفي الجنوب هاجم الأتراك المخلصون « بوزانطى » واجبروا الفرنسيين على الانسحاب والنويع على اتفاق الهدنة .. وفي الشرق طهر « كاطم قره بكير » الحدود من الأرمين ، واشاع الأمن في تلك المنطقة . والآن جاء دور مصطفى كمال فاصدر امره بالإطلاق على العاصمة داتها . ولم يكن قد بقر في تركيا بأسرها من قوات الامعاء غير اليونان في منطقة أزمير والقوات المتحالفة في العاصمة وحولها !

وفي الجانب الأوربي - من تركيا - زحف الجنرال جعفر طيار بجيوشه التركية الى الامام .. وفي الجانب الآسيوى هاجم على مؤاد « أزميد » وامسى يقف امام الانجليز وجها

لوجه ! .. واذا رأى أنهم لا يحفلون الا الشاطئ الجنوبي أرسل فرقة فرسانه غير النظاميين حول جناحهم .. تحسوا البوسغور رأسا .. هاجموا القرى وأحرقوها ، على بعد ميل واحد عبر الماء من مكاتب قائد قوات الخلفاء ! .. اما القسطنطينية بحسب الاحتلال المرعوم المرابط فيها ، ومندوزى الخلفاء الذين يمثلون الدول العظمى الطافرة ، فقد كانت مفتوحة في وجه أى هجوم مباشر .. وكانت القوات الانجليزية في منطقة أزميد من القلة بحيث لا تقوى على صد هجوم الأتراك ! ..

وبات الخلفاء مسلوبي الحول والظول ، واستيقظ سياستهم في باريس ليجدوا انفسهم مجردين من القوة التى تكفل تنعيد قراراتهم الجارية الخطيرة .. كان كل بلد في أوروبا يهاب لرد فعل شديد أعقب الحرب ، وكانت جيوش الدول جميعا قد سرحت .. فضلا عن اشغال ايطاليا بقمع ثورة شيوعية ، واشغال فرنسا باضطرابات سوريا وبمخاوفها من الألمان .. اما الامبراطورية البريطانية فقد تلقت من الصربات ما كاد يقوض أركانها : ففي أيرلندا شبت الحرب الاهلية ، وفي الهند نشبت الثورات وحركات التمرد والعصيان .. علاوة على الحرب مع أفغانستان .. وامريكا است التدخل .. وهكذا لم يبق لدى الخلفاء جندي واحد يستطيعون ارساله الى تركيا ! وكان عليهم ان يقاتلوا أو يفروا ، ولم يكونوا راغبين في القتال ولا قادرين عليه ! ..

وكان جيش الخلفاء في القسطنطينية قد خفض الى بضعة الاف ، فرسم القائد العام خطته وأعد جميع المعدات على ساس الحلاء العاقل : فأحرق المستندات ، ودمرت المخازن اطلقت الدخائر ، ولعمت القاطر كى تتسفع عند الاقتضاء .. رضت سعن الأسطول في خليج القرن الذهبى على تمام لأهبة للرحيل ! ..

ووقف مصطفى كمال يرقب ذلك كله وقد انتشي بفرحة النصر . كان يكفي أن يصدر الى جنوده اشارة بيده ليطاردوا الخلفاء « المنتصرين » حتى يطردهم من ارض تركيا . . . وسرعان ما امر بتجديد كل رجل لائق . . . وفتحت سفن الاسطول الانجليزى افواه مدافعها على الاتراك المحتشدين امام ارميد ، لكن ذلك لم يكن ليصدهم صدا نهائيا ، بل كان اقصى اثر محتمل انه قد يحوجهم الى بضعة ايام يستردون فيها قواهم كي يحرقوا حط دفاع الأعداء الضعيف ثم يزحفوا الى العاصمة ويقطعوا مواصلات جيش الخلفاء !



ولتلت الاقطاب الثلاثة المجتمعون حول مائدة الصلح في باريس حولهم حائرين عاجزين . . . لقد ادركوا احيرا ما يحدث : ان الاتراك - بقيادة رعيمهم المعاصر الثائر مصطفى كمال - يوشكون ان يطردوا الجيوش المتحالفة من بلادهم . . . اى ان حقنة من الاتراك المهلهلى الثياب يطردهون جيوش الخلفاء الظافرين . ! واذن يجب تدارك ذلك ناي ثمن ! فان مثل هذه الكارثة قد تعس كل شيء ، وتثير الثورات في جهات أخرى ، وتؤثر في خطط الخلفاء الرائعة لتنظيم العالم !

ولكن كيف توقع الكارثة ؟ . . . ذلك هو السؤال الذى تبادلته اللتعمون حول مائدة مؤتمر الصلح في باريس وفي مقدمتهم ويلسون ولويد جورج وكليمنصو ، لكنهم لبثوا حائرين عاجزين لا يجدون الجواب المطلوب !

وكان « فتريلوس » رئيس وراة اليونان يهدف طيلة حياته الى ان يجعل بلاده امبراطورية تملك ساحل الاناضول الفنى وتكون عاصمتها القسطنطينية . . . وقد جاهد عشرين

عاما كاملة في الحاح ومثارة لتحقيق هذا الحلم ، فانشا مع لصرب وبلغاريا « عصبة دول البلقان » التى هاجمت تركيا سنة ١٩١٣ ، واحصر بلاده على الانضمام في الحرب العالمية الى صف الخلفاء الظافرين . . . وكان مظهره البشوش ووجهه الهادى وبظارته ، قد خلعت كلها عليه بساطة شبه صيبانية ، احفت وراءها صواب حكمه وبعد نظره ودقة حسابيه !

وكان قد حشد في جهة ازمير جيشا جرارا من حيرة قوات اليونان ، واتناع من الانجليز والفرنسيين مستودعاتهم الحربية العائضة عن حاجتهم ورود جنوده بالسلاح والذخيرة والسيارات المصفحة وحير وسائل المواصلات والاسعافات الطبية كما ارسل احسن ضباط جيشه الى ازمير والهب حساسة القوات بروحه المشبعة بآمال الامبراطورية المرموقة . لم تطوع - في مقابل مزيد من الاراضى في تركيا الآسيوية والاوربية - لان يضع جيش اليونان رهن تصرف الخلفاء ، كي يستخدموه وفق هواهم في قسر الاتراك على قبول معاهدة الصلح المرووسة !

وسرعان ما قبل الاقطاب الثلاثة مرجحين هذا الذى اقترحه فتريلوس . ! ورجوه ان يصح باطلاق جيشه من مقالله كى ينقدهم من حصومهم الاتراك . . . وفيما كان مصطفى كمال يحشد جنوده ويهيى بهم ان يهاجموا العاصمة بدأ اليونان زحفهم ، في اليوم الثالث والعشرين من شهر يونيه سنة ١٩٢٠ . . . فاحرروا في جميع الجهات بحاجا بسيرا ، فقد كانت قوات مصطفى كمال البطمية لا تريد على صبح فرق سينة التسلح مؤلفة من جنود ناقصى النشدة . . . اما بقية قواه فكانت تتألف من « عصانات » غير نظامية لا تقوى على مواجهة الجيش اليونانى الذى يعم في بحوكة من السلاح والقتلاء والمواصلات الموفورة والاسعافات الطبية . . . !

وهكذا اتجه قسم من جيش اليونان الى « ثريس » ، حيث طلق جيش الأتراك الأول بقيادة جعفر طيار وأسر ٠٠ ثم دخل ادرية وظهر الاقليم الواقع في الجانب الأوربي خلف العاصمة من جميع القوات التركية التي كانت فيه ، وفي الوقت نفسه رحل قسم آخر من الجيش اليوناني من أرمير نحو الشمال ، فأرغم الأتراك المدافعين على التقهقر عند أرمير وظهر جميع المسالك المؤدية الى العاصمة من الجانب الآسيوي ٠٠ أما القوة اليونانية الرئيسية فقد تقدمت في طابورين نحو السكة الحديدية الممتدة من الشمال الى الجنوب عبر الأياصول ومراكز القناها الهامة في « اسكى شهر » و « أميون » ٠٠ فلما بلغت منتصف الطريق تلقت أمرا بالتوقف وحفر الخنادق للاعتصام بها لحملها ، تعبدا لرغبة الحلفاء في الان تقدم خطوة الى الامام اكثر من ذلك !

وهناك بين الجبال والهضاب ، حيث لا طرق تربط بين اجرائها ، اجرت القوة على تشييد خط دفاعي جديد ٠٠ وقد اعتصمت بهذا الخط نحو ستة أشهر ، وطدت خلالها مواقمها ٠٠ فلم يحل خريف سنة ١٩٢٠ حتى كان ذلك الخط الدفاعي قد « تبلور » . بينما كان السلطان والحكومة المركزية في العاصمة دائبين على اصدار المنشورات ضد الثوار المتمردين الذين لم تكسر شوكتهم بعد !

وأصدر مصطفى كمال أمره بترك قوات متفرقة غير نظامية في خط القتال للتمويه على الأعداء ٠٠ بينما سحب جميع قواته النظامية الى المناطق الجبلية في الداخل !

بلد انتصار الكمالين

كان الأتراك قد تبطت عرائهم تلك الهزيمة الجديدة أمام القوات اليونانية وحلقتهم أشباه يائسين ٠٠ وبدأ بعض الجود يهخرون فرقتهم النظامية بعد أن عادت صيحة الملل

من الحرب واستعداء السلام تتصاعد من القرى التركية ٠٠ أما في أنقرة فقد طالب السياسة بمعاينة المسؤولين ، وهما : علي فؤاد قائد الجبهة الغربية ، ومصطفى كمال المستول الأول عما حاق بتركيا من عاه ٠٠ !

وهكذا اكتسحت البلاد مرة أخرى موجة من القنوط والاعياء وحية الأمل ، وطالب الشعب بمسحه السلام بأي ثمن ، ووقف ذلك الجهاد العقيم ضد الاقدار !

ولكن مصطفى كمال بقي رابط الجأش ثابت الأعصاب ٠٠ لقد كان تعتريه أحيانا نوبات من الكآبة ، لكنه سرعان ما تعاوده الحماسة الجارفة ! ولم يكن يصدر في كل ذلك عن وحى من الأحداث الخارجية بقدر ما يستجيب للوحى السبغت من أعماق نفسه ٠٠ بل كثيرا ما كان يتصرف بعكس اتجاه الأحداث الخارجية فيستعنه العشل ويفريه بدل مزيد من الجهد والتصحيحات !

وكانت هذه حالة في تلك الآونة ٠٠ عقدت « الجمعية الوطنية الكبرى » اجتماعاتها في احدى قاعات الدراسة بمرسة الزراعة الهمة - وواجه مصطفى كمال - في غير تردد - الثواب الصابرين الذين ارتفعت صيحاتهم تطالب ببعه ٠٠ وحين وقف أمامهم لم يكن مطهره بالذي يؤثر فيس يراه ٠٠ كان رجلا متوسط الحجم ، أرق العينين ذا وجه أغبر ، معبر مفعن ، لا يجذب أحدا في لحظات صيته !

لكنه لم يكذب يوما كلامه حتى خفت الضجة ، واثبتت شخصيته وجودها ٠٠ وصوته الذي كان في حديثه العادي خشنا غير واضح صار واضحا مدويا ، معينا بالمطافة والقوة ، مفعما بإيمانه الوطني برسائله وبنفسه ٠٠ !

واخذ يناقش النواب في تعقل ، عثمانيي معهم في منطقهم فقال لهم « ينبغي ألا تنتظروا من الجيش التركي أن يصمد

للجيش اليوناني في هذه المرحلة الباكورة من اعداده ٠٠ وان حاشية السلطان وناصحيه هم المسئولون عن الهزيمة ، لانهم سمحوا بتسريح الجيش القديم وتسليم ذخائره للأعداء ٠٠ ولأنهم بدأوا الحرب الاعلية ١ ٠ ثم ناشد النواب أن يتعقلوا ويتذرعوا بالصبر ، ويمتنعوا الوقت الكافي كي يعيد تنظيم ما فسد من الأمور !

ثم أيقظ فيهم عزيمتهم القومية واعش موات آمالهم مؤكدا أن الموقف بات محصورا في حرب صريحة مع اليونان وحدهم ، أما الانجليز فلم يتحدوا دورا ايجابيا في الصراع. وان ظاهروهم من بعيد ٠٠ ثم صرخ في وجوه السواب : « أنتم ايها الاتراك ٠٠ هل تقبلون أن تتجنوا صاغرين وتحشوا راكعين لهؤلاء اليونانيين الذين كانوا بالأمس عميدكم ورعايا دولتكم ٠٠ لست اصدق ذلك ٠٠ فاتحدوا ، واستعدوا ٠٠ والنصر لنا ! »

وهكذا قصي على المعارضة وتبخر رذاذها في الهواء ٠٠! ووقعت « الجمعية الوطنية الكبرى » في صف مصطفى كمال في اجساع رائع ٠٠! وأرسل الزعيم الى اسحاء البلاد كلها رسائل مشابهاة توضح الموقف للمعارضين ٠٠ وفي مشاورة لا تعرف المثل حمل قواد الجيش على جمع مزيد من الرجال والاسلحة لتوسيع نطاق الجيش النظامي ٠٠ أما الدين تصايحوا بطلب السلام ونصحوا له بالتسليم فقد سخر منهم ، لم يكونوا في نظره الا جبناء وعاديد !

وفي لقاء له مع ممثل للحكومة الفرنسية قال له متحديا : « تستطيعون أن تمالوا سوريا وبلاد العرب ، ولكنكم كموأ ايديكم عن تركيا ، نحن نطالب بحق كل شعب في الحرية داخل حدود بلادنا الطبيعية ، ولا نفي شيئا واحدا أكثر من ذلك ولا أقل ! »

وعى جرأة صارية احتعط بقمصنه عوبه على الجميع ، استسحت الاتراك على معاودة القتال في الوقت الذي كانوا فيه يجلسون مكتومي الأيدي محطى القوى في انتظار قدرهم المحتوم !

لكن خطرا حديدا لاح من الداخل ٠ كان القتال الرئيسي ضد اليونان في جهة أزمير ما زال مقصورا حتى ذلك الوقت على أعمال المعصابات غير النظامية ، بمعاونة بضع وحدات نظامية « احتياطية » ٠ وكانت تلك المعصابات قد جمعت من شتى الطوائف والجهات ، من القرويين ، والمحرمين ، والجنود العارين من الخدمة ، والوطنيين المتحمسين ٠٠ التحوا حول قوادهم بلا نظام أو ملابس عسكرية ، أو تشكيلات رسمية ، وراحوا يشنون على الأعداء سلسلة من الغارات المفاجئة على طريقة « حرب المعصابات » ، ثم ينسحبون الى مراكزهم في الجبال ٠٠! وكانت هذه الطريقة في القتال تثير أعصاب العدو الى حد ما ، ولكن بغير أن تعصى الى نتيجة حربية حاسمة !

وكان قائد هذه المعصابات - ويدعى أدهم - قد جمع قوة كبيرة من الرجال المزودين بالمندفعية الخفيفة والمدافع الرشاشة ، وأطلق عليها اسم « الجيش الأخضر » ٠٠ وجعل مقر قيادته في مدينة « كوناية » - كما أصدر حريدة حاملة بالملالات التي تنصص سلطورها بالأفكار البلشفية غير المهضومة !

وقد واجه هذا الجيش الأخضر هجمات اليونان ، وأخذ الحرب الاعلية ، وأنفذ أفقرة من التوار ووطد دعائم حكومة أفقرة ٠٠٠ فأخذ « أدهم » يضاعف من موزده ومن الدعاية لنفسه في جميع أنحاء البلاد ، ثم بدأ يتصرف مستقلا عن حكومة أفقرة ، ويجمع الصرايب ، ويطلب المؤن والحياد ، ويصدر الأوامر الى السلطات المدنية ويعاقب المسئولين عن

تفنيها اذا اهلوا امرها ٠٠! بل لقد حكم على رجال بالاعدام بتهمة الخيانة وبعد فيهم الحكم بأن صليهم فوق قمة تل خارج المدينة ٠! واصسطهد القرويين بلا رحمة ٠٠ وحين طالبتة حكومة امرة بأن يقدم حسابا عن تصرفاته هذه زعم أنه يملك حق التصرف بمل حريته !

وكانت القوات غير النظامية هي القوة الكبرى في الميدان، واذن لم يكن هناك ما يمكن عمله ، لوقف طغيان (ادم) واعتداده بنفسه ٠٠ لكن الجيش الجديد النظامي بدأ يسو سرعة بفضل حبرة عصمت وقوزي ، فبدأ النزاع يشب بين القوتين في كل مناسبة !

وارداد الموقف حرجا حين أخذ الجود يعرفون من الجيش النظامي - حيث المرتبات سنوية والظام صارم - لينصوا الى عصابات ادم الطليقة من القيود ، حيث المرتبات اكبر والحرية اوسع ٠٠ وعندما كان رؤسائهم من الصباط يطالبون بهم كان رؤساء العصابات يرفضون تسليمهم - وكلما اصرفوا الجيش على أن يطووا غير النظاميين تحت جناحهم أمن هؤلاء في اصرارهم على أن يظلوا مستقلين بأنفسهم !

وتطور النزاع سريعا حتى بلغ أوجه عندما اصطدم الفريقان ٠٠ كان « علي فؤاد » يتولى القيادة في الجبهة العربية، وكانت كل خطته مبنية على استخدام غير النظاميين، أما جوده النظاميون فكانوا بمثابة سد يشد من ازرهم . وكانت عقليته العسكرية قد تأثرت بهم فصارت عقلية قائد عصابة ٠٠! بل انه صار يرتدى ثيابهم ويحمل بدقيته على كتفه مثلهم ٠٠ وأمسى يعمل مع ادم جنباً الى جنب ، لكن ادم كان القائد الحقيقي وصاحب الشخصية الأقوى !

وفي شهر اكتوبر شن (علي فؤاد) - بناء على مشورة

اادم وضد نصيحة عصمت - هجوما كبيرا على الجيش اليوناني ، هزم شر هزيمة ٠٠ واذ ذلك قرر مصطفى كمال أن الوقت قد أزف لاجداث تغيير اساسي يرد للجيش النظامي اعتباره ويكسر كبرياء رجال العصابات ، فاستدعى اليه على فؤاد، وبنت للـ مكانه بكل من عصمت وقوزي ورفضه، وأمر ادم بالانصوع لقيادة عصمت ٠٠! لكن ادم رفض هذا الوضع ، مصرحا بأنه لا يقل عصمت رئيسا له ولا يقل قدخلا في عمله من أحد ! بل صرح لبعض رجاله متابعيا بهذه المناسبة بأنه لو ذهب يوما الى أنقرة فسوف يشنق مصطفى كمال على باب دار الجمعية الوطنية !

ودعا مصطفى كمال بعد ذلك الى أنقرة ، فجاء من هوا واستقل داخل المدينة سيارة مصطفى كمال - السيارة الوحيدة في أنقرة في ذلك الحين !

وكانت شوارع أنقرة ودهات الدار التي بها مكتب مصطفى كمال حافلة برجال الحرس ذوي الوجوه الضاربة والطرايش ذات الذبول الطويلة ، وهم يحملون البنادق مشهرة في أيديهم والرمصاص في أحزمتهم المريضة !

وحين وقف العريمان وجها لوجه كان اللون بينهما ناسما : كان ادم عملاقا صحم الجسم ، هذا مصطفى كمال الى جانبه صغيرا ضئيلا ٠٠ لكنهما كانا يتشابهان في أن لكليهما ذلك الوجه الأثير والعينين البارزتين الشاحبتين اللتين تصيران في ضوء الشمس رماديتين ، كما تشابهان في المييز الصارم، والقصبة النائرة والشجاعة التي لا تعرف الرحمة ، والصرامة التي ألغت الأمر والنهي والطاعة العمياء !

وطلب مصطفى كمال لضيغه قهوة وسجائر ٠٠ ثم حاول أن يقنعه بأن صالح تركيا هو الذي يقتضي خضوع رجال

العصابات للجيش النظامي .. لكن ادهم ابي ان يقتصر وراح يدلل بالحجج والامثلة على ان الجيش النظامي لا يمكن بحال ان يصمد لهجمات اليونان والانجليز الذين يظاهرونهم .. وفيما كان يتكلم كان ينظر الى مصطفى كمال في ارتياب، خشية ان يكون قد استدرجه الى كمين، ثم وضع يده على مسدسه الذي يحمله في حراجه ..! ولم تصب هذه الحركة عن فطنة مصطفى كمال، ما اقترح ان يستقلا القطار الى اسكي شهر، حيث يتحدثان الى عصمت، لعله يجد حلا للموقف!

وكان مصطفى كمال يعاني وقتئذ حيرة وكرها شديدين، لا بسبب امتداد يد ادهم الى مسدسه، فانه لم يهتز لذلك التهديد قيد شعرة، ولكن كانت غلة اضطرابه ان السلطان أرسل اليه وفدا برياسة عزت باشا ليعاوضه في عقد هدنة ومعالجة نيب القسطنطينية وانقرة، كما تتوحد جهود الاتراك جميعا وتتحصر في معاملة اليونان .. عدوها المشترك! وكانت الجمعية الوطنية تميل الى قبول المعايضة مع السلطان، كما يميل أعضاءها النواب الى ماصرة ادهم، ايضا منهم بان حرب العصابات هي الوسيلة الوحيدة لمناوأة العدو .. اما مصطفى كمال فقد ماتوا يعتقدون فيه أنه يرمي الى حمل بصره دكتاتورا عسكريا، وان ليس في طوق أحد غير ادهم ان يحاول دون ذلك ..! ومن ثم أدرك مصطفى كمال ان سحق غير النظاميين سوف يضاعف نفور الناس منه، فراى ان يأخذ ادهم الى « اسكي شهر » لعله يخضع لمطالبه حين يجد نفسه بعيدا عن ماضيه من الساسة والنواب!

لكن ادهم أحس في العطار بمزيد من الارتياب في نوايا غريمه، وحشى ان يجد نفسه في (اسكي شهر) تحت

« حمة الجيش النظامي »، فغادر القطار في هدوء عائدا الى « حاله »، قل ان ينطبق عليه فكا « الكباشية » ويقع في الفخ! ومنذ ذلك اليوم آمن في التحدي، فقرر ان يحتنط بقواته على اية صورة، فادا كانت حكومة انقرة في غنى عنه فعلى وسعه ان يذهب الى جهة اخرى!.. وبدأ يعاوض السلطان، ثم قواد اليونان .. وطوق الجيش التركي النظامي في « كوتاهية » ثم جرد جنوده من سلاحهم وسرحهم .. وصرف الرجال الرسميين الذي أرسلتهم اليه حكومة انقرة وابي ان يقبل منهم أمرا ما ..! واخيرا أعلن نفسه قائدا عاما لجميع قوات الوطنيين، وأرسل الى الجمعية الوطنية الكبرى رسالة قال فيها: « لقد تبعت اللاد من القتال، وينبغي لزويد الوفد الذي يرأسه عرت باشا بسلطة المعاوضه في الصلح .. واني اعبر عن رغبة الشعب والجنود! »

فكتب اليه مصطفى كمال ردا قال فيه: « لقد خاطبتك من قبل كما يخاطب الرميل زميله القديم .. اما منذ الآن فينبغي ان تخاطبك بلهجة رئيس الدولة! » .. ثم أصدر امره الى عصمت بسحق غير النظاميين .. وما لبث الجيش النظامي الذي يقوده رفعت ان احتل كوتاهية وطرده منها ادهم .. ورحب القرويون بخلاصهم من الكاوس الذي عانوا وطائنه ايان سيطرة رجال العصابات فانضموا الى الجيش النظامي وساهموا في سحق أعدائه

واقسم ادهم لينتقم من مصطفى كمال، ثم انضم الى اليونانيين مع نفر من رجاله .. واذ رأى اليونانيون كيف بدأ الاتراك يتشاجرون وينشقون على أنفسهم، سارعوا الى الهجوم على جهتهم قبل ان يكتمل استعدادهم، فاستولوا على « أفين » وعلى جزء من السكة الحديدية المواجهة لهم .. لكن عصمت شن هجوما مضادا بجيشه

النظامي فطردهم من تلك المناطق واضطروهم الى الانسحاب في غير بطم الى خطوطهم القديمة ، وقد أخذتهم الدهشة من المقاومة الجديده الحامية !. ثم قبعوا في مراكزهم طيلة اشهر الربيع والصيف من عام ١٩٢١ حيث أخذوا يعدون المد لهجوم كبير ..!

وقد كانت نتيجة هذه المعركة التي شنها عصمت اوز انتصار عسكري للكلماليين ، فبدأت آمالهم تتعش وتقوى ثم توالت الالباء الطيبة : فقد غزا « كاطم فره بكير » ارميه فاحتل « قارص » وانضم لقواته الى صفوف البلاشيه .. وكانت روسيا ترسل اليه المال والسلاح ، لانها ترى و انجلترا - مثلما ترى تركيا - عدونها اللدودة !. اما اليونان فقد مزقتها الخلافات السياسية العنيفة التي امتدت الى صفوف الجيش ، وابتعد منزيلوس وانصاره من اثينا ! ورغبت كل من انجلترا وفرنسا واطاليا في انهاء الحروب اليونانية التركية ، وعرضت كل منها ان تتوسط في مص النزاع بين البلدين ، لكن اليونانيين رفضوا توسطها ، مما كان منها الا ان اغلنت ووقوها من المبرمين موقف الحيد !. بينما ارسلت فرنسا مندوبين سربيين الى انقره مرودين بوعود العون والمساعدة .. وباعت ايطاليا لليونانيين اسلحه وذخائر !

ومن افغانستان و ايران جاءت الوفود تقترح عقد معاهدات الصداقة والتحالف .. ونشطت في الهند ومصر حركة المطالبة بمساعدة تركيا !

وكان الاتراك انفسهم قد اتحدوا ، وانتهت الحرب الاهلية بينهم .. وتدد كل من جيش الخليفة والجيش الاخضر .. وفيما عدا بضعة كحول من المنمن حول السلطان في العاصمة الناب الاتراك جميعا حول مصطفى كمال في انقره بغية محاربة اليونانيين المرأة !

وتبين مصطفى كمال بوضوح انه لا مجال لاصاعة الوقت ، بالعدو يدبر هجوما كبيرا وعليه ان يولف قوة كافية للاقائه ! من ثم عمل نشاط حارق ، وبقدرة العجيبة على التركيز لنام ، وتجاهل التوصلات التي لا جدوى منها ، وحكمه على الحقائق الأساسية حكما صائبا متربا !

وكان يواصل العمل ليل نهار بلا راحة او نوم ، وكان الاعياء ينال كل من معه يسما يبقى هو يحتفظ بنشاطه وحيوته !.. وحين يسرع من قراءة التقارير أو ارسال البرقيات واصدار الأوامر ، كان يشاؤك فوري في تنظيم الجيش الجديد ، معتمدين في ذلك على دعائم ضعيفة من الدرجة الثانية ، سواء من الجنود غير الرابطين في القتال ، أو اسرى الحرب العائدين من الميدان ، أو الأسلحة والدخائر القديمة . اما تقل المهمات فكان يعتمد فيه على العربات الرقية والحمالين ، والساء القرويات !.. ومن هذه كلها كان يراد خلق قوة محاربة من الدرجة الاولى !.. وهكذا ، في وجه هذه المصائب الحمة لم يكن مصطفى كمال ليجد دقيقة واحدة يستريح فيها !

وكان عليه فوق ذلك ان يقابل رجال السياسة ويتبادل آياهم الرأي .. وكان النواب الجدد شديدي الفرة على حقوقهم ، وكانوا - من الوجهة النظرية - هم حكام البلاد لمتصرفين في امورها ، فلم يكن مصطفى كمال يجذب بدا من حضور اجتماعاتهم ومناقشتهم ليقمعهم بالوافقة على مطالبه !.. وكان في المناقشات العامة يحتفظ بصبره وسيطرته على نفسه ، اما في جلساته الخاصة مع خلصائه فكان يشور احيانا لانه معارضة أو انتقاد !

وفي ذات ليلة عاد متاخرا الى المرعة التومذجية عقب اجتماع للجمعية الوطنية ابدى النواب فيه شدة مراس وتعتنا ، فلم يكذب يدخل الى البهو الذي اجتمع فيه اعوانه

حول المدفأة حتى أصبح اسمه رجال السياسة ويحمل على الديمقراطية ، التي سماها « حكم الرؤوس المعددة المشوشة ، أو حكم الحمقى ! » ثم حلص من حملته الى القول بأن النظام الوحيد الساجع في نظم الحكم هو حكم الرجل الواحد المطلق اليد . . ثم صاح وهو يستدير ليسأل الكاتبة خالدة أدب - وكان يعلم تأييدها النظرى للديمقراطية ومعارضتها لجميع الطعنة : « ما رأيك انت ؟ » . . فاجابته : « لست أفهم ماذا تريد أن تقول بالضبط يا باشا ! »

فانفجر فيها صائحا وقد صارت عيناه في لون الرماد مر شدة الغضب ، وروى ما بين حاجبيه واختلج فكه مهددا « اليك ما أريد أن أقوله . . سوف أجعل كل انسان يتنمى وغياي ويطيع أوامرى . . ولن أقبل نقدا أو نصيحة ساسر في طريق الخاص وسوف تفلدون أنتم جميعا ما أريد دون مافشة ! »



كان العمل يستغرق وقت مصطفى كمال كله ، بحيث لا يقوى شيء على أن يشغله أو يحول انتباهه عنه . . فإذا لم يجد ما يعمل يتدخل في أعمال مرؤوسيه ، أو يخرج ومعه هارف وشخص أو شخصان آخران الى حيث ينمى في الشراب والمقامرة الحامية ليأبى متناهما بأكملها . . أو يخفى في مواخير النسوة الرخيصات حتى يلهن !

وكان في هذه الباحية من حياته على التقىض تماما من عصمت وفورى ، فقد كان هذا الزوجين وأبوهم مخلصين لآسرتيهما ، شديدى الترمت والتحمط في المسائل الخلقية ، ولا سيما فورى ، الذى كان يحرص على أن تتحجب زوجته ويلزم بساء أسرته عقر الدار مثل حرصه هو على تحريم

شهر والتزام العفاف في مسلكه الشخصى . ومن ثم كان هو وعصمت يسكنان المحور والغلاية اللذين كان ينمى ليهما مصطفى كمال ، ويسمران من رفاقه في هذه المفامرات ! وفي تلك الفترة من حياته برزت موهبة مصطفى كمال في الكلام والإقناع . . كان إذا أراد أن يعجم معارضيه يتدفع صيل الكلمات من فمه بلا انقطاع حتى يسحق حججهم ويتركهم لاهى الأناس ! . . وكان ماؤفا منه أن يبدأ كلامه في موضوع ما في الساعة التاسعة مساء ، عقب أعراغ من تناول العشاء ، فإذا حلت الساعة الخامسة في فجر اليوم التالى كان الكلام المدعم سبيل من الحجح والأسانيد ما يزال يتدفق من فمه ، بينما تكون قوى معارضيه قد خارت وقبلوا رأيهم صاغرين . . !

وأحيانا كان يشترك في احاديث مرحة على سبيل الدعابة وهو يضحك بين الحين والآخر ضحكة ناعمة تظهر فما تنحلله الأسنان الذهبية . وفي هذه الحالات كان يتكلم مادة وعلى وجهه نصف أنسامة ساهرة ، فيتناول أصدقائه وأعداءه على السواء بالنقد والتشريح ويطلع عنهم كل زيف ورياء أو مظهر كاذب حتى يخلعهم غرايا المهرس مكتشوفى العيوب والنقائص ! . . ولم يكن يسلم من لسانه في هذا المجال حتى أخلص أصدقائه ومعاونيه اللذين وتعاوا بجانبه في محن الإيام الاولى من الثورة !

وكان يسخر من جميع المادى والمثل العليا الخلقية ، ويمزقها شر ممرق ، فقد كانت في نظره ليست أكثر من غطاء يخفى رياء الناس وحماقة الحمقى ! . . وكانت سخريته ذكية قاطعة ، لا يحفف من حديثها « زيت » المراح اللطيف للأمر ، بل تظهره بمظهر الرجل المحرد من المشاعر الرقيقة الذى لا يخلخس لأنسان ، أو لمثل أعلى ، أو لنظام مرسوم . . بل يظهره بمظهر المخلوق الذى فيه من الحيوان أكثر من الانسان

... أو اللذنب الكاسر المحدث من الماطفة أو الخلق أو المادي
السامية أو السلوك القويم .. أو أي شيء غير شهوانه
الحيوانية !

القائد الأعلى

بقي مصطفى كمال أول الأمر يعيش في المروعة النموزجية
مع نقيّة معاوييه وهيئة أركان حربه .. ثم ما لبث أن انسحب
لنفسه غرفة في منزل باظر المحطة كي يكون قريبا من مكتب
التلغراف .. وكان يستخدم البرقيات كما يستخدم الناس
الخطابات والأحاديث ، فكان من المألوف لديه مثلا أن يرسل
برقية من ثلاثمائة كلمة الى رئيس الوزارة في القسطنطينية
احتجاجا على شيء .. أو الى قائد الجيش في سيواس أمرا
بشيء .. وحين يتلقى الرد على غير هواه يعود الى إرسال
برقية أخرى من ثلاثمائة كلمة أيضا .. وهكذا !

وكان يقوم على حراسته في ذلك البيت نفر من الجلبين
المنحدرين من الشاطيء الجنوبي للبحر الأسود ، شديدو
الضراوة ، سود العيون ، طويلو الشوارب ، في مرونة القطط ،
يقودهم شخص قوي البأس يدعى « عثمان اعا » .. وكان
مصطفى يعيش معيشة حرة مجردة من القيود والمظاهر
الرسمية ، فكان اذا فرغ من عمله في الداخل خرج ليتمشى
وبداه في جيبوه ، غير مستنكف ان يتحدث الى أي أناس
يلقاه ، سواء أكان من العسكريين أو المدنيين .. وحين
يلذهب الى الجمعية الوطنية لم يكن يجلس في مقعد الرئيس
إلا نادرا ، مفضلا عليه مقعدا عاديا بين مقاعد النواب !

وكان كثير التدمير والشكوى من الذين حوله ، وأحيانا دون
وجه حق ! .. وكان يندر أن يظهر امتنانه لرؤوسيه ، وإذا
فعل فعلى ضغن وسخط .. أي أنه كان رجلا يحسن تجنيه ،
أد تغلب كآبه على مرجه ، وإذا ساءه أمر صار عنيفا مضا

لا يرحم .. وكان مطهره دائم التعير والتبديل ، فهو يوما يادي
الحياة والشباب ، وفي اليوم التالي متمب مغضن القسّمات
يبدو أكبر من سنه بعشر سنوات !

ووجد - مع مرور الأيام - أن طقس انقصة لا يناسبه ،
لشدّة حرارته وكثرة قبّاره في الصيف ، وشدّة رطوبته
وأحواله في الشتاء .. فاتخذ لنفسه منزلا حجريّا في قرية
« شان كايا » التي تبعد نحو أربعة أميال خارج حدود
المدينة .. وبني خلفه بضعة أكواح لغنما راعا وبقية حراسه ..
وهناك عاش معيشة الجندي الأعرب الذي لا يملك غير اثاث
ضئيل ولا يأكل في مواعيد منتظمة .. ورغم تحذير الطبيب
المتكرر له بوجوب الامتنان من العمل والشراب معا ، والأخلاد
الى حياة نظامية يسهر فيها شخص على راحته ، فإنه لم
يبدأ بهذه التحذيرات ، بل استمر يعيش بقوة أعصابه ..
ولكن بنيته القوية التي ورثها عن أبويه القرويين لم تستطع
تحمل الانهاك المستمر الى غير نهاية .. فصارت الآلام الكلبي
القديمة تعاوده كثيرا ، كما أصيب بحمى الملاريا التي جاءت
عداؤها من الأحراش الواقعة خارج انقصة !

ولم يتقده من انهيار صحته غير فتاة تمت اليه بصلة
القريبى الصبيدة تدعى « فكريّة » ، جاءته من استانبول
منطوعة للعمل ممرضة بالجيش ، فلم يكذب بصر مصطفى كمال
يقع عليها حتى أخذها الى بيته .. وكانت فكريّة رفيقة فريّة
لهذا الرجل الصلب ذي المطهر الوحشي والمجون الصاري ،
فقد كانت فتاة رقيقة هادئة مرهقة الحسى ذات بنية هشّة
ووجه بيضاوي شاحب وعيّن عميقتين بنيّتي اللون
وأهداب طويلة وطفاء .. !

لكنها جلبت له الراحة ، خلقت من مشاوه وحديقته جنة
فيحاء .. وكان في نهاية الحديقة منزل صيفي عتيق مما ألب
باشوات العصور الخوالي أن يجلسوا في شرفاته المظلة على

الوسفور في ليالى الصيف . وكانت له نوافذ من جميع الجهات تشرف على السهول الصعراء العظيمة الممتدة أمامه الى ما لا نهاية . . . فشيئت فكرية في الحجرة الوسطى منه ، نافورة من الرحام الابيض تخرج الماء من قلبها في أيام الصيف الحارة حين تملئ السهول بالمبار !

واختار مصطفى كمال غرفة مكتبة يستطيع ان يطل منها على السهل ويرى انقرة من بعيد مشيدة فوق سحج الل العارى وفوقها القلعة القديمة . . . وفكرت فكرية العرفه بالسجاد الصمى والتركي ، وعلقت على الجدران السيوف البديع الذى اهداه اليه السيد السنوسى ، كما رتبته كنه العديدة . . . وكان مصطفى كمال من فرط ثقته بابه سوب يحكم تركيا يوما يحرص على قراءة كتب تاريخ الاسلام ودراسة المشكلات الاجتماعية . . . وفوق منصده نبت فكرية قطعة من القماش الاخضر مزركشة بالرموز السحرية العاصمة التى كان مصطفى - وهو المتطير المؤمن بالخرافات - يعتقد صدق اثرها ، برغم كبرانه بجميع شؤون ديناه الاخرى . . !

وعدا هذا كله سهرت فكرية على سد حاجات مصطفى جميعها ، وتريضه اذا مرض . . وصارت له بمثابة جارية حاضمه . . اعطته كل شيء ولم تسأل في مقابلته شيئا غير ان يسمح لها بان تكون جاريته . . . وقد لبث مصطفى كمال زما مستغرقا بكل جوانحه في هواها ، لكنه عاد ففسمها وملها . . واراد الى نساء الهوى الرخيصات واخوان الصما والحمر والميسر ، حتى اكلت الغيرة الصارية قلب فكرية ، وكلما فتر شعوره نحوها ازداد حبها هى له حرارة وعنفًا !



وفي هذا الوقت الذى عمل فيه مصطفى كمال وغوزى ،

لقرة كان عصمت في ميدان القتال يجهد كل عصب فيه كي تقدم مواقفه في « آقيون » و « اسكى شهر » تاهبا للملافة اليونانيين ، الذين كانوا يحشدون جيوشهم ويحلون الامداد من المدافع والطائرات ، ويضربون حط دفاعه بالصاراات الاستكشافية والهجومية بلا انقطاع . وكان واضحا انهم يقوون الاثر اك عدة وعتادا وعددا !

وفي الاسبوع الاول من يولييه ، وقبل ان يكتمل استعداد الاثراك ، قام اليونانيون بهجومهم المرتقب ، فاكسحوا كل ما امامهم واحتلوا كوتاهيا واهيون ، ثم ركزوا قواتهم في مهاجمة « اسكى شهر » ملقحي الخطوط الحديدية ومفتاح قرب الاناضول كله !

وجلس عصمت في مقر قيادته المتواضع خلف اسكى شهر ، يحطم الاعصاب والقوى بعد ايام متتالية من الجهود الشاق والهرايم المرة . . . وبلغ من اعيائه انه كان ينام في مقعده وهو يقرأ تقريرا او يدرس خريطة . . .

وكانت الطواوير اليونانية ترحف نحو (اسكى شهر) من ثلاثة اتجاهات ، بنية تطويقها وتطويق الجيش التركي الرئيسى معها . . وفشلت جميع الهجمات المضادة التى شنها عصمت على العدو الزاحف ، واسى الموقف يحتاج الى قرار حازم لمواجهة الخطر المحدق : هل يثبت عصمت في مواقفه برغم يأسه من النتيجة ، ام يخلي البلدة ويتقهقر بانتظام تاركا للعدو مجارته اللينة بالخناير التى جمعت بشق النفس ، بل تاركا الاهالى المدنيين تحت رحمة اليونانيين القساة الفلاط الاكاد يسوموهم سوء العذاب !

وفي غمرة حيرته المبررة ابرق الى مصطفى كمال طالبا اليه ان يحف من فوره لتجديته واتخاذ قرار حاسم في الوقت !

ولم يضيع مصطفى كمال وقتا ، فواماه على عجل . . .

لم يحاول أن يروغ من المسؤولية أو يتهرب من مواجهة الموقف ، بل حمل العبء على كتفيه دون تردد ... وال الحال امتلا الجو بروح جديدة من الشجاعة والنعائل ، الذين كان مصطفى - علي العكس من عصمت - قديرا على بنهما بسحر ساحر في نفوس الجنود حتى في احرح الاوقات!

وبعد ان اصفى مصطفى الى التقارير ، ودرس الخرائط فكر في الامر مليا : انه حين امر بالتقهقر في معركة دمشق كان يخلى ارضا غير تركية يقطنها عرب وسوريون ، أما اليوم فهو سيحلى ارضا تركية صميمة ، ويخلف مواطيه رحالا ونساء تحت رحمة العدو يحرق ويقتصب ويدمر وينتهك الحرمات ... لكنه من جهة أخرى لو بقى في مراكزه فمضى ذلك هتاء الجيش التركي الرئيسي كله !

ولم تحجب الاعتبارات العاطفية والوطنية من ذهن مصطفى كمال حقيقة الموقف من الناحية العسكرية ، فاصدر امره الحازم : « اخلوا اسكي شهر .. اسحبوا فوراً مسافة ثلاثمائة كيلومتر الى نهر « سقاريا » واعدوا هناك خطا دفاعيا جديدا لحماية امقرة .. فذلك سوف يطيل خطوط مواصلات العدو ويخلق له مشكلات جمة ، في الوقت الذي يعطينا فيه فرصة إعادة تنظيم صفوفنا ! »

ثم عاد مسرعا الى انقرة ليواجه الازمة الجديدة ، فوجد اهالي المدينة يحزمون امعتهم ليعروا شرقا نحو الجبال .. ومرة أخرى عاد النشوان يتصايحون مطالبين بدم « المسئولين » ... فواجههم مصطفى كمال بشجاعته المهوردة ، وفي هذه المرة طلب اليهم ان يعيروه قائدا عاما ويروده بكل سلطات الحاكم المطلق .. لكن « الجمعية الوطنية » ابدت ترددا ، فقد كان الثواب يخشون خطره ! .. وابتى هو ان يساوم : فادا اريد منه ان يتقد تركيا فيلمنح السيطرة

الكاملة ! .. وبعد ان اشترطت « الجمعية الوطنية » بضعة شروط تحمي سيادتها العليا ... واقمت على طلبه ، فصار هو القائد الأعلى للجيش التركية كلها . وتجمعت السلطة كلها في يده !

وعلى اثر ذلك وجه نشاطه لغارق المعهود الى اتخاذ التدابير لانشاء خط دفاعي جديد يواجه العدو الزاحف . وفي أثناء ذلك سقط من جواده فاصيب في احد اضلاعه اصابة الزمته الفراش يومين .. ثم عاودته الام كليته .. بالاصابة الى حرارة بوليه المحرقة التي تصهر الجماذ .. لكن هذا كله لم يحد من عزمه ، فهرع بنفسه الى الجبهة ليشراف على سير الامور فيها بنفسه !

وفي فجر يوم ٢٤ أغسطس - سنة ١٩٢١ - هاجم اليونانيون الجبهة التركية بعد ان مهدوا لهجومهم بوابل من قنابل المدفعية الثقيلة ، فالتحم الفريقان في معركة حامية قاتلا فيها كلاهما بالسلح الابيض في حاسة تذكيا الكراهية الموروثة المتأصلة في دماء كليهما نحو الآخر .. !

واستمر القتال على هذا النحو اربعة عشر يوما متوالية ، تحت اشعة شمس أغسطس المحرقة ! .. اليونانيون يهجمون في غضب أحمرق ، والأتراك يدافعون ببسالة رائعة .. وفي قرية تقع حلف الخطوط التركية راح مصطفى كمال يدرع مقر قيادته في قلق ولهفة ، وصلحه المصابة ما زالت تؤلمه . ولم يكن ينام الا لاما ، وشبابه الكاملة ، كما كان يكتفى من الطعام بلقيعات في فترات فراغه غير المنتظمة .. فوقته كله مورع بين الاصغاء الى السبل المتواصل من التقارير الحربية ، وتامل الخريطة المستة بدبايس فوق منضدته ، واتخاذ القرارات العاجلة ، ودراسة الموقف من شتى وجوهه ... وفي الليل كان يظل ساهرا على ضوء مصباح صغير يعاضل

بين شتى الاحتمالات ، محدثا نفسه بصوت مسموع ، او محدثا الى صفيه « عارف » الذي كان خيرا بكل شبر من الارض والجبال في تلك المنطقة !

وكان الموقف شديد الحرج ، ولو هزم الاتراك في هذه المعركة لاضطروا الى الانسحاب مسافة كبيرة الى الشرق ، ولسقطت انقرة في ايدي الاعداء وكانت في ذلك نهاية تركيا . وادن فهذه هي الفرصة الأخيرة ، فليصمدوا فيها الى النهاية ! .

وكان اليونانيون يتحسسون الجبهة بحثا عن جناح ضعيف يلتفون حوله ، فسأل مصطفى كمال نفسه . « أبهاجمهم من أوجرة أم بنسحب ؟ » . انه لا يملك غير عدد قليل من الجنود ، لا يستطيع التعريط فيهم او المخاطرة بهم في غير ضرورة قصوى ! . . هذا الى ان الاشراف على المعركة كان في ايدي قواد الطواير المخلعة اكثر مما هو في يده ، وكانت هذه الطواير موزعة مبشرة بين التسلال والوديان والزوايا والكهوف . لكنه مع ذلك كله بدّل قصارى جهده لكي يسيطر على المعركة ، مشرا بشخصيته الجسارة حماه الجنود ومنعشا آمالهم كلما ترعرت . . وكمن مرة كانت فيها الهزيمة تبدو محققة ، لولا تدخله في اللحظة الحاسمة والوضع الحاسم لانقاذ الموقف !

كان قد درس كل شبر من الارض ، وعرف قيمة كل فريق من قواته ، ومؤهلات كل قائد صغير من القواد ، فأدار المعركة من عرقته في مقر القيادة العليا ببراعة وبقطة رائعتين !

وبعد أربعة عشر يوما من القتال المتواصل كانت النتيجة ما زالت في كفة القدر . . لكن مصطفى ادرك ان اللحظة الحاسمة وشيكة الحلول ، وان أحد الفريقين لا بد ان ينهار

هما قريب ، فقد بلغ الاعياء بكليهما مبلغا لا يحتمل المزيد وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليلة الخامسة عشرة دق جرس التليغون في عرقته ، وكان المتكلم فوزى باشا يقول له : « ان العدو بلغ نهاية جهده ، وهو يتأهب لانسحاب هام ! »

وعندئذ وضع مصطفى كمال السماعة وجلس برهة يوزع الاعلام الصغيرة فوق خريطة جبهة القتال ، في ظل مصباح صغير أظهر مدى ما أصابه من اعياء بلك الدوائر السوداء التي ارتسمت تحت عينيه . . ثم أصدر أوامره التالية : « الهجوم اليوناني يتراجع وسوف يتضاقل . فلنبدا نحن الخطوة الخامسة . . القوا بجميع قواتنا الاحتياطية هنا في الشمال ، وهددوا خط انسحاب الاعداء من هذا الاتجاه ! »

ثم استدأ صائحا في طلب قذح من القهوة . . وهو يسب ويلعن - كمادته في الحطات انفعاله - كل من حوله ، حتى الجاويش الذي احضر له القهوة . . لكن رنين صوته كان قد تغير . . !

واستمر اليونانيون بدافعون في بسالة وعنف اسبوعا كاملا ، لكن قواهم الدافعة كانت قد اصمحت . . ومضى مصطفى كمال بشخصه الى خط النار ، يقتل بين جتوده ويشعل حماسهم . . في الحصادق ، وفي العراء . . معرضا حياته للخطر بلا أدنى تحوط . . ومع ذلك ، وبرغم أن من حوله كانوا يتساقطون فتلى كالعراش ، فانه لم يصب بأى سوء !

وفي اليوم الثاني والعشرين عبر اليونانيون نهر « سقاريا » هائدين من حيث اتوا ، حارمين ومدمرين كل ما وراءهم طبقا لخطة مرسومة ، فتركوا البلاد حلقهم على مدى مائتي ميل محراء حرداء . . واندفع مصطفى كمال يلاحقهم بالقوة

الضئيلة التي بقيت قوية على القتال ، حتى الزمهم عقر خنادقهم التي بدأوا منها هجومهم على « أسكى شهر » في شهر يولييه .. واد ذلك رابط في خط مواجه لهم وأمر جنوده بحفر خنادق مماثلة لأنفسهم .. ثم عاد هو أنقرة !

معجزة تحرير الاناضول

حتت الجماهير في أنقرة فرحا بروال الخطر عن مدينتهم ، بعد أن حزموا أمتعتهم وجلسوا يصمتون الى دوى المدافع في انتظار ساحة الرحيل !

واحتلموا يزعمهم الطائر مصطفى كمال ، وخلصوا عليه لقب « الفاري » .. واشتركت الدول الأجنبية في التصفيق له ، فجاءت رقيات التهئة تترى عليه من : روسيا ، وأفغانستان ، والهند وأميركا وحتى من فرنسا وإيطاليا .

لكن مصطفى كمال لم يركب رأسه أو يستسلم للفرور . كان يحب التصفيق والاحتفال أمام الجماهير . يجب أن يكون موضع إعجاب الناس ، وأن يمجّدوا بطولته .. ولقد اعترم

أن يسلم ويصبح السيد الأمر ، لكن اتزانه لم يفارقه مع ذلك ، وبقي له صواب حكمه وبعد نظره وثبات أعصابه ! .. كان يصرف أن وقف هجوم الأعداء وكسب الأتراك أول انتصار لهم لا يمكن أن يعد نصرا حاسما . كل ما في الأمر أن الأتراك قد نحا من الهلاك المحقق وصار ظهروهم الى الحائط .. لكن البقية الباقية منهم لم تعد صالحة لمواصلة الهجوم .

ويتحين عليه الآن أن يعطل الأعداء عن الهجوم حتى يمد تنظيم الجيش كله من أساسه ويوفر له الإمداد ووسائل التموين والأسلحة اللازمة ويستبدل بالكيميحيين المصابين مجيدين جندا .. وهذا كله من شأنه أن يستغرق أسابيع وربما شهورا ، يكون النصر بعدها رهبا ببقاء القوة المعوية

للأهالي المدنيين ، كما هو رهن بالتنظيم العسكري والحركة العاصلة ! ..

.. وعكف على العمل من فوره ليل نهار ، بمعاونة عصمت وفوزي ، في نشاط حارق وبراعة فائقة .. وفي سبيل بلوغ هدفه وصل الى اتفاق مع فرنسا ، وعقد معاهدة سرية مع ممثل الوفد الفرنسي « فرانكلين بويون » أطلق بمقتضاها عقال ثمانية ألف جدي من الجهة السورية ، وحصل على عتاد ودجيرة لأربعين ألفا آخرين ! .. ثم لم يكتف بذلك فانتاع أسلحة من إيطاليا وأميركا بأموال اقترضها من روسيا ، رجند طيقات جديدة من الشعب

وتوالى الأشهر والاستعدادات الشاقة قائمة على قدم وساق ، فوقع رد العمل المتطر بعد العرعة الأولى بالنصر ضح الناس بالشكوى والمثل من الحرب ، وعاد القرويون يطالبون بأن يتركوا في سلام ، قائلين : « لقد اختفى الأعداء بعيدا عن الأنظار .. فلم العلق .. ؟ لقد آن أن تنتهي الحرب ! » .. واشتد حركه المعارضة ، ففي ساعة الخطر منح السياسة في الجمعية الوطنية مصطفى كمال سلطة الدكتاتور ، أما الآن - في ساعة النصر - فقد أرادوا استرداد سلطتهم ! .. وكثرت المؤامرات من كل جانب . بدأ الصفاط يؤفون جماعات سرية ويشنعلون بالسياسة .. وحامب الإساء بأن أنور مصب نفسه أميرا على « بحاري » ويطمع في العودة لتركيا .. وكان جمال في أفعاسان يعمل مهندسا لأميرها . فاستبد به الحين الى وطنه وكب الى مصطفى كمال يعرض عليه تحالفا وحدية ! .. ونشطت « جميعه الاتحاد والرقى » القديمة ونظمت شعبها التي صارت تجتمع في أوكارها الخفية .. أما الجيش فقد امتدح في صعوده العلوي وارتفعت الأصوات مطالبة بشن هجوم على الأعداء في الشتاء !

واقضى شتاء سنة ١٩٢١ ، ثم تبعه الربيع والصيف من
حجّة ١٩٢٢ . . . ومصطفى كمال ماضى فى استعداداته للمعركة
الحاسمة !



وفى أواخر أغسطس ، والشمس المحرقة تلهب سهول
الأناضول والصار يملأ الهواء ، قرر مصطفى كمال أن يصرب
هزبته . . . واحتار لها اليوم السادس والعشرين . وكان
قبل ذلك بحوالى أسبوع قد قطع كل المواصلات بين تركيا
والعالم الخارجى ، وانتشرت شائعة تقول ان ثورة قد
انفجرت فى البلاد . . . وفى اليوم الرابع والعشرين وجه
مصطفى كمال الدعوة الى حفلة راقصة ساهرة تقام ليلة
السادس والعشرين ، فلما انتهت تلك الليلة انتقل مع
أهوانه الى مقر القيادة خلف الخط الأمامى ، ولم تعلم بذلك
حتى أمه . . . وكانت قوات العاصمة ، التركية قد حشدت
صرا فى مواجهة « افيون » ، بينما أعدت بضخ وحدات
متحركة عند اسكى شهر كى تحول انتباه الأعداء عن الهدف
الحقيقى نحو الشمال !

ولم يكن قادة اليونانيين يرتادون فى شيء مما يدبر .
كانوا يتشاجرون فيما بينهم ، بينما المصاومات تدور فى
لندن فتصنع حكومتهم أملا فى الحصول - بمساعدة الانجليز
- على سلام مشرف دون قتال . . . وكان قائدهم العام الجنرال
« هاجياستس » رجلا مختل العقل ، أشبه بمجنون ، يقضى
أوقاته متحولا بين مقاهى أرمر بعيدا عن الاتصال بقواته . . .
وكان قد أعطى القيادة نتيجة لدسائس السياسة الدين كانوا
يحاربون بعضهم بعضا فى أثينا سعيًا الى السلطة - وكان
الفساد قد عم الصباط والموظفين الرسميين ، وترك الجنود

وصبح العقلاء لمصطفى كمال يقول الصلح فورًا بأحسن
شروط يستطيع أن يحصل عليها ، وذلك قبل قوات
العرصة . . . لكنه أبى الاضغاع للتصبيحة ، وأصر على
وحوب قهر الأعداء فى ساحة القتال . وراح يبت الحماسه
فى الجماهير ويوقظ الناس من حمولهم و « عيوبتهم » . .
وقمع بوادر اشتعال الصباط نالسياسة والحزبية ، فشق
خمسة وعشرين منهم بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم . .
وشدد قبضته على الجيش الذى عرف سيده وأطاعه . . .
وكان فتحى ورؤوف وغيرهما من السواب الدين اعتقلهم
الانجليز فى مالطة قد أطلق سراحهم فعادوا الى أنقرة . .
وهناك أيدوا مصطفى كمال فى البداية ، لكنهم عادوا
فانقلبوا معارضين له حين لمسوا نزغته الدكتاتورية ، وكان
رؤوف يتزعمهم فى هذه المعارضة . . فتصدي مصطفى
كمال لمحاربتهم بقسوة وبغير أية مجاملة ، لكى يبقى وحده
السيد المطاع فى البلاد !

واستمر مصطفى يفرط فى الشراب ، فصحه الشراب
نشاطا مضاعفا ، لكنه صاعف أيضا من سرعة انفعاله
وعظييه ، وسخريته بالناس ، وصيق صدره نأى انتقاد ،
وعروفه عن الثقة بأحد أو التعاون مع انسان . . فكرر
شجاره مع السياسة لاثقة الأسياط !

على أمه استمر يسعى نحو هدف واحد محدد . أن يتأهب
لهجوم حرمى كبير يدمر فيه قوة العدو ثم يمل عليه بعد
ذلك شروط الصلح . . . وفى أثناء ذلك ترك السياسة
يحاولون الوصول الى الهدف المشترك بالطرق السلمية .
من غير أن يؤمن بحدوى أساليبهم ، فلما عاد فتحى من
باريس ولندن ساجبا أدبال القتل فى مهمته ، ابتسم
مصطفى كمال شامتا !

اليونانيون في الحسادق بلا طعام ولا نعود ولا ثياب ولا دخيرة ! فتبددت من القوات اليونانية روح الحماسة للحرب ، كما تبددت من الشعب التركي من قبل • وأجيرا أدرك مصطفي كمال أنه قد أعد كل نصليات الخطه ، ولم يعد يشمل باله الا خشية مسوء الحظ ، وذلك لعرض نظيره وتساؤله ، فلم يجد بدا من أن يستصحب معه • حادثة أديب • التي جلبت له رفقتها النصر من قبل • وكانت متعينة في • قومية • فأمرق لها كي تحضر على عجل ، برغم ميلها السلمية ومناقشتها حول شرور الحرب • فلما وصلت الى مقر قيادته ، أيقن من الانتصار !

وحين اقتربت ساعة الهجوم أصدر الى قواته الأمر التالي • أيها الجنود • الى الامام ! • ان هدفكم هو البحر الابيض • وفي الساعة الرابعة من فجر يوم ٢٦ أغسطس شن الاثراك هجوما على • دولو بونار • ، مضاح أفيون والمواقع اليونانية ، فلم يهبط المساء حتى كانوا قد احرقوا خطوط العدو وشطروا جيشه شطرين وأتلوا مواصلاه المباشرة مع مؤخرته !

وانهار الجيش اليوناني • وعمد عساظه الى الفرار حرصا على النجاة بأنفسهم • وتسابق جنوده باقصى سرعتهم نحو أزمير وشاطئ البحر ، مدعويين بنقص الطعام والذخيرة والحين الى الوط • • من القتال • • فرالت فرق باك • •

مشرت أخرى الى مجموعة متفرقة • وصاروا لفرسان الاثراك أعداءهم المتسحين • رن انسحابهم الى قوصي مروعه وكابوس من الفرع الرهيب • • ومصب جوعهم تنهب السهول الصحريه بها ، تاركة وراءها حنادقها وحطوطها المحصنة ومحارر دحيرتها وثيابها وغياها • • وانتشرت في كل مكان جثث القتلى

شاحصة بأبصارها الى السماء ، نهيا للهوام والحشرات والكلاب الجائنة • • وفوق ذلك كله سحب العبار الاحمر تحت الشمس المحرقة ! •

وأحرق المهزومون في طريقهم ما صادفهم من القرى • وقتلوا النساء والأطفال بذامع الشهوة الملحة في الانعام والكرامية المتأصلة المدمرة • • وعجز مشاة الأتراك عن اللحاق بأعدائهم • فقد كان عليهم أن يتقدموا حذرين • خشية المعاحات العادرة • • أما الفرسان فقد لحقوا بهم واندفعوا يقتلوهم بغير رحمة عججين عن أخذهم أسرى حرب كما تقضي قوانين الحروب !

وفي حلال عشرة أيام كان اليونانيون قد قطعوا المائة وتسعين ميلا التي يفصلهم عن البحر ، واستقلوا سبعمهم عائدتين أذراحم من حيث أتوا • • بينما وقف الأتراك المنتصرون على الشاطئ يشيخونهم بنظرات الشفقة والتحدى المشوبة بالعيظ لافلاتهم من قبضتهم وانتقامهم • • وتحررت هضاب الاناضول من العدو • وكانت معجزة !

ثليلة هائم

كان مصطفي كمال قد تبع جنوده في ملاحقتهم للمدوحتي وصل الى المنطقة التي تنتهي عندها التلال والهضاب وتبدأ السهول المضيئة الحصنة المؤدية الى أزمير والسهل الغني المحاذي للشاطئ • • وهناك توقف يتأمل ويعكر !

قل بجي اليونانيين كانت تلك الارض حجة عامرة بالحصرة والاشجار والعموات الصاحكة ، والسيب والتين والقرى السميدة • • أما الآن فقد صارت مرتعا للرعب والاهوال ، وحطام القرى التي دكت ، وجثث الأطفال والنساء اللواتي اغتصبن عوة ثم القين بين الكروم طعاما للذئاب ! •

الميناء ، بمدافعها الصلحة عاجزة عن التدخل ، حشدتها لنظره
مستغربة وشماتة ، ثم واصل سيره نحو الدار التي اخبرته
مقرها لقيادته ، وقد بين في جبروت تلك الموجح جبروته ،
وفي قوتها مدى قوته !



وفي مقر القيادة وجد الهرج والمرج سائدين ، والسعاة
يحملون البرقيات من مكتب الى مكتب ، لقد طرد اليونانيون
من تركيا الآسيوية ، لكنهم راحوا يحشدون قواتهم عبر
البحر في أوروبا ، لكي يهاجموا القسطنطينية - وادن ..
لا مفر من إعادة تنظيم الجيش التركي وارساله على عجل الى
مركز الخطر !

ووجد مصطفى كمال امامه مائة مشكلة ومشكلة تنتظر
تصرفه العاجل ، فانغمس في العمل بهمة المفهودة ، من
الفجر الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل .. وفي اليوم
الثالث جاءه ساعيه يعلن أن سيدة شابة تفتي مقابلة العاري
وتلج في طلبها - وقبل أن يفرغ الساعي من كلامه اقتحمت
المرأة الحجرة وقدمت له نفسها باسم لطيفة هانم !

ووقف مصطفى كمال لحظة بلا حراك ، غاضبا لدخول
المرأة معبر استندان ، ثم تمالك نفسه فأومأ الى الحاجب كي
يتصرف ، والى المرأة كي تجلس ! .. كانت تختلف كل
الاختلاف عن نساء الاناصول العلاحات ، فرمقها بنظرة
فاحصة ، وكأنها شعر بارتياح خفي لمرواها بعد عاء الايام
المصرمة ومتاعبها ! .. وكانت ترتدي الثياب الاوربية الانيقة ،
قيما عدا غطاء رأسها التركي الذي راد في جمال استدارة
وجهاها ! .. ولم تكن محجبة ، فتبين من ملامحها انها من أسرة
طيبة لا فتاة رخيصة من الاسواق - وكان في مظهرها هدوء

ولكن لم تكن هذه الاحوال هي التي أغرت مصطفى كمال
بالتوقف والتأمل ، ولا استرعت اهتمامه أو اشغاقه أنباء
المرأة التركية التي رحمتها مواطناتها بالاحجار ! .. فانه لم
يكن يعكر في اللحم والدلم والالء ، ولا في العواطف وامور
الامراد .. بل في الحقائق الحرفية والحرائط والحصار
الجنود والاسلحة ! .. وقد رأى نفسه وادعا فوق القمة بينه
حدوده قد بلغوا أزمير ، والبرقيات قد حملت الى العالم أنها
انتصاره الساحق على الجيش الذي أرسلته اليه الدول العظمى
ليسحقه ! .. انها ساعة انتصاره التاريخي المجيد ، وان
أعجب العالم بأسره لتتركز عليه في يوم مجده .. ولسوف
يدخل أزمير بعد قليل دخول الفزاة العائين !

وفي أوشتاق جاءه النسا بأن القائد العام لجيش الإعداد ،
ومساعدته ، قد أسرا .. فأمر باحضارهما الى مقر قيادته .
واستقبلهما واقفا مرحبا في احترام ، بين عصمت الى يمينه
وعوزي الى يساره .. ثم صامعهما وأمر لهما بالقهوة
والسجائر ، وفي أثناء حديثه معهما تبين - آسفا - انهما
دون مستواه في المقدرة العسكرية والكفاءة الحربية ، فأحس
بشيء من خيبة الأمل !

واخيرا جاءتة الاساء من أزمير بأن كل شيء قد أعد لدخوله
المدينة .. فقطع الأميال القليلة التي تفصله عنها على رأس
قافلة من السيارات المتوجة بأكاليسل المار .. وعلى طول
الطريق أحشدت الجماهير لتحيته ، هاتفة مهللة باكية .
شاكرا لله انقاده اياها من طغيان اليونانيين !

وعند أبواب أزمير استقبلته فرقة من العرسان الشاكى
السلح ، ومضى المركب ببطء خلال شوارع المدينة الضيقة .
تحت أقواس النصر وسقوف الاسواق ، وبين الهمات
والتهليل .. وحين مر ببوارح الحلفاء الرابضة عند مدخل

من ألفت أن تطاع ، ولا سيما حين واحده بطرة ثامنه كانه
 نظره رجل الى رجل . لا يملك البطرة الرجوة اليه الى
 انها من النساء !! ولم يكن طبعيا من عتاة تركيه من
 اسرة طيبة أن تقتحم مكاتب القادة وتتكلم بمثل هذه المرأة
 . فانار أمرها اهتمامه وفضوله : ترى ماذا تبغى ؟ وماذا
 تستطيع أن يفعل من أجلها ؟

وكانت توافد الحجرة معبوسة في ذلك الصبح الحار من
 سبتمبر ، ومن الخارج كانت تسمع طلعات الرصاص
 وصيحات المرحى وحشرجه المصابين . فالأتراك يأخذون
 بنارهم من بقايا اليونانيين المستوطنين في البلدة ، ويقتلونهم
 كما قتلوا هم الأتراك في يوم سطوتهم !! ودخل مصاط
 من مرؤوسى العارى ليستنه بان الحرائق قد شبت في كثير
 من أحياء اليونانيين ، وان الدخائر المحبأة في أقبية كنائسهم
 مهددة بالانفجار وسف الأحياء المحاورة من المدينة !! ثم
 انصرف المصاط ، فالتفت العارى الى صميمه يسألها عن
 مطلبها !! انه مطلب غاية في الساطة ، فوالدها أحد كبار
 بناء السمس في أزمير ، وهي قد عادت لتوها من باريس
 وبيارت حيث تركت والدتها . وهم يملكون ميرا كبيرا
 عليا بالخدم فوق تلال « بوربون » وراء أزمير ، ولما كانت
 الدار التي يتحدها العارى الآن مقرا لقيادته قريبة من
 الضجيج وغير مريحة فان العتاة تعرض عليه أن يستقل واركب
 حربه الى ممرها ليبرلوا في صياقتها ويخطوا هناك بكل
 نهاية في طوقها !!

وقبل مصطفى كمال ما عرصه شاكر !! وانتقل
 وعروضوه الى الدار الجديدة التي أعجبه هدموها ، وكانت
 تحيط بها الكروم والمدايق وتطل على أزمير ومينائها . وقد
 توافرت فيها كل وسائل الراحة ، من الطعام الجيد ، والخدم
 الأكفأ !! وفوق ذلك كله كانت هناك العتاة ! انها ادارية



لطيفة هاتم زوجة مصطفى كمال

حارمة وقديرة ، وأنشى ناعمة رقيقة في الوقت نفسه ، فجذبه
سحرها ، واشبهها ٠٠ وقبل أن يمضي يومان كان قد
أحبها حبا جنونيا عيبا . كانت لطيفة ، ولطيفة بحق ٠٠
بشعرها العاظم ، وعينيهما السوداوين الصاحكيتين ، وصورها
الناعم وهي تتكلم التركية ذات الحرس الموسيقى !

وكان مصطفي قد أحس في الأسابيع الأخيرة أنه قد بدأ
يهرم ، وتسحقه متاعب الحياة ، فعمد إلى الخمر يشربها كي
يهدئ من ثائرة أعصابه ، أما الآن فقد كف عنها وطلقها .
لم يعد بحاجة إليها . لقد عاوده شبابه ٠٠ ومرة أخرى عادت
دماؤه تجري حارة دافقة بالحياة في عروقه !

واستجابت لطيفة لحبسه ، فأحبته بدورها حبا صريحا
عارما . أوليس هو بطل بلاده ومنعدها ٠٠؟ ولم يصحح
هو وقتا ، فعارلها غرله الصاري المباشر الذي ألهه ٠٠
واستكانت هي لمناقه في نعمة ودلال ، لكنها لم تسلمه
حسدها قط ٠٠ كانت دائما تتروغ منه في الوقت المناسب
تاركة أياه يتحرق شوقا إليها ويسائل نفسه عن مدى حبها
له ٠٠؟ وحاول أن يفرص عليها إرادته ، فلمع على وتر
وطيئتها وعبادتها لسلطوته، مستخدما معها كل آداب العرام
التي علمته أباها تجاربه ٠٠ ولكن بلا جدوى ٠٠ لقد كاس
حسره بالساء حاطنة !

كان قد عاش مد يفاعته معيشة غير منتظمة ، وحتى حين
انقصت صراوة الشباب لم يطلق مجوه ٠٠! أما الحب فلم
يكن مصطفي كمال يعرف عنه غير قليل من المعلومات الطرية
المهمة المستقاة من الكتب العربية القليلة التي قرأها عنه ٠٠٠
كان « شرقيا » في نزعة عسلي طول الخط ، وشرقا ظالما
مستندا ٠٠! لكنه الآن براء « شيء » آخر ٠٠ فتاة طيبة
الشابة ، حرة النفس ، تعلمت في الغرب وأشرقت الأفكار

الغربية قصارت قديرة على أن ترضى عقله وتصارعوه وتسمو
بأصاحمه عن مطالب الجنس العابرة ٠٠٠ قديرة على أن تكون
له شريكة ومعينة ٠٠ ثم هي إلى ذلك ناعمة عطرة تستثير
رغبته وتلهب دمه إلى حد الجنون ٠٠! ألا أنه قد فقد توازنه،
وبات يتقلب على نار وجسر ٠٠ فلاول مرة في حياته أحب !
وهرع عائدا إلى البيت الذي فوق التل ٠٠ إلى لطيفة هانم،
وقد قرر ألا يصبر عليها أكثر مما صبر ٠٠ وليس ذلك التمتع
من جانبها فيما يمتدد إلا من قبيل الدلال !

وبعد العشاء وقف مصطفي ولطيفة في الشرفة العليا
يطلان على التلال المشرفة على البحر ، والمقسمة إلى حدائق
صغيرة مسورة بالصخور العبراء ، وبين أشجار الزيتون
والكروم بدأت أضواء نار المعسكرات والحيام تير بقعا من
الظلام ٠٠٠ وتحتهما رقدت مدينة أرمير ، والخرائق المشتعلة
في الأحياء اليونانية تمتد وتنسج ، وتلغق الستها الدور
والمارل واحدا بعد الآخر ٠٠ فالتفت مصطفي كمال إلى
لطيفة وقال وهو يشير إلى المار ٠٠ « انها بشرى بأن تركيا قد
ظهرت من الحوة والأجائب ، وصارت « تركيا للاثراك » ! »
ومن المدينة تصاعدت سسات دافئة حبت معها رائحة
الليل ، وأريج الورد والياسمين ، فحلب مصطفي لطيفة إلى
صدره ، وقبلها ٠٠ عطى وجهها بالقبل ٠٠ وكاد يحملها على
ذراعيه إلى الشرفة الداخلية ، حيث كان الحادم قد أعد
فراشه ٠٠! لكنها راعت من بين ذراعيه فجأة قائلة : « انك
لا تفهمني » اني أحبك ، لكى لن أكون حليتك ٠٠ تزوجنى
أكن لك اء

الفصل الرابع

النصر الحقيقي

انقضت أسابيع دون أن تتلقى لطيفة هائم أى كلمة أو نبأ عن مصطفى كمال !

وكانت قد أحست إلى حد أنها ما كانت لتعجز عن أن تدل له عينها ، أو حتى حياتها ، كي تحبسه أدنى كدر . لكنها قد تعلمت أن تنظر إلى الأمور بطريقة الغربيين ، فقد تنب دروسها في إنجلترا وفرنسا ، ومن ثم رأت أن رحلها يسمى أن يحترم ما يبقى امتلاكه . لقد احتفظت بشرفها كي تحتفظ بالرجل الذي أحسته . لكنها تتساءل الآن . هل أحسب التصرف ؟ أم فقدت رجلا من حيث إرادته ؟

واذ توالت الأيام دون هائلة من حابه ، عاودت لطلعه هواياتها القديمة : دراسة العنانين والأدب العرسى . . . ومساعدة اللاجئين ، الذين هرعوا إلى أزمير بالآلاف !

واتعمس مصطفى كمال في العمل الشاق ، وقد أعيد من ذهنه ذكريات المرل الواقع فوق تل (بورنوفو) . وعارود الشراب بامراط لتهدئة أعصابه الشائرة ، واستبد به الأرق . كان يواجه أزمة حرية تقضيها أن يخذ أم

قرار في حياته . لقد نرود الجيش اليوناني المهروم بأمداد جديدة من آسيا وعاد لجميع في تريس ، وراء القسطنطينية ! ولم يكن لدى مصطفى كمال سبع حربيته ، فكان عليه أن يطارد العدو بطريق السر . ومن ثم أرسل قواته على عجل إلى الشمال ليحطه قبل أن يستكمل أعينته . وكان طريقها يحترق الدرديل ، وهناك في شساق ، التقت بجيش الاحتلال الانجليزى الذى أبى أن يسمح لها بالمرور إلى أوروبا ، ووقف حائلا بينها وبين العدو .

ولم أنقرة كان مصطفى كمال منهكا في وزن جميع الاحتمالات ، حريا على عادته ، قبل أن يحدد قرارا . وكان يدرك أنه لو أمهل الأعداء حتى يكملوا استعدادهم فسيعد الفرصة لدرهم . . . لكنه أدرك أيضا أن جوده وإن أتملتهم شهوة النصر ، أزالوا حائرى القوى تنقصهم الثياب والدخيرة والأسلحة الميكانيكية الحديثة ، بحيث لو أرمع الانجليز طائرتهم حقا لمعهم من الدخان باليوبابيسى الهزموهم شر مزية ، على الأقل بفضل حرة صباطهم وأسطولهم العظيم طائراتهم . . . ولكن هل الانجليز يعترفون الاشتباك معهم حقا ؟ أم أنه تهديد أخوف ؟ !

وكان من رأى العرسيين والاطالين والروس أن الانجليز لما يهددون فقط ، وكانت صحف إنجلترا تحمل على لويده جورج لرعته في القتال . . . على أن الأمر كان في الواقع بيد القائد الانجليزى لجيش الاحتلال « السير تشارلس هاريجتون » . . . وتأرجحت كفتا الميزان : كان في أحدهما الذكائنور الركي المعوار بطل الاناصول ، الذى يترغم شعما لعلته بشوه النصر واعتزم أن يعاقل دفاعا عن بلاده ووحدته . . . وفي الكفة الأخرى القائد الايرلندى المسكر فى العاصمة ، غير الوائق من الارض التى يعف عليها ، والذي يحارب - ادا حارب - لغير هدف سام أو مثل أعلى !

وكانت أخلاق القائدين تناسب الأدوار التي وصعت على عاتقهما . كان القائد التركي صلب العزيمة حديدي الإرادة . يعرف هدفه ويعتزم أن يبلعه أو يعظم تركيا ونفسه في سبيل هذه المحاولة . وكان قد درس خصمه واطلع على كثير من الرقيات التي أرسلها إلى لندن والتفت بصوصها قلم المحاورات التركي ، كما تلقى خطابات منه وتقارير عنه كتها المراقبون الأتراك في العاصمة . وأدرك من كل ذلك أن « هاريجتون » دبلوماسي أكثر منه جندي ، ولا سيما في الأزمات الحرجة التي تقتضي مفامرة ومخاطرة . ومن هنا اعتزم مصطفى كمال أمرا . كان بعض ناصحيه يريدونه أن يعقد الصلح فوراً ولا يعرض نفسه للهزيمة المحتملة ، في حين طالبته الأكثرية في عصف بأن يهجم توا فيسحق الانجليز حاساً وبطارد اليونانيين إلى أثينا . لكنه هو - بأعضابه الباردة وتقديره المرن للأمر - تحبب كلا الحلي المتطرفين . وراى أن يحارب اليونانيين من غير أن يعرض نفسه للاشتباك مع الانجليز . ولا كان يعتقد أن « هاريجتون » سوف يضعف في اللحظة الأخيرة ويسمح لجيوشه بالمرور . فقد آثر أن يحس نفسه ، وأمر ألس من مراسله بالتقدم نحو الخطوط الانجليزية ، فلما أوقفا في حزم وبدأ الموقف متحرجاً ، لم يجد بداً من تجربة حطة بالاقدام على « حدة حرب » قد تحدى مع خصم ضعیف العزيمة ، فأرسل مشائنه نحو المداخل الانجليزية مرودين بأمر بالتقدم ونداقهم معكوسة ، مع الحرص على اظهار الود والاحترام للسلطات الانجليزية ، ثم مواصلة اختراق خطوطهم وجعل الدفاع عنها عسيراً .

وكان الخطر عظيماً ، فان طلقة واحدة خاطئة ، أو أمرا أسيء فهمه ، أكمل بدء المعركة وتورط مركبا في حرب رسمية مع بريطانيا ! لكن الطلعة الخاطئة لم تنطلق ،

فقد تحيرت القوات الانجليزية ماذا تفعل ، وكانت الأوامر التي لديها « مائعة » تقضي صنع مرور الأتراك وفي الوقت نفسه بعدم اطلاق النار أو استعمال العنف . هؤلاء هم الأتراك يتقدمون دون أن يتوقعوا أو يقاثلوا ! . واصبح الموقف حرجاً ، واقترب الأتراك من الأسلاك الشائكة وبدأوا يخترقونها . وفي هذه اللحظة جاء تهجم فجأة أوامر من قيادتهم بالتوقف . لقد بدأت المفاوضات لعقد هدنة !

كانت فرنسا قد حشيت أن يؤدي اشتباك تركيا مع انجلترا في القتال إلى نشوب حرب عالمية جديدة تضم فيها روسيا الشيوعية إلى جانب تركيا . فأرسلت مندوبها ميسيو « فرانكلان » بليون لمفاوضة مصطفى كمال رأساً . وكان هذا على استعداد لأن يعطى العازي ، باسم الحلفاء واسم انجلترا أصلاً ، بأى شيء يحول دون وقوع الحرب ، كان يشهد الحلفاء بأن يحل اليونانيون « تريس » ويميدوا تركيا الادوية إلى الأتراك .

وتظاهر مصطفى كمال بأنه يقبل العرض كرماً منه ، في حين كان ذلك أقصى ما تمناه وأوداه . انه الصبر الحاسم الذي يورع عليه حسارة لا أقل من خمسين ألف جندي ، وأشهرها طويلة من القتال الموير ، ثم نتيجة غير مرضية .

وهكذا فشل تهديد الانجليز ونجحت خدعة الفازي ! وأمر مصطفى كمال قواته بالتوقف ، وأرسل عصمته ليقابل هاريجتون في قرية « مودانيا » للاتفاق على التصفيلات . وهناك وافق الحلفاء على طرد اليونانيين من « تريس » وحلائهم هم أنفسهم عن القسطنطينية وتركيا بأسرها !

وانتصر مصطفى كمال . كانت معركة صحراء « سقارياء » نقطة التحول في حطة ، وكانت معركة أزمير نجاحاً كبيراً ، أما هذا فهو النصر الحقيقي ، صوره هو . ان شجاعته

وعزيمته وبراعته وصدق تقديره . هي كلها التي مكنت
حيثه المهلهل الناقص المعديه والعدة والعتاد من أن يطرد
اليونانيين من بلاده ويحبر الامراطورية البريطانية على
التسليم له بالشروط التي طلبها ، ويحيف أوروبا بأجمعها
والآن أن له أن يعطي شروط الصلح ، في الداخل والخارج .

زواج خاطف

ما كادت تهذا الأحوال ويخلص مصطفى كمال من شئون
الحرب والجيش مؤقتا ، حتى عاد إلى التفكير في « لطيفة
هانم » وفيما لقيه من تمنعها في ذلك المنزل الذي تحيط به
الحدائق فوق تل « بوربون » . ولم يكن قد حدث احدا
من قسده في احضار هذه المرأة ، فراح اخوان الصفا في
أقربة يمارحونه تحت تأثير الحمر ويعبطونه على الصيدالحديد
الدسم الذي ظفروا به !

أما بيت مصطفى كمال في « شان كايا » فكان عاديا ،
بعد أن غابت عنه « فكرية » . وقد تطلعت به المسكنة
ونكت واستعظمت حين أصر على أن تسافر إلى ميونخ
للعلاج ، لكنه لم يزد على أن طيب خاطرها بأن أعطاها مالا
كثيرا لتنفق منه في رحلتها . وحسبا بعثت إليه من هناك
برسائلها ، لم يجب على واحدة منها . ! لقد أراد أن يحمو
هذه الصنفحة من كتاب حياته ، ورغم إيمانه بأخلاص فكرية
له ، وبشدة رغبته في العودة ، لم يشأ أن تعود !

وكانت أمه قد غدت طريحة الفراش ، فراح يسائل
نفسه : ترى كيف تستقبل لطيفة . ! أنها لم ترحب يوما
بفكرية وكانت تمار منها ، وتأمي أن تكون صلتها بأية امرأة
لا تقوم على الزواج . ! وراح يقلب الأمر على وجوهه في
روية ، ويزن جميع الاحتمالات ، حتى إذا ما انتهى إلى قرار
عمل على تنفيذه بسرعة الساعة !

طلب أن تصد سياورته من غير أن يخبر أحدا عن وجهته ،
ثم اندفع ينهب أرض تركيا قاصدا أزمير ، ومنها إلى
ورنغو !

وكانت لطيفة في حجرتها بالطابق العلوي ، فاندفع
يصعد السلم قهزا . . . واقتحم غرفتها بغير استئذان حيث
ضجها إلى صدره قائلا . « ستتزوج الآن . . . نعم ستتزوج
الآن بلا انشاء ، وبلا أي احتفال ! »

ولبثت العتاة برهة كالماخوذة ، وقد أدهشها قدومه
المعاني ، واقتراحه الغريب . . . ثم طلبت إليه أن يمهلهما
بضع ساعات . . . فقبل على مضض !

وبعد العجز لتقبل عاد يلح عليها أن تستعد للذهاب . . .
ثم دفعها إلى الطريق دوما ، واستوقف أول شيخ معجم كان
في طريقه إلى المسجد وأمره بأن يزوجهما فوراً . . . في
الشارع !

ولم يخبر أحدا بما حدث ، بل سافر ولطيفة معه عبر
الإقليم الذي دمرتة الحروب ! وحين ظهرت إلى جانبته في
سيارته أثناء استعراض رسمي ، علم أصحابه وخلاصه أن
الفاري قد اتحد لنفسه روجة . . . وعندئذ سخر بعضهم
هازيين ، وتنسأ آخرون بأن الزواج لن يصبر طويلا . . .
واستنتج فريق ثالث من رواجه هذا أنه يرغب في أن يصبح
ملكاً أو سلطاناً ويؤسس أسرة مالكة . . . أما أمه وأهالي
الريف التركي البسطاء فقد هللوا فرحاً وابتهاجا بهذا
الزواج !



الآن . . . بلغ مصطفى كمال قمة مجده ، وحق له أن يقف
مزهوا بنفسه !

لقد انتصر الاتراك ، وانزوى الاعداء - الانجليز والعرب واليونان واليونانيون - وراحوا يتشاجرون فيما بينهم ، وقد استحال تحالفهم الى عداوة ٠٠٠ أما شعوبهم فقد أرادت السلام بأى ثمن ، ولم تكن على استعداد لان تضحي برجل واحد ، أو دونه واحد

لكن مصطفى كمال أدرك أن سلاحه الاكبر فى مفاوضات الصلح القادمة لن يكون سوى جيشه المؤلف من مائة ألف جندي يرتدون الاسمال البالية ، يشد أزرهم تصميم الشعب على النصر أو القبر !

وصار مصطفى كمال يحاهر علنا مترديد الشروط التى تقبل تركيا الصلح على أساسها ، وكانت هى الشروط التى تضمنها الميثاق الوطنى القديم ٠٠٠ أن تفتدو تركيا دولة مستقلة ذات سيادة داخل نطاق حدودها الطبيعية ودون أى تدخل أجنبى !

ولو وجد فى مكانه رجل آخر صغير النفس لضاعف من مطلبه بعد الانتصارات التى أحرزها ! وبعد الحالة التى آلت اليها قوى الحلفاء ، وماذا يسمعه من الاسترسال فى الفوز والتوسع ، وهذه هى وسائل التهنة وورقيات المديح والهدايا من سيوف الشرف تهال عليه من جميع الدول الاسلامية والعربية ٠٠ من الهند ، وأفريقيا ، والملايو ، وأفغانستان ، وإيران ، والصين ، وروسيا ، وهنغاريا ، وغيرها ؟

والواقع أن انتصار مصطفى كمال أنعش آمال الاجناس الشرقية ، وزاد فى مخاوف الاجناس العربية ، بحيث لم تكن تشب أية اضطرابات عداوية نحو دول الغرب فى أى ركن من المعمورة الا اتحت الأنظار نحو هذا القائد الشرقى الذى حزم كل جيروت أوروبا ! ورات فيه شعوب الشرق

شعرا بخلاصها من ربقة « الرجل الابيض » ، وقد أمده السوفييت بتشجيعهم ٠٠ وعرضت عليه ايران وأفغانستان عقد معاهدات هجومية مع تركيا ، وطلب اليهود والسوريون والمصريون عونه ٠ ومن جميع الانحاء انهارت عليه الدعوات كى يصبح بطل الشرق فى كفاحه ضد الغرب !

ولكنه ورغم انتشائه بحمر المديح والملق ، وزهو بنفسه على خشبة المسرح العالمى ٠٠ ظل كنهده محتفظا باتران أحكامه ، واضحا فى أهدافه ومهامه ، لا يستسلم لوهم أو خيال ، ولا يجرى وراء سراب زائف !

لقد أدرك مصطفى كمال مدى ما يستطيع الاتراك أن يفعلوه ، فلم يطلق خياله ليجمع وراء أحلام الفوز الخارجى وتكوين الامبراطوريات ، بل أقنع نفسه بأن الامبراطورية العثمانية قد ماتت وانتهت ، وأنه خير للاتراك أنفسهم أن يتخلصوا من تلك الامبراطورية التى امتصت النخاع من عظامهم ، وقتلت الملايين منهم - طيلة خمسة قرون - فوق تربة العراق وبلاد العرب وأفريقيا ٠٠ لقد استغل السلاطين الاتراك شمعهم فى غير فائدة لهذا الشعب ٠٠ واذن حسب تركيا ما قاست ، ولترقد تلك الامبراطورية العثمانية الى الأبد حيث انتهى بها المصير !

وكان جواب مصطفى كمال على بعض ممثل دول الشرق الذين جاؤوا يشهدون موته : « نحن جميعا نتمنى أن نرى انخاس المسلمين يعيشون أحرارا ٠٠ لكننا لا نستطيع أن نصنعهم عونا ، غير أمانينا الخاصة ! » وقال مخاطبا الجمعية الوطنية : « أنا لست مؤمنا بعصبة من جميع الدول الاسلامية ولا حتى بعصبة من الشعوب التركية ، ولكل منا أن يعتق الرأى الذى يراه ، أما الحكومة فيدعى أن تلتزم سياسة تاتمة مرسومة ، مبنية على الحقائق ، لها هدف واحد ، وواحد فقط : أن تحى حياة الوطن واستقلاله داخل نطاق

حدوده الطبيعية . فلا العاطفة ولا الأوهام يسخرى أن تؤثر
في سياستنا .. وسحقا للأحلام والخيالات ، لقد كلفنا
غاليا في الماضي !

وكان في موقفه تجاه « البلاشفة » أكثر وضوحا . فقد
جاءه وفد من موسكو يرأسه القائد الأوكراني « مروني » ،
وأقام وزير أدريجان مادبة عشاء تكريما للوفد ، فوقف
القائد يتحدث عن نصرة البلاشفة للشعبين الشريفة
الحكومة ، ضد شعوب الغرب الظالمة ، التي تصطليها . ثم
ناشد تركيا أن تنضم إلى بلاده في « معركة التحرير » ..
وعندئذ وقف مصطفى كمال ليحبه ، فقال في كلمته المختصرة
الحاسمة : « ليس هناك دول ظالمة ولا دول مظلومة .. وإنما
هناك فقط أولئك الذين يسمحون لأنفسهم بأن يتحملوا
الظلم » . والأتراك ليسوا من هؤلاء . فهم يستطيعون أن
يحموا أنفسهم .. فليفعل الآخرون مثلهم ! »

نعم .. أن الغازي لن يقود تركيا إلى حماقة من تلك
الحماقات ، أو أن ينصب نفسه بطلا للشرق معاديا للغرب .
وللإسلام ضد المسيحية ، أو للاجتماع المصطنعة ضد
مضطهديها ، ولكنه لن يكون إلا كما حدد برنامجها بقوله
« ليس لنا إلا مبدأ واحد ، هو أن ننظر إلى جميع المشكلات
بالمعنى التركية ، ونصون مصالح تركيا ! »

لقد اعترى أن يحل من تركيا ، داخل نطاق حدودها
الطبيعية ، دولة صغيرة الرقعة ، ميسورة الحال ! لكنه في
نطاق هذه الحدود سوف يحل نفسه السيد الأمر والحاكم
المطلق ، فقد كان يؤمن أنه وحده القادر على أن يخلق تركيا
الجديدة وينظم أمورها ويقودها إلى شاطئ الحاح والرفاهية ،
وهكذا لم تكن كل هذه الانتصارات العسكرية وما تلاها
من مطامرات التأييد والاعجاب لمحب عن عيني مصطفى

كمال تلك الحقيقة الهامة في بلاده نفسها ، وهي أن جميع
قواد الجيش - باستثناء عصمت وفوري وضعة أصدقاء
آخرين - وجميع رجال السياسة فيها يعرفون من صيرورة
رئيسا عليهم ! .. بل أن كثيرين منهم يقتونه أشد مقت ،
ولا يتورعون عن الكيد له بعد أن هزم العدو الأجبي وحلا
الحرب لسانهم !

واستدعته الجمعية الوطنية مرتين إلى أنقرة ، كي تناقشه
بصدد مؤتمر الصلح القادم .. وعلم هو أنهم لم يجعلوه
الحاكم المطلق إلا ليواجه الأزمات العسكرية . لكنه كان
مستعدا لمواجهة !

وقالت له « خالدة أديب » ذات مساء بأسلوبها الخاص
الهادئ : « إنك سوف تستريح بعد مؤتمر الصلح يا باشا ،
فلقد حادت جهادا شاقا » فأجابها في عطف وعيائه تومضان
ببريق خفيف : « استريح ؟ أية راحة ؟ أنا بعد أن حلصنا
من اليونانيين سوف يقاتل بعضنا بعضا ، أو سوف يأكل
بعضنا بعضا ! »

وأرسل إلى أنقرة يعتذر بأنه لن يستطيع الذهاب ، لأن
واجباته العسكرية تمنعه في أزمته .. وعنده ذلك في
« رؤوف » - رئيس الوزارة - ولبيب من رجال السياسة ،
ليستطلعوا رأيه فيما يسعى أن تكون عليه الحكومة في تركيا
الجديدة ، فليس معقولا أن تكون لتركيا حكومتان : حكومة
مؤقتة ذات سلطان مفرها أنقرة ، وأخرى رسمية « اسمية »
في العاصمة يرأسها السلطان ومجلس وراثته !

واقترح بعضهم أن تندمج الحكومتان في حكومة واحدة
يصبح فيها السلطان ملكا « دستوريا » ويصير مصطفى
كمال رئيسا للوزارة . لكنه أخفى نواياه الحقيقية عن محدثيه
فلم يصرح لهم بأنه لن يفتح بأن يكون رئيسا لوزارة تحض

«السلطان» دستوري ، وانما يرى انه تذهب السلطة والحياة وكل محملات الامبراطورية العثمانية بدهاب الاعداء الاحاب من البلاد ، وتماشاً جمهوريه يستطيع في ظلها ان يصيب نفسه حاكماً مطلقاً على البلاد . وعندئذ يكون في استطاعته ان يصلح تركيا الاصلاح الكامل الشامل ٠٠١

لكن رؤوف توحس شراً من نوايا مصطفى كمال ، مغل بلح عليه بأسئلته ، واخيراً وعده المازي بان يلقاه في انقره ليطلعه على آرائه ٠٠ وفي انقره اجتماعاً حول مائدة الشرب ، وكان معهما رفعت وعلى مؤاد ، أي الجماعة التي التأم شملها في المؤتمر الاول في « اماسيا » سنة ١٩١٩ . يوم ان كان مصطفى لمي حاجة الى معاونتهم جميعاً ٠٠ لكنه اليوم غيره بالامس ، فقد صبح عزمه على ان يصل الى اهدافه بأي ثمن وأي سلاح ، ومهما يطل به الانتظار ، فلن تأخذه شفقة على أحد ، أو توهن من عزيمته عاطفة ، أو يعقد من قراراته اخلاص لانسان !

القاء السلطنة

رأى مصطفى كمال ان عليه ان يتمهل في حطاه ، فقد كانت المعارضة أقوى مما توقع ، وعليه ان يتنظر حتى تحين الفرصة الملائمة ، أو يحلق هو هذه الفرصة بنفسه !

وبعد مضي أسبوع على اجتماعه برؤوف في منزل رفعت ، دعا الانجليز السلطان ان يرسل وعداً الى « لوران » لبحث شروط الصلح ، ووجوا عنه ان ينقل الدعوة ايضاً الى الجمعية الوطنية في انقره ٠٠ وكان ذلك خطأ حسيماً ٠٠١ وفقد تكهرب الجو عقب وصول هذه الدعوة ، وتارت في أنحاء البلاد عاصفة من السخط ، اذ كان كل تركي صميم يكره « وحيد الدين » ويعتبره الخائن الذي مالاً الانجليز واليونانيين في حريمهم لتدمير تركيا

كان هو ولويد حورج عدوى الشعب التركي الحقيقيين اللذين يفتهما مقتاً شديداً ٠٠١ وانتقلت موجة السخط من انقرة الى القسطنطينية ذاتها ، فاعتدت الجماهير على انصار السلطان القليلين ، وانتزع صمعي مهم يدعى « علي كمال » من اكبر اندية المدينة في وضع النهار ، تحت سمع نوليس العلماء وبصره ، واقتيد الى حيث رجم بالاحجار حتى مات ! ولم يعد يحرز أحد من حاشية السلطان أو خدمه أو وزرائه ، بل حتى رئيس الوزارة نفسه ، على الظهور في الشوارع ١٠٠

وفي انقرة اجتمعت الجمعية الوطنية ، فتصايح النواب ثائرين : ماذا فعلت حكومة العاصمة من اجل انقاذ تركيا ؟ وأي حق لذلك المعجوز الاحق توفيق باشا رئيس وراثة ، في توقيع الدعوة ؟ انه وكل وزرائه كلاب ، عجزة خوة ، يلغفون بصاق الضمعة المدعوة سلطان استانبول ٠٠١ ان تركيا حكومة واحدة فقط وتلك هي حكومة انقرة ، هي الجمعية الوطنية التي تقسم نواب البلاد !

وأدرك مصطفى كمال انه - سواء حان الوقت المناسب أم لم يحن - ينبغي له ان يضرب صرخته فوراً ، وقد يستطيع اقناع النواب بطلع وحيد الدين وبالقاء السلطنة ، لكنه لا يجرؤ على مهاجمة الخلافة ، فذلك من شأنه ان يمس الشموخ الديني للشعب جميعه !

وفي وسط الضجيج الذي ساد قاعة المجلس ، صمد مصطفى كمال الى المصبة والنمى من النواب ان يصنفوا اليه ، ثم اقترح ان يعزل بين السلطنة والخلافة ، فتلقى السلطنة ويطلع وحيد الدين !

وعندئذ تسه النواب من عمرة صحيحهم ليتبينوا حطير

القرار الذي يواد منهم أن يصبروه، فسكن هياهم تدريجاً، وبدأوا يتناقشون في الأمر !

لكن مصطفى كمال وقد كشف عن بوابه لم يصد في وسعه أن يتراجع أو يقلل الهزيمة .. ومن ثم طالب - يؤيده ثمانون من أساعه الشخصيين - بأخذ الرأي على الاقتراح فوراً .. لكن المجلس أحال الاقتراح إلى جلسة الشؤون القانونية كي تبحثه !

وفي اليوم التالي اجتمعت اللجنة ، وكانت مؤلفة من عدد من المحامين ورجال الدين .. فقصت ساعات طويلة مملّة في بحث مسألة فصل السلطة عن الخلافة ، واستشهد أعضاؤها في بحثهم بصوص القرآن والسنة، ومئات الأمثلة المستمدة من تاريخ الخلافة سواء في بغداد أو القاهرة .. وفي ركن من القاعة جلس مصطفى كمال متنمراً كالوحش المفترس ، يشهد صامتاً مناقشتهم وحذلهم حول تفسير الكلمات وتخريج النصوص .. وكانت اللجنة بأجمعها صد اقتراحه ، وأدرك أنه سوف يحبس الجوله الأولى بسبب هذه المحادثات البيزنطية في التواءة الصميرة ، فبدأ حقه يتعاقم ويهدد بالانحياز ، ماذا ؟ أليق به أنه يحلس - وهو السيد الفازي الفاتح - يوماً كاملاً يتفرج على حقه من المنقهاء يتلاعبون بالألفاظ ويسمحون الحياة في دستور ميت ؟ !

ونجاة فقد سيطرته على نفسه فغمر غاصاً واعتلى مقعداً ثم قطع مناقشات المجتمعين صائلاً : « أيها السادة ، لقد اغتصب السلطان العثماني السيادة من الشعب بالقوة .. وبالقوة اعترم الشعب أن يستردها منه .. ان السلطنة يجب أن تفصل عن الخلافة وتبقى .. وسواء وافقتم أم لم توافقوا فسوف يحدث هذا .. كل ما في الأمر أن بعض رؤوسكم سوف تسقط في غضون ذلك ! »

كان يتكلم بسلطان الدكتاتور الذي يصدر أمراً وأحب التنمذ ، فوقف رئيس اللجنة وقال : « أيها السادة .. لقد أوضح العازي المسألة لنا من وجهة نظر تحالف تلك التي كما قد فهمناها .. وفي عجلة يملئها الحرص على القرار من وجه الخطر تكاليف الاعضاء يتواصلون بحالة الاقتراح إلى الجمعية كي تصدر به قانوناً ! نعم ان السلطة ينبغي أن تفصل عن الخلافة وتبقى ، ووحيد الدين يجب أن يخلع ! ثم جمع المشايخ أروبيتهم حول أجسامهم وانطلقوا قارنين من المكان قبل أن يشب الوحش الصارى عليهم !

والثامت الجمعية الوطنية من فورها لتناقش الاقتراح ، وبدأت أحراراً أحد الرأي عليه بالتصويت العنسي ، فثنين مصطفى كمال أن الاتجاه الغالب يميل إلى رفضه .. لكنه يجب أن يكسب المعركة بأي ثمن .. ومن ثم جمع أعضائه حوله وطلب أخذ الرأي عليه مرة واحدة ، فاعترض بعض النواب مطالبين بأخذ الرأي بالمادة بالاسم .. وأبى الفازي أن يوافق على هذه المعركة .. وكان أعضائه مسلحين، وبعضهم قد بر على ارتكاب أية حماقة ، انهم قد يطلقون النار اذا طلب اليهم ذلك !

وصاح مصطفى كمال وفي صوته رنة التهديد ، بينما وضع أعضائه أيديهم على مسدساتهم : « دانا واثق من أن المجلس سيقبل الاقتراح بأجماع الآراء .. ويكفي أخذ الأصوات ورفع الأيدي ! .. » وعنده طرّح رئيس الجمعية الاقتراح للتصويت ، وعيه لا تعارق مصطفى كمال ، فلم ترتفع غير أيد قليلة .. لكن الرئيس أعلن النتيجة بقوله : « أقر المجلس الاقتراح بأجماع الآراء » .. فقهز ثمر من النواب فوق مقاعدهم محتجين صائحين : « هذا غير صحيح .. نحن لم نوافق ! » - فصاح بهم آخرون : « اجلس .. اسكت

٠٠ خناير ١٠٠ وراح العريقان يتادلان أقذع الشتائم
والعاظ الساب ١٠٠!

وساد الهرج والمرج ، فأوماً الغازي الى رئيس المجلس ،
فعاد هذا يكرر قراره صانحاً بأعلى صوته : « بأحماق الآراء ،
قررت الجمعية الوطنية الكبرى لتتركيا إلغاء السلطنة » ثم
فرض الجلسة ٠٠ فقاد مصطفى قاعة المجلس يحيط به
أصحابه ١٠٠!

وتتابعبت الأحداث بعد ذلك بسرعة ٠٠ فلم تضي خمسة
أيام حتى استولى رفعت على مقاليد الأمور في العاصمة
بأنقلاب معاشي ، ثم تحت بصير الجنرال هاربتون وسمعه ،
وبمقتضاه التي حكومة السلطان ٠٠١ ولست السلطان أياها
يتجاهل هذا الوضع ، ثم أرسل الى هاربتون رسالة حملها
اليه الشخص الوحيد الذي بقي « وحيد الدين » واتفق من
نواياه ، وهو قائد جوقة الموسيقى بالقصر السلطاني ٠٠
وكانت الرسالة شعوية ، فاه بها الرجل أمام الجنرال
الانجليزي وهو يرتحف رعباً : « ان السلطان يلتزم بحماية
القائد الانجليزي والحكومة البريطانية ، فان جلالتة على ثقة
من أن حياته معرضة للخطر ! »

وبعد يومين وقعت سيارة اسماف بريطانية أمام الباب
الخلي لقصر السلطان ، فخرج وحيد الدين ليستقبلها ، يتبعه
ابنه ، وخفي يحمل حقيبة صغيرة في يده ، وحمال يحمل
متاع جلالتة ٠٠ وكان العجر يرسل أعضائه الاولى والسماء
تمطر رداذا خفيفا ، فأقبل مساعد السائق الانجليزي مسلم
السيارة المشسى من الخلف ، واذا ذاك صعد عليه ، يحمل
مظلتة في يده ، « آخر سلاطين آل عثمان » أمراطور جميع
الاتراك ، السيد العظيم المهرب من العالم بأسره ٠٠ ثم
انطلقت به السيارة الى حيث استقل زورقا بخساريا حملة

يدوره الى بارجة بريطانية كانت في الميناء ، فاستقبله
قبطانها بالاحترام اللائق ٠٠ وعلى أثر اعلان فرار « وحيد
الدين » « ودی دین آجیه » عبد المجيد « حليفة للمسلمين ٠٠
خليفة ومط لا سلطانا ٠٠١ خليفة مجردا من كل سلطان
وتعود !

حزب الشعب

انتصر مصطفى كمال على السلطان وحيد الدين وأمانته
على الانتصار مجده كقائد حربي طاهر ، وكراهية الجميع لذلك
السلطان ٠٠ لكنه تعلم من الأحداث الأخيرة درسا مؤداه أنه
لكي يحتفظ بسلطنته ينبغي أن يقاتل من كل شبر من الأرض ،
كما يقول المثل ٠٠١ فقد كان النواب - سواء من العسكريين
أو رجال السياسة - يقفون ضده ٠٠ كان أكثرهم يخشون
باسه ويرقبون فيه ، وبمصرهم يكرهه كراهية شخصية !

وكانت اللاد بعد إلغاء السلطنة تغير حاكم شرعي ، بحيث
بات يتعين البت في شكل الحكومة الجديدة خلال أسابيع ٠٠
وكان الشعب يقبله وعواطفه عارضا ، والجمعية الوطنية تميل
الى إنشاء ملكية دستورية ، على صورة من الصور ٠٠ وكان
من عادة مصطفى كمال أن بعد عدته لكل خطوة في حذر ،
حتى اذا ما حادت اللحظة المناسبة ضرب صرخته ٠٠ ولئن
سافته الحوادث الى كشف نواياه ضد السلطان قبل أن
يتأهب لذلك ، فانه في هذه المرة ينبغي أن يدبر خطته
في روية !

ان في وسعه أن ياتلف مع رؤوف ، لكن ذلك لن يؤدي -
على احسن العروض - الى أكثر من صيرورته رئيسا اسميا
لحكومة دستورية ، وهذا ما لا يطمع فيه ، انه يطمع في أن
يصير دكتاتورا ٠٠١ ولكن ، غلام يعتمد في بلوغ غايته ؟ ان
الجيش الذي يقف خلفه اليوم ينسى انتصاراته واجتهاده غدا ،

حين يتقدم به العهد في احضان السلام والمقر ! . وحسه
انصاره من الثواب المستعدين لتأييده بمسدساتهم ، ل
يستطيع ان يرهب بهم الجمعية والبلاد كل حين ! . وادن
يسفى ان يكون له سند غير القوة . . ان يخلق آلة سياسية
مخربة يتحدها سلاحا !

وهنا فكر في لجان المقاومة المحلية التي انشأها في الاقاليم
بمعاونة رؤوف ورفعت سنة ١٩١٩ ، والتي كانت بواه
المنظمات الشعبية للمجنددين التي طردت الانجليز
واليونانيين من البلاد وقادتها الى النصر . . ولما كانت هذه
المنظمات التي يلتهم افرادها وطنية وحماسة ذات صفة
مسكرية ، اى تخضع لامره مباشرة . فقد قرر ان يعيها
الى آلة حربية منظمة تخضع لاشرافه وتصبح الحاكم الفعلى
لتركيا . . وفي وسعه ان يطلق عليها « حزب الشعب » ،
ويمنح كل لجنة منها سلطة اختيار عمدة القرية واعظها
وناظر مدرستها ومدير شرطتها وبربدها وكاسبى شوارعها . .
ومن هنا ترتبط اللجان به ارتباطا شخصيا بحيث يتمكس
على كل منها نجاحه أو فشله !

وبعد ان اعد خطته قام بجولة في الاقاليم ، استقبل
خلالها في كل مكان بالمعاونة والاكبار ، بوصفه « الفارى »
ومحرر الوطن . . وحن الناس حماسة برؤية بظلم الموار .
وخلال جولته جمع في يده اعنة تلك المنظمات ، فكان أينما
حل بدعواها الى الاجتماع ، ويعامل اعضاءها باحترام ،
ويصمى الى آرائهم ومطالبهم . . ثم يقول لهم في النهاية :
« احتفظوا بمنظماتكم ، ان العدو الخارجى قد ذهب ، لكن
الحرب لم تنته بعد ، فالبلاد مليئة بالهوية . . فبقوا في صفى ،
واطيعوني . . وبذلك نستطيع ان نبني معا تركيا الجديدة ،
وطبكم الذى استرددتموه بدمائكم ، حتى نقود من مناعة
الجانب بحيث تقاوم هجمات جميع اعدائنا من الخارج او

الداخل . انكم سوف تكونون « حزب الشعب » قضى
جميع الأبرك المحلصين الى منظماتكم . . فأنتم الشعب ،
وحزب الشعب ، الدين ينبى ان تحكموا تركيا !

واذ صمن مصطفى كمال التعاف هذا « الجيش » العظيم
من القرويين حوله ، وفرع من اعادة تنظيم تلك اللجان وتعيين
ممثليه فيها ، عاد الى انقرة ليواجه خصومه مطمئنا !



واستهل الفارى هجومه بعرض مرسوم يقضى بالغاء
حصانه الثواب الشخصية من الاعتقال والمحاكمة . . ثم
اتبعها بقرائة صارمة على الصحف ، وأمر البوليس بمنع أى
اجتماع او خطاب عام ! . . لكن النواب رفضوا مرسوم رفع
الحصانة قاصبين ، اما الرقابة على الصحف والاجتماعات
فقد كان خارج نطاق عودهم ان يمنعوها ، اد كانت حالة
الحرب ما تزال قائمه ، وشكل الحكومة الجديدة لم يتقرر
بعد ، فكان مصطفى كمال ما يزال الحاكم الفعلى . . وقد
ادرك النواب معنى حيلته في الاقاليم ، ومدى ما يسعى
اليه ، بل أدركوا انه لن يتردد في الانتقام من كل من يعارصه
منهم في اول فرصة تسبح له . . لكنهم كانوا في الوقت
نفسه عاجزين عن ايقافه عند حده !

على اهم وجدوا لانفسهم ثغرة اخرى ينفذون منها اليه .
كان مصطفى كمال قد احتفظ في يديه بكل الاجراءات
الخاصة بمعاوصات مؤتمر الصبح ، وأرسل عصمت الى
المؤتمر — برغم احتجاج الكثيرين — ليمثل تركيا ، مرودا
تعليماته الشخصية ، متحاشلا في ذلك كلا من الوزارة
والجمعية الوطنية . . واعتنق المؤتمر في لوران في نوفمبر
سنة ١٩٢٢ ، وسارت أموره في البداية سيرا سيئا ، فقد

اختلف عصمت مع اللورد كرزون - ممثل الحلفاء - في جميع شروط الصلح ، وبعد أن استمرت المشاجرات بينهما ثلاثة اشهر لم يصلاحا خلافا الى تفاهم ، انعصر المؤتمر في فبراير سنة ١٩٢٣ بعير نتيجة ، وعاد عصمت الى تركيا فصرغ مصطفى كمال الى لقائه في (اسكي شهر) حيث عرف منه جميع الانباء وعاد معه الى انقرة . وكان الفارزى يعلق على نجاح المؤتمر اهمية كبيرة ، فان مثله كميل باسناد كل اثر لانصاراته الحربية !

وفي محطة انقرة فوجيء الانان بتخلف رؤوف رئيس الوزراء ونواب المدينة عن استقباليهما ، كما يفهمى العرب بذلك .. فشارت نائرة العارى ، واستدعى رؤوف اليه وطلب منه ابصاحا لسلطه .. فاجابه رؤوف محتجا على ارساله عصمت الى المؤتمر بعير استشارة الوارء وعلى اسرعه للمقابلته في اسكى شهر بعير استشارتها ايضا .. الامر الذى يعتبره عملا غير دستورى .. ثم اذرف رؤوف احتجاجه بالاستقالة من رئاسة الوارء ، ومنذ ذلك اليوم صار خصما لدودا لكل من عصمت ومصطفى كمال !

وتكتلت الجمعية الوطنية لنشد من اثر رؤوف ، فقضت تسعة ايام تناقش مسألة مؤتمر الصلح .. وثناء المناقشة ندد النواب بقول مصطفى كمال الهندنة مع الاعداء في « مودانيا » ووصفوا الهدنة بانها خدعة اطلقت عليه ، في حين كان ينبغي ان يتابع يومئذ رجعه الى القسطنطينية ثم الى اثينا اذا اقتضى الامر .. ثم حمل النواب على عصمت حملة شعواء اتهموه فيها بالغرق والغشاء في مفاوضة كررون ، وانتقدوا ارساله دون موافقتهم ، ثم قرروا التصويت على تنحيته وارسال خلف له سيتاتف معاوضات لوران !

وهنا عمد مصطفى كمال الى استخدام كل حيلة وسلاح في جميعته للتأثير في النواب كي يصوتوا ضد القرار المقترح ،

فقد كان عصمت رجله الذى يطيعه بلا مفاشة ، وكان هو حريصا على عودته الى لوران وعلى ان يتجح في مهمته فيها ! .. ومن ثم توسل بالوعد تارة ، وبالوعيد تارة اخرى وبنائيب النواب صد رؤوف من جهة ثالثة ، حتى احبط قرار تنحية عصمت ! وعاد عصمت الى لوران وفي عرمة ان يتجح في مهمته باى ثمن .. فان فشل معاوضات لوران يعنى نهاية مصطفى كمال .. ونهايته هو !

اعلان الجمهورية

انهك مصطفى كمال ليل نهار في تنظيم حزب الشعب ، ولم يكن لديه متسع من الوقت ببصا الائمة فتقرب يوما بعد يوم .. وأدرك النواب بدورهم خطورة الخطة السياسية التى يدبرها العارى للانفراد بالحكم ، فقرروا احاطها باى ثمن .. ومن ثم ارسلا اليه وعذا يطلب اليه التنحي عن رئاسة الحرب الحديد ، بحجة ان رئيس الدولة ينبغي ان يظل فوق الاحزاب ! .. لكنه اجابهم بقوله : « لست ووافكم على حجتكم ، فانتهم تنكلمون عن رعاة احد الاحزاب السياسية ، وانا اقول انه ليس في الدولة غير حزب سياسى واحد ، فالوحدة جوهرية لنا ، ولا يمكن ان توجد احزاب اخرى تناوئنا . وبهمى في وجهة الكرامة والشرف ان اطل زعيما لهذا الحزب الوحيد - حزب الشعب - ورئيسا للدولة في وقت واحد .. »

وكان الحواب تحديا للجمعية الوطنية . فبدات الاعصاب تتور .. وبدا كثيرون من رملاء مصطفى كمال الدين وقفوا الى جانب في آحلت الايام خلال السنوات الاربع الماضية يكتلون صده برعامة رؤوف ! .. كان يسهم رحى ، وعندان وكاظم قره نكير ، ورعمت وعلى فؤاد ، ونور الدين .. ولم يبق في صعه غير عصمت ، وفورى ، وبعض اصدمائه

الشخصيين وأصفيائه في مجالس الشراب !

وتوالى انضمام النواب الى رؤوف واحدا في اثر الآخر . واخذوا ينتقدون مصطفى كمال علانية ! . انهم لن يقروا ان تحكم البلاد حكما مطلقا ، ولا سيما على يد مصطفى كمال . ذلك المتقم العظ صاحب الآراء الثورية الشاذة والوسائل غير اللائقة ! ان احدا لن يامن على نفسه في ظل حكم رجل مثله ، وكونه قد حقق لتركيا انتصارات عسكرية لا يبرر ان يغدو حاكمها المطلق ابد الدهر !

وتداعت الاكثرية الي كانت لمصطفى كمال في الجمعية في سرعة خفية ، فادرك الي حلها واجراء انتخابات جديدة . آملا ان يحصل على الأغلبية فيها بعصل معاونة حربه الجديد . لكن المجلس الذي اسرع عنه الانتخاب جاء مائهما له شأن المجلس القديم ، بانى الانصياع لأوامره ، ويحدث صحيجا كلما خاطبه الفارز بلهجة باطر المدرسة الذي يحاطب تلاميذه !

وبدا واصحا ان الانتظار في غير مصلحته ، وانه انتصاره ان حرب الشعب يعوى سرعه ، واكد له فوري ان الجيش كله يؤيده . . وكان حصومه الرئيسيون غائبين عن انقرة في تلك الآونة ، وكان عصمت قد اخرج في لوران بجاحا باهرا حصل بمقتضاه لتركيا على جميع مطالها تقريبا ، وحلب آخر جيوش الاحتلال الاجلبرية عن العاصمة ، ودبواها بين سيعانها . . فلمع اسم مصطفى كمال مرة اخرى باعتباره القائد الظافر ، وحاجت فرصته للبت في امر حكومة تركيا الجديدة قبل ان يرداد حصومه قوة . . فليعلن تأسيس « الجمهورية » ويدير امر انتخابه رئيسا لها ، وحاكمها شرعيا للبلاد . . ! لكن الجمعية الوطنية لن تتخيه ما نعت لها حررتها الكاملة . فليدير اذن مؤامرة سياسية تحقق له هدفه . ليحلق ازمة ويستغلها . . !

وبادر فدما الوزراء الى مادية عشاء في داره بضاحية « شان كايا » ، ناقشوا فيها الموقف السياسي من جميع نواحيه . وبعد ان افرط المدعوون في الشراب افصح عليهم مصطفى كمال ان يستقبلوا في اليوم التالي من مناصبهم ويرفضوا العودة اليها ، كي يحرخوا الجمعية ويستردوا هيبتهم لديها ، بعد ان كثرت شكواهم من محاسبة النواب لهم مباشرة وانتقادهم اياهم في كل صغيرة وكبيرة . . حتى اذا ما احست الجمعية بالمأرق الذي اوقعها فيه تماديا في مسلكتها ، قل الوزراء آخر الامر ان يعودوا الى مناصبهم مرفوعي الرأس موهوبى الجانب !

وفي اليوم التالي استقال الوزراء جميعا تنفيذا لاقتراح مصطفى كمال . . وانقدت الجمعية الوطنية لتأليف حكومة جديدة ، لكن قياد زعماء المعارضة عن المدينة احدث تفككا في صفوف النواب ، فكثرت بينهم الجدال والشجار ، وراح كل منهم يعمل بوحى مصلحته الخاصة ، حتى اسفر الموقف عن فوضى تامة !

وبعد يومين اقام مصطفى كمال مادية عشاء اخرى لثغر من اصدقائه المحطيين ، بينهم عصمت وفتحى وكمال الدين ، واتسم حين حدوثه عن مأرق الجمعية الوطنية . . ان خطته توشك ان تؤتي ثمارها ! ومن ثم استدار العارز نحو ضيوفه فحاج قائلا في حرم : « لقد حان الوقت كي نصنع حدا لهذه الفوضى ، غدا سوف يعلن قيام الجمهورية ، فهي المخرج من كل هذه المصاعب . . فليبك انت يا فتحي ان تمقد الأمور في المجلس غدا بقدر ما يمكنك ، فتؤلب الأعضاء ضد بعضهم البعض . . وعندئذ تقترح انت يا كمال الدين ان أستدعى انا لتولى رهام الأمور انقادا للجمعية من مأرقها ! »

وبعد انصراف المدعوين عكف مصطفى كمال وعصمت على وضع صيغة قرار اعلان الجمهورية ، ففرغا منه قبيل الفجر !

وسارت الأمور وفقا للخطة الموضوعة ، وفي اللحظة التي كاد فيها السواب يتصارفون ويمسكون برفاق بعضهم البعض ، عرض كمال أنديس أمراجه بشأن استدعاء مصطفى كمال والاحتكام اليه لتشكيل الوزارة الجديدة ، فعزل السواب الأمراجه مرحبين . انهم في عرفة شحارهم مع بعضهم البعض قد نسوا خصومتهم معه !

وكان مصطفى وقتئذ في بيته يسيطر ما يسفر عنه عرض الاقتراح ، فبب استدعاء وفد من السواب أبي الاستجابه لبدعوة في المرة الاولى . . وحتى حين كنت اليه الجمعه رسالة تحريرية تعلن فيها عجزها عن حل الأزمة الورارية وتطلب معونه ، أبي أن يتحرك . . لم يهمن لتلبية الدعوة الا بعد أن اشترط أن تغل الجمعية رأيه بلا مناقشة !

وحين صعد الى المنصة ليواجه الجمعية ، بوجهه الأغر الصارم وشخصيه الطاغية ، بدا السواب امامه انصب بالفراس الضئيلة وهم يتطلعون اليه صامتين ملهوفين . . وطلق أحيرا فقال : « لقد أرسلتم في طلبي كي اتخذ الموقف في خطه المخرج لكن هذا المخرج من صمكم انتم ، فليس منشأ هذه الأزمة امر عابر ، بل خطأ اساسي في نظام حكومتنا . . والجمعية الوطنية تقوم بوظيفة السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية في وقت واحد ، وكل نائب مكم يهي أن يشترك في إصدار كل قرار وراري ، ويدس أصغه في كل إدارة حكومية وكل قرار لوربر ! . . ايها السادة ، ما من وزير يستطيع أن يصطلع بمسئوليته ويقل المصغ في مثل هذه الظروف . . يجب أن تدركوا أن حكومة تقوم على هذه الاسس لهي حكومة يستحيل ايجادها . . وادأ وجدت لم تكن حكومة بل كانت فوضى ! . . وبحي يجب أن نغير هذا الوضع . . لذلك أقرر أن تصير تركيا جمهورية لها رئيس يختار بطريق الانتخاب ! »

ودهل النواب للقرار المعاجيء ، لكنهم كانوا قد وعدوا مصطفى كمال بأن يقلوا حكمه بغير مناقشة . . فلم يبق في وسعهم غير أن يدعوا ! . . ومع أن أربعين في المائة منهم لم يشتركوا في التصويت ، فإن المرسوم الذي أعده مصطفى كمال وعصمت بحمل تركيا جمهورية قد أقر ! . . وانتخب مصطفى كمال أول رئيس للجمهورية التركية !

وبهذا الانسحاب صار مصطفى كمال الحاكم الشرعي المطلق للبلاد ، أي صار يملك سلطة تعيين رئيس الوزراء ، وصار في الوقت نفسه رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس الجمعية الوطنية ، ورئيس حزب الشعب ، الذي صار الآله الحاكمة للبلاد . . وفوق ذلك كله كان مصطفى القائد العسكري العام الذي يسيطر على الجيش والشعب معا . . !



وهكذا تحققت لمصطفى كمال السلطة المطلقة التي طمع فيها . . وفي كل بلدة وقربة صار حزب الشعب — سلاحه السياسي — هو القوة المسيطرة على الأمور ، وكان الجيش حاصعا لاشراعه المباشر ، وقصته تهيمن على دولاب الدولة بأكمله . . لكي كعاجه الأكبر كل ما يرال ينتظره ! . . ولقد طالما أوصح لأصدقائه أنه يرى وجوب اقتلاع « الدين » من تركيا

لكن خصومه لم يعطوه فرصة للتعمل والانتظار . . لم يروا أن بدعوه حتى يمدن في جلسته فوق سرح حواده ، فقد كانوا رملاء له في الماضي وعرفوا طبيعته جيدا فآمنوا بأنه لو استقر به المقام فوق طهر الخواد فن يتردد في شق أكثرهم أو تعيهم من البلاد ! . . ومن هنا عطلوا نشر الشائعات في أنحاء البلاد بما مؤداه أن مصطفى كمال

٧ - مصطفى كمال

يعتزم القضاء على الاسلام وطرد الخليفة !

وساعد على انتشار هذه الشائعات ما كان قد بدر من مصطفى كمال أكثر من مرة خلال كفاحه ضد خصومه السياسيين من هتات تفصح عن ميوله ونياته المسبورة ، الخليفة الخدد « عبد المجيد » .. هذا فضلا عما كان معروفًا للملا من تكرره للدين في حياته الخاصة ، ومغالته لكل آداب اللياقة ، وسجريته من كل الأوصاف المقدسة .. وكان قد طرد « شيخ الاسلام » من مكته .. وأجرى « انقرة » على سد الخياط ، وخرجه روحه سائرة ترتدي مثل ثياب الرجال ، وتحرص نساء انقرة على الطالبة بمساواتهن بالجنس الآخر !

وداع في كل مكان أن حكاهم انقرة الخدد كفرة ملاعين . فصار الوعاظ والدرارش يبدونهم في الجوامع والأسواق وبخاصة رعيهم مصطفى كمال .. وورع البشرا والصور الكاركتورية التي نهاجمه أشد هجوم .. وشجع خصومه هذه الغيبة وأرسلوا رسائلهم يشوبها ويذكون نارها كلما وجدوا الفرصة ملائمة .. ثم عذبوا انقرة والعوا جز الخليفة « عبد المجيد » في القسطنطينية يشندون الأمل حماه ، إذ لم يحل بحالهم أن العاري بحرؤ يوما على ا يمي الخليفة بسوء !

على أن عبد المجيد لم يكن بالماكر الذي يحس بدر الخطط . كان رجلا بسيطًا أمينًا هادئًا وسيمًا في الخمسين من عمره ، درس الرسم وأحب كتبه وحديقته ، وعاش طول شبابه معيشة بسيطة في قصره المشرف على البوسفور . وحتى استبول ذات الألسنة القدرة لم تروعه رواء واحدة غير نظيفة .. لكنه بعد فراز وحيد الدين وأصحابه خليفة ، أخذ مقبضيات منتصه كواجب اسمي ، فأحيا تقاليد أسلافه العظام .. وبدلا من أن يركب عربة كسلته

الأخير صار يمتطي صهوة حواد أنص - مثل محمد العاتج - يصر به « العرب الدهي » إلى جامع إيا صوفيا ليصلي الجمعة ، يتبعه حرسه من الفرسان وتحف به الجماهير المهتمة .. وكان يسكن في قصره أناتريي والسفراء والمبعوثين ، بوقار الزعيم الديني لماه مليون مسلم

على أنه وإن لم يكن يطوى صدره على مطاعم خاصة في العود السياسي ، أحد يتحدث إليه العاصر أنادجه في تركيا .. وكان آخر من أنصم إليه حصوم مصطفى كمال السياسي - رؤوف وصحه - الدس ذبروا حظه ترمي إلى نصب عبد المجيد سلطان دسوريا ، واختيارهم هم ووراء له .. وهكذا وجد المبكين بعنه دارع منه ، محورا وسلاحا للمعارضة لمصطفى كمال وحكومته انقرة !

القاء الخلافة

أدرك مصطفى كمال خطر الحركة الدينية « المبكية » التي تدبر صده في انقسطنطينية ، حيث اكبرية الشعب تكرهه ، وحيث يلبق أقوى خصومه حول اخليفه .. وفي الوقت ذاته كانت الغلبة الدينية في الأقاليم تقدم كن يوم ، والشعور سده برداد ، بحيث لو أحدث هاتان القوتان واحسن تنظيمهما لهزمته دون ريب !

وفيما هو يتدبر موقفه حائرا ماذا يصنع حذمه الخط مرة أخرى ، وأمدده انحصرا سلاح جديد ، فقد أرسل الرعصان الهنديين المسلمين « أعا حل » و « أمير عبي » حطاب احتجاج باسم مسلمي الهند يطالبون فيه باحرام مقام الخليفة العثماني « خليفة المسلمين » .. فنشر بعض الخلفاء في صحف القسطنطينية قبل أن يصل إلى حكومته انقرة . واد ذلك وجد العاري في هذا فرصة المشوذة ، فراح ينشئ تاريخ أعا حان حتى تبين أنه بعض في انجبرا ،

وسير جباهه في حلبات السباق الإنجليزية ، ويرتدى الثياب الإنجليزية ، ويمشي في ركاب الساسة والسعراء الانجليز . وان الانحسر قد اعلوا من قدره بدعائهم الحادقة خلال الحرب العالمية حتى صار ينظر اليه كزعيم مسلمي الهند . كي يستخدموه لتهديد سلطان تركيا كلما اصبى الامر ! .. وادى فهو صنيعة من صنائع الانجليز !

وشط مصطفى كمال في الصرب على هذا الور وأمره هياح الراي العام التركي ضد الخليفة ، قائلا : « ان انحسر » - اعلموه الماكرة المدودة - حين فشل في القضاء على ترك بواسطة اليونان عمدت الى دسائسها المألوفة فاستخدمت صبيعتها اغما حان كي يظهر الخليفة وشطر الانراك الى مصكرين ! R

وانار الامر نائرة الجمعية الوطنية فسانق اخطاء من السوان الى شن حميه شعواء على الخلافة ورجال الدين ورمعه المعارضة ، ثم افروا قانونا يقضي باعتار كل معارضة للجمهورية وكل ميل الى السلطان المحلوع حيانة يعاقب عليها بالوت !

وحين تحدث بعض النواب عن فائدة الخلافة لتركيا من الوجهة الدبلوماسية استكتهم الاكثرية بالصباح وصحب العصب والاحتجاج .. ثم واجه مصطفى كمال الجمعية قائلا : « أليس من أجل الخلافة والاسلام ورجال الدين ، قاتل القرويون الانراك ومانوا طيلة حملة قرو ؟ لقد آت ان تظر تركي الى مصالحها وتجاهل الهود والعرب وتفند نفسها من تزعم الدول الاسلامية ! »

وعلى هذا النمط نشر مصطفى كمال دعابته في الاقاليم . وجوكم محررو الصحف التي شرت خطاب اغما حان ، واديعت تعصيلات المحاكمة بشي وسائل النشر والاعلان ، بما

يصورهم والخليفة في مظهر الخوة وصالح الانجليز ... فقامت العنة الدينية في مهدها وتعالمت الأصوات بطالب مصطفى كمال بانماذ تركيا ! .. لكه اراد ان يسوئق من تأيد الجيش له لو العى الخلافة وفعل الدس عن الدولة . فذهب لحصور مياورات الجيش السنوه قرب ارمير ، وقصى اياما يبحث الامر مع هوري وعصمت ويحسن نص صغار الصايط والجنود .. فلم يصل الى شيخه قاطمة يطمش اليها ، ولبت بعلب الامر على وجوهه بصع ليال ... وفجأة قرر ان يضرب ضربته ، وأيقن ان الجيش سيؤازره !

ومش هذه السرعة انتقل من القول الى الفعل ، فاستحال عيظه المكوت نورة حاتمة مدمرة ، وقرر ان يبدأ بدهاب حصومه أولا . فابهر فرصة تهور احد النواب المعارسين في احدى جلسات الجمعية وكلف شخص بابعائه في الليلة نفسها اساء عودته الى بيته ! . وألقي أحدهم حطبة أيد فيها الخليفة ، فهدده العدى بالنشق اذا فتح فمه بمثلها مرة أخرى ! .. واستدعى رؤوف من القسطنطينية وأجره على ان يعسم يمين الولاء له ولجمهورية امام اسحة الرئيسيه لحرب الشعب ، مهددا بطرده من الحرب والجمعية اذا لم يفعل ! . وارسل امرا حازما الى حاكم استنبول بوجوب العاء معطاه الانهة التي تحيط بموكب الخليفة أثناء تأديبه الصلاة ، كما حفص مرتبه الى الحد الأدنى ، وأندر اتساعه بوجوب انحلى عنه ... فلم يسعى الا يقى في القسطنطينية رئيس ديس يحدى حكومة أقرة !

والمس بعض المعندين من مصطفى كمال ان ينصب نفسه « خليفة » .. وحاه من الهند ومصر وفدان يكرران الرحاء .. وكان اعراف المصب عطيما ، لم سطوى عليه من مكانة أدبية ودولته في العالم بأسره .. لكن مصطفى كمال وقص الاسراج بحركة توحى سعاد الصبر ، وكانت علمته

تكمُن في معرفته حدود نفسه وبلده والبرامه أهدافه
الواضحة المحددة من قبل !

والآن صار على تمام الالهة لمواجهة الموقف ، فقد بات
كل من الشعب والجيش والجمعية الوطنية في حلق على
العدو الاجنبى وحليفه « الخليفة » . . وبات حصوم مصطفى
كمال مذهولين مدعورين من عتفه واجراءاته الاحيرة . . وفي
الثالث من شهر مارس سنة ١٩٢٤ تقدم العارى الى الجمعية
بمرسوم يقضى بالقاء الخلافة وطرد الخليفة وفصل الدين
عن الدولة . . وخاطب النواب المنفصلين قائلا : « باى ثم
يحب صون الجمهورية المهددة وجعلها تقوم على اسس علمية
متينة . . فالخليفة ومجتمعات آل عثمان يحب ان يذهبوا .
والمحاكم الدينية العتيقة وقوانينها يحب ان تستبدل بها
بمحاكم وقوانين عصرية ، ومدارس رجال الدين يحب ان تحل
مكاتها لمدارس حكومية غير دينية ! »

واقترت الجمعية القانون غير مناقشة ، فهدم مصطفى
كمال في ساعة واحدة كل اسس الدولة القديمة . . وفي الليلة
ذاتها ارسل امرا الى حاكم استنبول يقضى بان يعادر الخليفة
عبد المجيد تركيا قبل فجر اليوم التالي ، فذهب هذا تصحبه
حامية من رجال السوليس والجيش الى قصر الخليفة في
منتصف الليل ، وهناك احضر الخليفة ان يستقل سيارة
حمله عبر الحدود في اتجاه سوريا ، بعد ان زوده بحقيبة
بها بعض الثياب وبضعة جتيهات !

وبعد يومين ، حشد مصطفى كمال جميع امراء العهد
القديم واميرائه ورحلوا الى خارج البلاد . . !

وفي طول تركيا وعرضها لم يبد أى مظهر من مظاهر
الاحتجاج أو المقاومة !

نودة الاكراد

لم يتح هذا الانتصار لمصطفى كمال كل السعادة التي كان
يتشدها ، او لعل مقصبات حياته هي التي اوسدت عليه
متعة بلوغ آماله . . فقد عاوده آلام كليسيه وصارت تهاجمه
بلا انقطاع ، فمالها بالافراط في الحمر . الامر الذي راد في
نورة اعصابه ، وفي كآته نفسه التي كانت تبلغ أحيانا حدا
يعفده اسماءه بنفسه وبرسالته . . . ولم يحصد في حياته
الخاصة اسحصى الذي يعصى اليه بذات نفسه ويفتح له
قلبه ، فقد ماتت امه بعد ان سادت صحتها في جو انقرة
القاسى فاحذتها لطيفه الى ازمير لتبديل الهواء دون جدوى
اما لطيفه فقد عاش معها اشهرأ بعد الزواج وكانه في
الجنة . . لكن حبه الجوفى لها لم يلبث ان اطفأت جذوته ،
فان النساء عده لم يحسن الا للمتعة العابرة . . وهكذا ضاق
تدريجا بحياة البيت الرتيبة ، وملازمة المرأة له ، واشتاق
الى ليالى الشراب والميسر ونساء الهوى العاهرات . . والرجل
لا يستطيع معاليه طبيعته طويلا ، وماضييه يترك طابعه في
نفسه كما يترك الحذرى آثاره في الجسم . . . وترغم ما كانت
عليه لطيفه من تقفه وتحرره في الفكر فبها كانت تعار عليه
كآبه امرأة من نساء الحريم ، فلا سمك تؤنه على افراطه في
الحمر وتطرد رفاق السوء من بيته . . وكان اهلها قد عادوا
الى انقرة ، فطلبوا من الامتيازات والحقوق الخاصة ما اشعر
مصطفى كمال بأنهم غدوا حملا ثقيلا عليه ، فطالهم في
حسوبة بأن يعودوا الى ازمير من حيث اتوا ، الامر الذي
اقتضى لطيفه عليه !

وبات الزوجان يتشاجران كل حين ، فتلوم لطيفه
مصطفى كمال على أساليب حكمه الذكائورية وبصرفاته غير
الدستورية ، وتستغفه في السر والظهر ، بل عالىء حصومه . .

بما يلومها هو على قدحها في عمله وواجباته التي لا تعنيها .
وكان كلاهما صلب الرأي قوي العزيمة والاعداد بعينه .
حاذ أساس يصيق بالغد .. ولم يردا تسلا يلين العلاه
ببهما ويقوى رابطهما .. فرداد شجارهما حتى ملا السب
ضجيجنا .. وأحيرا قررو مصطفي كمال أن يتخلص من
لطيفه .. فكذب وثيقه الطلاق ووقعها ، وأرسل رسالته
قصيرة الى الجمعية الوطنية والصحف والسماعات الاحبسه
ينهي اليها اسما في اجاز .. ثم امر لطيفه بمعادرة البت
والبلدة من فورها !

وتغير أسلوب حياة مصطفي كمال من أساسه ، فكف عن
الاحتياط بالشعب والحدث الى الناس في الشوارع بحرية .
وصار متحفطا مبررا ، تعتمد معانته . ووقمت محاولتان
لاغبياه الأولى بالقبائل ، وقد فشلت تماما .. والثانية
بدس السم له في الطعام ، وقد كادت تفلح ، فلم يعد الى
الحماه الا بعد مجهود طوي شاق وآلام لا وصف لها .. وعلى
أثر ذلك صار شديد الحذر والارتياح ، لا يخرج بغير حراسه
قويه ، ولا يغتر من داره اسنان الا بتصريح خاص ، ووضع
حول الدار ابوارا كاشفة ناره الصوة ، ولم يعد يعامل غير
ورراء حكومه ويغر من أنصاره الكبار وأصعياء السوء .

وبدأت العاصفة تندر بالهوى ، واهترت الارض تحت
قدميه ! .. صار الشعب يصبح بالنسبة ، بحيث اضطر
عصمت وفوري وأنصاره الخلفاء الى تحذيره من الخطر
الراحم . كان العصر يعم كل مكان ، والايام الذهبية التي
وعدها الشعب بها بعد طرد الأعداء قد تمحصت عن أيام
أسوأ من أيام السلطان عبد الحميد ذاته .. فقد عر الطعام ،
وتعاقم الغلاء ، وشجعت النقود ، بل شجعت البصائع الضرورية
واحتمت من الاسواق ، وتقلت الضرائب ، وازداد حشع
جبياتها ، وحدث الشهاب جميعا في الجيش ترغم انتهاء الحرب ،

قاهارت البيوت والمزارع على أصحابها ، وماتت الماشية
تقله العلف ، وأتلف الحب أكثر المحاصيل الزراعية ..
وصارت الحياة عسلا لا يطاق بعد أن بلغت العاقبة والعور جدا
لم يسمح بمثله من قبل !

والواقع أن ذلك كله كان رد الفعل المحتوم بعد الحروب
الرهينة التي استنزفت موارد البلاد .. لكن خصوم
مصطفي كمال من السياسة ورجال الدين أحسوا استعلائه ،
فادكوا لهب السخط واستناروا عصب الجماهير قائلين
« أن البشر لا يستطيعون أن يحسوا على الانصارات الحربية
العديدة ، أو الإصلاحات والطلم الحديثة ، وإنما لابد لحياهم
من الحبز والخاتسة والرى لهم ، والمال لهم ، حوائثهم
بالصاعة .. وهذه الحكومة ذات الطيريات المحدثه والعميرات
الشاملة هي سبب فاقة الشعب وعوره »

وتعاقم البذر والسخط ، وانعش خصوم العاري من
السياسة والوالب فاستردوا حراهم على اسقد والمهاجمة .
وكان أول من هاجموه « عصمت » الذي احتفظ برئاسته
الوزارة منذ عداد من ثوران ، ثم انتقل الهجوم الى رئيسه
مصطفي كمال ، فتقدم بعض النواب في الجمعية الوطنية
باستنحواب عن « ماله الدولة التي باتت في حالة اضطراب
وموضى احرامية » .. وتتابع الخطباء منددين بسوء الحالة
الاقتصادية بسبب تصرفات عصمت ، ومطالبين بإقصائه
نورا !

ومع أن عصمت لم تكن له ذواية كافيته بالمسائل
الاقتصادية .. فقد أصر على أن يتولى وزارة المال . وبإفش
أمرها مع رؤوسيه . وكان احراب اليونانيين والأرمن من
الوزارة قد حرم البلاد من كفاياتهم الاقتصادية المتارة ، ولم
يفعل عصمت شيئا لعويص الوزارة عنها باستدعاء الحراء
الاجانب أو اوسمال الاتراك في بعثات الى الخارج ! ..

وازدادت المعارضة حراً وقويت شوكتها، وصار زعماءها يجمعون في القسطنطينية برئاسة رؤوف ، وألغوا حرب جديدة اسمها « التقدميون الجمهوريون » ، وانضم اليهم كثيرون من الصقي أنصار مصطفى كمال ، وأعلن برنامج اعرب فادا هو يصح على أن تكون الحكومة دستورية وعلى مقاومة كل حكم مطلق !

وفي أثناء ذلك بقي مصطفى كمال في « شان كايا » لا يحرك ساكناً .. بينما ازداد غليان الاعصاب في أنقرة ، في أوساط السياسة والوفا ، ولاسيما أن أفعرة لم تكن وقتئذ أكثر من قرية صغيرة خالية من وسائل التسلية والهوا والراحة والترف ، فكانت تسمية الناس الوحيدة أن ينتقوا ويتحدثوا في السياسة ويتشاجروا في شأنها في اشوارع والمقاهي المتواضعة والصادق الحفيرة ... بل أن الجمعية الوطنية ذاتها شهدت الكثير من المشاجرات العسفة التي لوح فيها بالمسدسات .. وهاجم أحدهم - ويدعى الكولوبيل خليل - رئيس الوزراء عصمت أثناء المباحثة ، فقتله أحد أنصار العاري برصاصة أطلقها على بطنه في حرم المجلس ! ولم يحضر البوليس على اعتقال العادل .. ثم حمل نائب آخر يدعى على شكرى على مصطفى كمال ، فمرر عثمان آغا ، رئيس حرس العاري أن يتخلص من الثالث اسليط اللسان ، فتودد اليه ثم دعاه إلى العشاء في دار الحرس في « شايكاكان » وهناك حقق بمساعدة أعوانه والى حدثه في العراء .. فلما اكشفت الحنة ثارب أنقرة بأسرها اشمئزرا واحتجاجا ، وطالبت الجمعية بالقصص على عثمان آغا .. وطالب أعوانه بدورهم بحماية العاري لهم ، بحجة أنه الذي أمر بالقتل .. فردد مصطفى كمال برعة ثم نحى عن حماية عثمان .. لكن هذا تحصن في دار الحرس في وجه قوات البوليس وثار رجال الحرس وحاولوا احتطاف مصطفى

كمال ، لولا أن استطاع العاري في سيارة من الباب الخلفى والحق مع رؤوف إلى منزل الأخير بقرب المحطة .. وشنت معركة بين رجال الحرس وقوات الجيش التي استدعيت إلى شان كايا انتهت بقتل عثمان آغا وتشتيت شمل أعوانه .. لكن بعضلات القصة دأبت في أنحاء تركيا فحدثت على مصطفى كمال سخط الناس وأقسمت عشيرة عثمان آغا أن تنار لعقدها من العاري الذي غدر به !

وراء تخرج الأمور على هذا النحو ، لم يجد العاري بدا من أخاله « عصمت » .. وأسند رئاسة الوزارة إلى فتحي ، وكان هذا محبوباً من الرأي العام .. لكن المعارضة اعتبرت هذه المهادنة انتصاراً لها فأعصت في مهاجمة مصطفى كمال بغية التخلص منه واقتسام النفوذ بين أقطابها .. وبدأ أنصاره يعضون عنه ويعضون إلى رؤوف ، بل أن إحدى عشيراته أمت بأقول نجمة فحزمت حقائبها وعادت إلى القسطنطينية !

ولم يعد العاري يطمئن إلى تأييد الجيش له ! وفي الإقليم الشرقية شن رجال الدين عيبه حرباً دينية .. وأرسدت إنجلترا إداراً بشأن امتلاك « الموصل » ، وعرع سمعته السياسية !

وفي أثناء ذلك كنه بقي هو في (شان كايا) متعباً مريضاً كسير النفس ، يرقق همه في الحمر ... وأيقن خصومه أنه قد انتهى ... ولكن فحاة ثارت قبائل الأكراد التي تستوطن الجبال المجاورة للحدود الإيرانية ، وارتفعت صيحتها المدوية : « تسقط جمهورية أنقرة ويحيا السلطان والخليفة ! » .. ثم زحفت جحافلها الضارية نحو أنقرة نعي « انقاد الإسلام » .. فاحسحت في خلال شهرين معاطبات « حروب » و « مأمورية العريز » وباتت تهدد « دار نكره » بل تهديد الوطن التركي بأكمله !

وعندئذ نفس مصطفى كمال عنه غبار الجُمول والناس
والحجر والنساء ، وبعثت في عروقه جوية العذبة الكأمة ،
وصاح بالشعب : ان تركيا في خطر فالعدو الأحمى
الأصيل - انحلترا - يظهر الأكراد ، ويمدهم بالسك
والسلاح !

وعم كل تركي ليمتشق السلاح ، وصهرت وطسه
الشعب كل الحلافات السياسية والمفاومة الدسه ، وانهال
على العارى من كل أنحاء تركيا ومختلف طبقاتها برقص
الولاء والظلوع بتقديم اللون المطلوب ، فان تركيا في خطر
والغازي وحده هو الذي يستطيع أن يفيدها !

ومرة أخرى برزت مواهب مصطفى كمال ، في السيطرة
والإشراف والإدارة ، وقاد حوشه الى الأمام ، فلم يقص
شبهان حتى كان قد أخمد الثورة بغير رحمة ، فساب
كرديستان كلها طعما للبار والسف احرقت قراها،وعذب
رحالها وقتلوا ، وأبقت محاصرتها ، واعتصب سبأها ،
وفيل أطلعها . . بمثل الوحشية الفطرية التي دبح بها
أتراك السلطان في الماضي أعداءهم اليونان والأرمن والبلغا
.. وأرسل مصطفى كمال محاكم عسكرية خاصة أطلقعليه
« محاكم الاستقلال » بولت محاكمة الألوف من الأكراد
محكت عليهم بالنشق أو النفي أو السجن . . كما عذر
كثيرون ، وشي ستة وأربعون من رؤساء القبائل في ديار
نكر ، كان أحرهم « الشيخ سعيد » رعيم الثورة ومحرك
الصفا !

محاكم الاستقلال !

بقى على مصطفى كمال أن يواحه خصومه السياسيين
ويشار لنفسه مهم ، ولم يكن من طبعه الصمغ عن الاسائة
أو سياستها . فدعا الجمعية الوطنية الى الاعتقاد ووقف في

النواب خطبا ، فظل يتلاعب بمشاعرهم حتى صفقوا له
جميعا مؤيدس . . انهم زعماء المعارضة ، ولاسيما رؤوف
والعزاد العسكريين الأربعة ، بأنهم ساهموا في تحريكثورة
الأكراد ، وقدم دليلا على اتهامه خطانا موحها من كاظم مره
نكر الى الشيخ سعيد ، وهو خطاب وان لم يتضمن شيئا
دال بال الا أنه يعصص الاتصالات الحمسه بين الطرفين . .

ثم انهم انحلترا بأنها الحركة الأولى لثورة الأكراد ،
طعما في الوصول الى سرول الموصل وسرول العراق . .
وقد انهم زعماء المعارضة الى الشوار سميا الى تحطيم
الجمهورية وتدمير وطنهم . . لهم ادب خوة يستحقون
العقاب . ولش كان الأكراد قد هزموا فان تركيا ما تزال
في خطر . . والخطر يأتي من الداخل ، والدولة يجب أن
تظهر !

وأفلق مصطفى كمال في اثارة ثائرة النواب واطلاق
حماسهم من غنائها ، فهو يطالبون برؤوس « الخونة » ،
وهاجموا دار حزب المعارضة ، لكن زعماء رؤوف ورحمي
وعندنان وخالدة أديب كانوا قد فروا من البلاد !

وساء على طنب مصطفى كمال أقرت الجمعية الوطنية
وقفت الدستور وتحويل العارى سلطة كاملة لاقاد البلاد . .
والعين حصاه النواب صيد الاعتقال ، وفرصت الرفاعة
الصاومة على الصمغ

صار أى احرار أو نقد شعوى للحكومة بعد حباته عظمى
بماف عليها « محاكم الاستقلال » بالموت فورا . . وقرر
العارى وحوب محاكمة زعماء المعارضة ، لكن فتحى رئيس
الوزارة - والوزراء وكثيرين من أنصاره عارضوا رأيه ،
مؤثرس الاكفاء بمهاجمتهم سياسيا،تعديرا المناهضين الوطني
الصامع . فعقد العارى اللجنة المركزية لحزب الشعب ،
لاأحد رأيها . . لكن الآراء انعمست وثار براع استحدثت

فه المسدسات ٠٠ وحشي مصطفى كمال مرة أحداث انفسه
في معروف انصاره وارحاً اسعاه من حصونه الى فرصة
أخرى ٠٠٠ لكنه لم يجد بدا من اقضاء فتحي عن الوزارة
وإعادة ٠٠ عصمت !

على أن رعماء المعارضة وان أفلوا من العباب هذه المرة ،
فإن أساعهم يجب أن يدفعوا ثمن معارضتهم ٠٠ ومن ثم
أرسل « محاكم الاستعلاء » التي حثت نشر في الاقاليم عهد
ارهاب دموي ، ومحاكم المعارضة وترسلهم الى المسعة من
أجل اتفه الاسفادات ٠٠ وحين كان القضاء بظهورون برددا
أو صغما كان الفازي يهددهم بأقصى عقاب ٠٠ بعد ابعثت
السلطة المطلقة في أعماقه برواته الوحشية فانطلق ذئب
أفجرة الأعرس يشب محله في أعدائه ، وبمع بصمته
الدموية على رقاب صحباياه ، بالمجن والتعديب والمسعة ٠٠
بالدم والارهاب !

لكنه لم يصرف النظر عن اضطراب حصومه من الرعماء
في أقرب فرصة ، وقد كان مزعماً بأن بهوي تركيا الجديدة
رسالة في عقده ، وبأن الإيقاع به قضاء على فرصة لتركيا
لنوع فمه مجددا ، ولا ريبه بأن مهها سر حصومه عبر
أن يوقع بهم قبل أن يوقعوا به ، ولا سيما أن عددا من
الجمعات اسرية قد أنشئ في جميع المدن الكبرى خلال
الاشهر الأخيرة ، وأعيد تنظيم فروع حممه « الاتحاد
واسرقي » القديمة ، وبدأت تشتط للعمل ١٠٠

وهكذا تظاهر العاري بأنه قد عدل عن فكره محاكمه
خصومه ، فعاد الى « شأن كايا » وهو يخفي نواياه وراء
ضام وجهه الأعرس ٠٠ وهناك راح يعمل سرا وندس الخطط
بمراعه المعهودة في التآمر ، التي كسبها من عصبومه
القديمة في حممة « الوطن » ، وهدرته على اسطار للنخطة

المساسه ٠٠ وهي أثناء ذلك نشر في « نساء البلاد شمسك
واسعه من الخواسيس ورجال السوليس السرى مهمهم
اضطراب الأدله التي يست على الحصوم بومة السام والخبائنه
٠٠ تم قبح سطر السبيحه كما يعبع المسكون في انتظار
وقوع صعيه في الشراك !

وحانت فرصة أخيره قبل موعد ريارته الرسمية لمدينة
« أرمير » يومين ، فقد ألقى السوليس القصص على ثلاثة
أشخاص كانوا قد أعدوا مابل لاقائها من احدي النوافذ
على العاري أثناء مرور موكبه في شوارع المدينة ٠٠ كما
وجد حطاب يصيح صله المآمرين بـ « نائب معارض يدعي
« سعيد خورشيد » ٠٠ وبعده صرب مصطفى كمال صرته ،
فألقى النص على جميع رعماء المعارضة في البلاد ، وأدم
« محكمة الاستعلاء » لمحاكمتهم فور ، بعد أن كتب رجال
الأمن العام بجمع الأدله التي تست لنتهجة على حصومه
الرئيسيين ، ولا سيما الباشوات الاربعه العسكريين ، وعصابه
« أمور » من أعضاء « الاتحاد والترقي » القديماء !

وعقد المحكمة حسبها الأولى في أرمير ، لمحاكمة
المعوصي علمهم من رجال الطيعة السالية للرعماء الكبار ،
فاصدرب حكمها عليهم جميعا بالسحق ، بغير مراعاة لوعايد
المراعات والاثبات المفررة في الصاوب ٠٠ وأرسلت الاحكام
الى مصطفى كمال في سبه للتوقيع عليها ، وكان منها الحكم
بإعدام « عارف » ، صفي العاري القديم الذي كان قد اختلف
معه في لئدة الأخيرة وانضم الى معارضيه ٠٠ ويعبر شاهد
عنان أن عصمه واحده لم يحتلج في وجه مصطفى كمال وهو
يصع سيحاربه حاسبا وبوقع على الحكم بالوئب على ذلك
الضديق القديم الحميم ٠٠ ثم سفل الى توقيع الحكم على غيره ،
كما بوقع على آيه ورفه عادية من أوراق الرئيس الحكومي

اليومى ، من غير أن يسمح لتذكرات أو العواطف بأن تدب
عزيمته !

ثم جاء دور محاكمة « انكار » فى أميرة ، وحشدوا جميعا
- عدا الدين مروا من البلاد - فى قصص الالهام .. وألعب
المحاكمة من ثلاثة قصة من وعصائه العدائين أناع العازى.
يرأسهم من يدعى « بالد على » ، وكان يتباهى بأنه قد حكم
بالتشيق على عدد من الانراك يعوق العدد الذى حكم عليه أى
تركي مند عهد السلطان محمود السانى ٠٠١ وكان « بالد
على » هندا قد تنمى أمرا من مصطفى كمال بأن يحكم على
المتهمين جميعا بالإدانة - أيا كان دفاعهم - وأدار المحاكمة
بطريقه لم تسمح للمتهمين بالدفاع عن أنفسهم - واضطرب
المحاكمة مصطفى كمال فى دور الشغل الوطنى العظيم، يسما
لطخت بالألواح سمعه الشواهد العسكرية الأربعة تحت
كسبت نهايتهم السياسية فى اعتبار الراى العام ٠٠ وعيدند
أطلق سراحهم ، أظهارا لسل العازى وكريم عفو ٠٠ أما
البسافون من المتهمين فقد حكم عليهم « بالد على » بالموت ،
وعلى شفيتها ابتسامته المألوفة !

وفى أثناء المحاكمة بدلت الحكومات الاحمبية والنسوة
المالية الأوروبية الكبرى ، والأصحف العالمية ، جهودا حسان
لانتقاد أحد المتهمين من اليهود ، وهو « يافيد » ورنو مالب
تركييا فى عهد « أوبر » ٠٠ لكن هذه الجهود لم برد العاز
الا اصرازا على رايه ٠٠ فلما حمل اليه « بالد على » أحك
اعدامهم ليوقع عليها نادر الى ذلك دورا ، وأمر بتعمد الاعد
فى الليلة دابها ٠٠٠ بل راى - اعمانا فى الانعام - أن يحده
لهذه المناسبة بافامه حفلة راقصة رسميه بعصره فى (شيا
كايا) فى الليلة نفسها ٠٠ على أن يدعى اليها بالليفو
باقصى سرعه جميع الباردين فى اعاصمه من الانرا
والسمراء الأحاب والوزراء والعصاة وأحمل سيدات أنقر.

الفصل الخامس

هزم ٠٠ وبناء

صار مصطفى كمال هو الحاكم بأمره فى كل أنحاء البلاد،
بعد أن تحصن من معارضيه جميعا واستكان الشعب اسركى
لحكمه ٠٠ وبركرت كل سلطات الدولة فى يديه ، وب
حرب الشعب الذى رأسه هو الآلة المحيصة على الحكومة ،
بحيث صار محسوما على كل دى منصب حكومى ، من أصغر
موظف فى أصغر قرية الى رئيس الوزارة ، أن يكون عضوا
فيه . كتاب لجان الحرب الإقليمية بمشابة عروج محلية
لنحكومة ، تعد أوامر الدحة المركزية اعميا ونظمها على كل
صعيده وكثيرة فى أنحاء البلاد ، وتدين بالطاعة العمياء
لمصطفى كمال ، طعنا للأسس العسكرية التى نطمت
بمعصاها ٠٠ وكان العازى يحتار منها وزراءه ، الذين كانوا
موظفين دائمين أكثر منهم وزراء ، بسبب اعدام أحزاب
المعارضه !

وصاربت انتخابات الجمعية الوطنية انتخابات « اسمية »
اذ لم تكن يسمح لأحد بمناقشة مرشحي الحكومة الذين
يستقيهم مصطفى كمال من أعضاء حزبه ولجانه ٠٠ وكان

الثالث يلتزم الطاعة المطلقة لرعايات العاري عند الصويت على مشروعات القوانين .. وإذا أخيراً شخص ، سواء أكان نائباً أو شرطياً في إحدى القرى على أية محاضرة أو عصبة فسرعان ما يفصل فوراً من الحرب ، فيفقد تبعاً لذلك عمله وينتدب عييه أن يجد عملاً آخر ، ولو أدى الأمر إلى موته جوعاً !! وهكذا صار الحرب أشبه بحيش ااحلال ، يشرف على ادارة شؤون البلاد !

وكان مصطفى كمال يستعين في حكمه بثلاثة أشخاص ، يجتمعون به كل ليلة في منزله فيسهون اليه الاساء ويسعون أوامره عصمت الذي كان يخصص شؤون الحكومة والجمعية الوطنية .. وفوري ، الذي اخصر شؤون الجيش .. ثم طليا صمت ، السكرتير العام لحزب الشعب ، وهو يهودي قد بر حاصر البيديه كان يسرد على مسامعه أساء النوم الهامه وشؤون الحرب .. وكان الثلاثة يسهلون في أعمالهم رئيسهم الوافر النشاط ، الذي جمع بين رياسته الجمهورية، ورئيسه الجمعية الوطنية ، ورياسته حرب الشعب ، ورياسته مجلس الوزراء ، ثم القيادة العليا للجيش !

وكان مصطفى كمال يباشر مهام مناصبه بعصب المؤمن نفسه وبرسالته ، وكاتب رسالته أن يحق من تركادوله متعديه غيبة رفعة اشان ، تأخذ بفصل ما في الحصارا الأخرى إلى جانب الاحكاما بالصالح في حصارها الحصة . وأدرك أنه لكي ينجح في مهمته عليه أن يسهلهم هم الشعب نفسه ، ويدبره ويعوده ، بروح المسند المصلح ، أو ناظر المدرسة مع تلاميذه الصغار ، السطاء الأعزاز ، الذين هم أشبه بالمادة الخام التي يصاغ حسب طلب صانعيها .. ومثل ناظر المدرسة ، كان إذا لم يفلح في الاقتناع استخدم القوة ، مؤمناً بأنها خير تلاميذه !!

وحمل همه الأول أن يكمل الهدم قبل أن يشرع في البناء.

كي يطهر تركيا من ثوران المصالح الفاسد تماماً .. لقد مرق الكيبن السياسي لدولته بأكمله ، فحول المحكة إلى جمهورية ، وفصل الدين عن الدولة ، وأقصى لسلطان والخلعة ، وأزال كل أثر للإمبراطورية العثمانية . وصار عليه الآن أن يعر عتول الشعب بفسره ، أفكارهم القديمة ، وعاداتهم ، وأرياءهم ، وأسابيب حياتهم ، وأدق الدقائق التي ترتطم بشبابهم السرفه وهماضهم .. وكانت هذه المهمة أصعب بكثير من إعدادة نقاء الكيان السياسي للدولة ، أو على حد تعبيره : « لقد هزمت العدو ، وفهرت الدولة ، فهل أستطيع أن أهر الشعب ؟ »

ورئى أن يخصص من الطربوش ، رمز الدولة اعتمائه .. وكان يعلم أنه سيلقي معارضة عمقه من الشعب ، الذي سيشعر أنه قد طعن في شعاره القومي ، فآثر أن يصل إلى هدفه بالديريج .. بدأ بأن يرض على حرسه الخاص ارتداء القمعة ، فلما لم يقترص أحد عم القمعة في الحش كله ، ودب في صفوفه من يشرح لحدود أفضيتها على الطربوش في حمالة الرأس من الشمس والمطر .. فلما لم ينجح الحش ظهر هو في حفلة رسمية مردياً قبعة من القش !

وكان العاري قد وطئ نفسه على ااحمال صحك الناس وسخر بهم من مضطره ، فقد كان يملك من الشجاعة الأدبية من ما يملك من الشجاعة البدنية .. وبدأ يشر بظرفه قائلاً : « إذا أردنا أن نكون شعباً متديناً فيسعى أن يردى ثياب المديني الدولة . أما الطربوش فهو رمز الجهل .. » ثاب المديني الدولة أن يجاريه أو يعلده في وندعه ، وحسب الأفراد الغلبت الذي سوهو عادوا فكصوا أمام اردراء الناس وتبكيهم .. وعبدوا حش العاري أنه فشل في إصاغ الاتراك برأيه ، فلم يجد بدا من أن يفرصه عليهم بأقوة .. وهكذا أصدرت « الجمعية الوطنية » بناء على طلبه ، قانوناً

يحرم ارتداء الطربوش ويعاقب من يرتديه • ويمنع يومين من إصداره انتشر رجال البوليس في الشوارع الرئيسية في جميع المدن والقرى وأحدوا • بصادرون • الطرابيش من فوق رؤوس المارة • وكل من حاول أو اشتكى كان مصيره الحبس ••• وسرت في البلاد موجة من العصب والسخط ، ورجحت الجماهير في كثير من البلاد معلى الحكومة بالاحتجار ، مدفوعة بتحرير ربحان الدين الختورس الدين الغوا في روع الناس أن هذه • البدعة • محاولة لتأليب الإسلام ، وإن القرآن والسنة يحزمان ارتداء القبعة ••• وفي الجمعية الوطنية نفسها وقف الجبال نور الدين ناشبا يحتج على البدعة الجديدة •

عندئذ انقلب • ناظر المدرسة • الى مستند عاشر • لسان حاله • أن اشورات نحب أن نسي على الدم ، والا الهارب ولم ندم ••• وبدأ فألقى نور الدين ناشبا عن الحمية ، وأرسل • محاكم الاستقلال • الى الاقاليم لتحكم على مناب من • المدرس • بالشقي والرمي بالرفصا والسحق ••• فوصلت حركة انقاعة ، وسارع كل تركي الى شراء القبعة واربدائها ، وجب لم يجد الاهلون في إحدى القرى قصاب كافية هاجموا منجرا لبيع قمعات النساء يملكه أمسي فاباعوا محوياته واربدوها ، ريشها وأشرطها الملونة •••

وصار كل رجل في تركيا يرتدى القبعة ، ولكي يوطد مصطفى كمال هذا انقلب في أدهان العالم الخارجي أرسل مندوبه الى المؤتمر الاسلامي المعقد في مكة ، مرتديا قبعة ••• وكان المؤتمر يصمم ممثلين جميع دول العالم الاسلامية ، ولم يجد المؤتمر بدا من احترام المندوب وضعه تقديرا لمصطفى كمال !

وبقي أمر • الدراوش • ، الدين كانوا يملكون أخصب الاراضي وأهم العمارات ، وكانوا أشبه بالعاله على المنحمن

العامل الشسط ، المحروم ••• فصلا عن صلتهم بسوره الأكراد ••• ومن ثم رأى مصطفى كمال أن يتخلص منهم ، فأصدر قانونا من الجمعية الوطنية يعنى بإغلاق البكايا ومصادرة ثروات الدراوش وتزويدهم في الشوارع ، كي يعيشوا معرق حسهم ، أو يموتوا جوعا إذا أنثروا الكسل ••• شأنهم شأن جميع المواطنين !

وبذلك قضى مصطفى كمال على الأساس والمظاهر الدينية للدولة والشعب ، بأكملها !



واد فرع العاري من الهدم ، بدأ يشرع في النساء ••• فاستدعى الخبراء والمشرعين الاحاب كي يسوا لبلاد قوانين تحل محل القوانين الشرعية العدية • فوضع أولئك الخبراء بصوص القوانين الجنائية والمدنية والجزائية ، المبنية على تشريعات ايطاليا وسويسرا والمبنية على الرتب ••• وبمعصاتها مع تعدد الروحات ونظام • الحرية • ومرتت المساواة بين الرجال والنساء في جميع الحقوق والواجبات

ثم عكف على تحقيق حلمه القديم الذي كان عماد معاونته لتعاصب الاحسي ، وهو جعل • تركيا بلا تراث • فاصدر مجموعة من القوانين والشرعات انى تكفل بلوغ هذه الغاية ••• استمد من اللغة التركية مصادر الكلمات الاحسنه - العربية او الفارسية - واستبدل بها كلمات من لغة النساء ، التي هي أصل اللغة التركية ••• ثم أمر بترجمة القرآن والانجيل الى اللغة التركية ، وأن يلى اصوات في الحوامع بالتركية وحدها ••• وطبع طوامع بريد جديدة تحمل صورته • الدئب الاعمر • ، ومن الانراك القدماء • والرم المدارس الاجنبية يعلم لغة البلاد واستخدام مدرسين تراك وحسن

أن تكون الدراسة الابتدائية مقصورة على المدارس التركية وحدها .. كما حتم أن تكون نسبة كبيرة من رأس المال في كل مؤسسة تجارية ، ملكا لأتراك ، وكذلك الحال بالنسبة للمدبرين والموظفين فيها .. وأنتمها جعل مراسلاتها وجسالاتها بالتركية . وأعلى في وجه غير الأتراك ممارسته من الطب والحمامة وبعض الصناعات . وشجع الصناع الوطنية بفرص الحوائل الحكومية ، وشحن حملة لأغراض الشعب بمقاطعة البصائع الأجنبية التي لها بطر في أسواق البلاد ، إلى درجة استعمال ثياب « البانوي » الذي يزرع محليا بدلا من الثما الذي يستورد من الخارج !

وبعد أن كانت ساعات النهار تحسب ابتداء من الفجر المسمر ، صارت تحسب ابتداء من منتصف الليل الثابت .. وأدخل السفوم « الحريجوري » بل بر دول أوروبا دأها في بعض الأمور ، فعصى بأعشار الضحك سخرية بالحقون والشاد والكسج ، أهابة إعرامية معاشا عليها .. وظهر الشوارع من المتسولين ، وقصى بوجوب حصول الراعي في الزواج على شهادات رسمية بخلوهم من بعض الأمراض ، بعينه خلق جيل صحيح الجسم يحكم البلاد .. هذا إلى مئات الإصلاحات الأخرى ، الكثيرة والصغيرة .

واعززم أن جعل أفرقة عاصمة حدوة تركيا الباهضة ، رغم اموائ الطبيعية والطرفية العديدة ، فاستدعى من برلين وفيينا خبراء إحصائيين في تحطيط المدن ، وكلفهم بتخطيط مدينة ذات شوارع وميادين مسيجة ومبان جميلة .. وشاركهم في البحث والدراسة .. ثم استصدر من الجمعية الوطنية الاعتمادات المالية اللازمة للمشروع ، وأمر بزرع ملايين الأشجار، وإنشاء الطرق ورمد المستشفيات لمكافحة الأوبئة المعدية .. حتى أبقى في هذا السبيل ، في مدة وجيزة ، ثلاثة عشر مليون جنيه !

ثم بدأ مصطفى كمال بحصر اهتمامه في الإشراف على الأمور ، تاركا أمر التعميد وما يكسفه من دقائق وتفصيلات في يد عصمت رئيس وزارته ، الذي صار يقتصر كل يوم مريدا من الاختصاصات .. أما مصطفى فعاد تسريعا إلى أسرائه في داره بصاحبة « شان كايا » ، وإلى نفوره من الناس والمحتمات ، بحيث لم يعد يراه غير الصق أصدقائه وسائمه ، وكبار الموظفين والمسؤولين ..

وفي « شان كايا » عاش حياته إضرابية الشادة .. كان قد بلغ السابعة والأربعين ، وبنت عليه غلائم الكهولة ، فامتلا حسمة إلى حد يفرض من البداية ، وتساقط شعره عن مقدم رأسه ، واكتسب وجهه تلك الصرامة التقليدية التي كانت متكنة في البداية ، فصارت في النهاية غير أرادته .. بحث لم يعد الانتباهة تعرف طريقها إلى شعبيه إلا نادرا ، ولغته قصيرة من الوقت ، ورغم ما كانت تنطوي عليه من حاديه بأدرة !

وكانت صحته دائمة التغير ، لا تستقر على حال .. كان أحيانا يقضى ليلتي نائما موزقا ، وتعاوده نوبات الكآبة السوداء .. وآلام الكليتي الحادة .. وأحيانا أخرى ، وربما في حلال ساعات فليته ، يقبل شخصا ممتنا صحه وحبوه .. في اليوم شيخ همد ، وغدا شاب قوي السبة .. على أن حيويته الحارقة في عمله لم تضعف أو تنضال ، فكان يقوم في بعض الأحيان بمجهود متواصل يعجز عن مثله عشرة من الرجال الأقوياء !

وفي إحدى المناسبات التي خطبا عن تاريخ الثورة الوطنية استغرق منه أعداده مسح ليال كاملة ، واستغرق المأوؤه ستة أيام مواءة .. حتى تعب السواب ودهمهم النعاس ، وهو محتفظ بكامل حيويته وقوة صوته !

وكان بعد ذلك يقضى عدة أيام مرويا في داره ، يسهر

ولم يكن « الدنث الأعر » ، نادى يقبل على نفسه هذا الوضع ، فهو يطعم في أن يطبخ دائما القوة الهضمة والراس المفكرة في الدولة ، الذي لا سمو إلى مكانه رأس آخر ، بل لا يقف إلى حاشه على قدم المساواة مدافس .. ومن ثم هب من مرعده معبرما أن يحصل نفسه مره أخرى محط الأنظار ، ونجم المسرح الأرواح الذي يسلط عليه الأصواء .. انه سذهب إلى المصططيينه ، وهناك نفاحي الشعب من شرفة قصر السطط العثماني بأصلاح حديد عسف الأثر .. سوف يدعى الكتابة بالحروف العربيه ويحفل المعه التركيه تكتب بالحروف اللاتينيه ، وبذلك يحدث ثورة في الأدب التركي بأجمعه ، وفي رسمه الراسل بين التركي والتركي .. سوف يقبل كل الأفكار في البلاد رأسا على عقب !

وكانت حجته أن الكتابة بالحروف العربيه شبيهة ، التعقيد ، بحيث صارت وقفا على خاصه اضعف ورجال الدين .. أما أكره الشعب ، أو نحو تسعين في المائة منه ، فلا تعرف القراءة والكتابة .. وحتى الذين يعرفونها بمصر ثقافتهم على الأفكار العربيه والعربيه السططيه ، وكان جدارا قد أقيم بينهم وبين الفكر العري الوثاب .. لكنه بحره قلم سوف يقبل هذه الأوضاع ، ويرسل أفراد الشعب جميعا إلى المدونه المتعلمين إلى جانب الجهال، ورجال الدس إلى جانب الخدم والعامة .. سوف يصبح لهم جميعا أبواب المعرفة ويقودهم إلى مستقبل باهر !

وعكف على مشروعه يدرسه بعباه وتؤدة ساعات كل يوم مسعسا بأمناده البعة وحرائها على وضع حروف أجنبية لاسمه ثلاثم اللغة التركية ، حتى أم اعداد العده لا فلاه الخطير ، فأعلن اعترام الحكومة الانتقال خلال عطله صيف سنة ١٩٢٨ إلى المصططيه وشاطئه البوسفور .. وعند

طول النبل مع أصغياته .. وعقب هذه اللبالي المرعه ، أو لبالي الأثر الطويلة ، كان يهض عند الفجر ليمتطي حواده إلى المرعه المودحية التي كان يشبهها في واد قريب ، والتي رودها بأحدث المسعدنات الزراعيه والميكانيكه ، وأحسن فصائل الأنهار والآبار .. وكانت براوده على الدوام صورة حاشه لتركيا في المستقبل ، وقد عمتها هذه المزارع وقامت أرضها حطة وريتا .. فأمر بأشياء الجمعيات اسماعويه والبنوك الزراعيه للسليف ، لمفقد الفروض للفلاحين وتورع الدور .. ووضع مشروعات لنرى ، وللطرق والسكك الحديدية الجديدة ، وللعظم المستحدثات الصناعيه !

ولا شك أن مصطفى كمال - رغم أخطائه وأمانته - كان وطنيا ، مؤمنا برساليه وسجانه ، لكن غوائه كبيره كانت تصدمه في مراحل جهاده، أهمها نقص المال ، ونقص الشعب وتواكله وفقره ..

استعمال الحروف اللاتينيه

بدأ مصطفى كمال يمل حياته المشابهه في شأن كاياة .. فود لو يسافر ويرى الحياة والناس ، ويستعد ولو فترة من الوقت عن السهول الصغراء الزراعيه أمام داره !

ومن جهة أخرى كانت صحبه آخذه في المدهور بسبب الاضطراب في الخمر ، حتى لقد أصيب مرتين بنوبة قلبية مصحوبة بأغماء شديد .. فأندره الطب وحووب العناية بصحته والاعبدال في حياته ، وبغير الهواء

ومن جهة ثالثة كانت صلته بالجماهير قد ضعفت، وقبضته على زمام الأمور قد نراحت ، فدافع السم والملل ، حتى لقد بدأ الناس يتهاشمون ، بأنه قد بات صسورة رمزية يحتفى وراءها عصمت وورثوه !

وصوله استعمله أهل المدينة الكبرى بأعظم حفاوة و ترحيب ،
بعد أن طالت عيشته عنهم تسع سنوات ٠٠ وفي موكب رائع
شق طريقه إلى مقره الجديد : قصر السلطان !

وبعد أيام وجه الدعسوة إلى أكبر عدد من الشخصيات
والنواب والموظفين ورجال الدين والصالحين والكهنة
وأعضاء المدارس وسيدات المجتمع وكبار الحار ، لختوم
حثة استقبال كبرى في العصر ٠٠ وبعد أن اكتمل عددهم
وقف فشرح لمدعويين عرصته من دعوتهم ، وكأب إلى
حاشية « سمورة » ومقطعة من الطباشير ، فشرح يرد شرحه
بالكتابة ، موضحاً طريقه الكتابة الحديثة وأفضلها ، ملصقا
البكتات والملصق المقطعة بين الحين والآخر ، على خلاف عاداته
٠٠ داعياً بعض الحاضرين إلى تعينه والنسخ على مواله ١٠٠

ثم قام في الأيام التالية بحولات في المدن والقرى ، حاملاً
معه سمورته وطباشيره ، ملصقا دروس الكتابة باللاتينية في
الأسواق والميادين العامة ٠٠٠ فاستجاب الشعب بأجتماعه
للدعوة الحديثة ، اتى في مصاح الباب المؤدى إلى التيجاح
الذهبي والبروه والرحا ، ٠٠ وصار الجميع ، شباباً وشيباً ،
يجلسون في أركان المعاهي والخوامع والمساجد ، حاملين
الواح الإردوار والطباشير ، ينسرون على والدعاه الحديثة

وكان الغازي لا يدع فرصة إلا اغتنم فيها كل من يلقي
به في مدى اتقانه الكتابة اللاتينية ، حتى لقد أوقف الرقص
في إحدى الحفلات ذات ليلة وطلب سمورة وطباشيره ثم ألقى
على الحاضرين درساً وعقد لهم امتحاناً ٠٠ ثم حصد يوماً
يصبح بعده كل منصف عن اتقان الكتابة الحديثة عرصته
لمقومات قاسية ، منها الطرد من الوظيفة والحرمان من
الجنسية بل ألقى من البلاد أو الاعتقال في السجون !

وأحد العارى يقوم بجولاته في أنحاء البلاد لتعليم شعبه

همه ونشاط لا يعرفان الكلل ٠٠ وهكذا استرد من حديد
هجوم الناس به وبركير الأصوات على شخصته ٠٠٠ وأحياناً
كان يفرع من جولته فصح في المفاخر والشرا حتى
مطلع النهار التالي ، ثم يخرج إلى حوله بعينية جديدة دون
أن يتنام لحظة أو حتى يتخلع ثيابه !

الجمهوريون الأحرار

وواصل الغازي إصلاحاته ٠٠ فأمر بتشجيع بعض
العقول ومن الأساليب العصرية ، وأشأ في أنقره مدرسه
يعرس فيها الجنسان العنود الجميلة ، وأمر بإقامة مدارس
له في الميادين الكبرى ، وأحلال الموسيقى الغربية محل
الموسيقى التركية العتيقة في المناسبات والحفلات ، وأشأ
مدارس لتعليم الرقص العربي الرامي ، وبرقيه الرقص
التركي !

أما المرأة فقد رأى وجوب تحريرها تماماً عن المحاب ومن
الانزواء في عمر دارها ، كمن يشارك الرجل في حياته العامة
وساها في أوجه نشاط الأمة والحكومة ٠٠ ومنحها حق
اصحاب أعضاء المجالس البلدية ، ووعده بمنحها حق الانتخاب
للرجال - الجمعية الوطنية - وعن بعض عصبوات في
حزب الشعب على قدم المساواة مع الرجل . وشجعهم على
دراسة الطب والحماة ، وعن أسس مهنة في مساهمة
النقضاء وفي المجلس البلدي لاسماول ٠٠ وضع مدارس
للخدمة الاجتماعية ، بمعاونة أخته « مقبولة »

ومره أخرى أمسى مصطفى كمال الرئيس العام للدولة
ولحرب الشعب ، فصار يطلب وصح تقارير لاطلاعه على
تطورات الأمور ، ويسندعي إليه الوزراء والنواب وكبار
الموظفين لمناقشتهم ، وطالب بأن تعرض عليه القرارات الهامة
قبل تنفيذها ، ويكون له الإشراف الفعلي على شؤون الدولة .

ارادته في انتخابات حرة .. لكن الحرية شجعت الشعب على اطلاق عواطفه المكبوتة دون حساب ، فتوالى على الحكومة الهجمات وحملات النقد والتشهير المعبرة عن السخط الشديد من جانب جميع الطبقات : التجار والمصدرين ورجال الاعمال واصحاب السفن والموظفين والفلاحين ودافعي الضرائب وجميع النساء !

وشجع السخط اعداء مصطفى كمال القدماء ، من رجال الدين والمعارضين الذين خمدت اصواتهم منذ حركة التطهير العامة سنة ١٩٢٦ ، فانتعشت نفوسهم .. وحدثت أكثر من محاولة لاغتيال الغازي ، لا من جانب الساسة أو الثوريين المعادين له ، بل من جانب افراد عاديين من الساخطين .. وانتشر الاضراب والاعتصاب - بتشجيع الشيوعيين - في مصانع تعبئة التبغ في أزمير ، ثم امتد الى كثير من المناطق الاخرى .. وفي الجنوب ، على حدود سوريا (الفرنسية حينذاك) نشط الثوار الأرمن يعاونهم الاكراد المنيرون ، وعلى طول الحدود الايرانية ثار الاكراد من جديد وعمدوا الى القتل والحرق والنهب ، حتى لقد عجز عن قهرهم جيش تركي من خمسة عشر الف مقاتل ، بقيادة صليب باشا !

واخيرا تشبث ثورة جديفة في بلدة «نيمين» القريبة من أزمير ، على أثر صدام حدث في سوق البلدة بين شيخ من مدعي النبوة زعم انه المهدي المنتظر جاء لينقذ تركيا من طغيان مصطفى كمال ، وبين ضابط من الجيش .. وانتهى الشجار بذهاب الضابط « بالمششار » بين تصفيق الجماهير وتهليلها ، فلما استدعيت قوات البوليس الضميلة غلبت على أمراءها ، أما قوات الجيش فقد أبت اطلاق النار على المتظاهرين .. وعندئذ هبت الثورة التي أعاد « الدراويش » العدة لها منذ شعور ، في منطقة تمتد من قونية الى اضايا وأزمير .. بين فطرد الاهالي في كل مكان موظفي الحكومة من مكائهم ، بين

وكان عصمت قد ركز في شخصه كل هذه السلطات أثناء انزواء الغازي في « شان كايا » ، فأبى أن يتنازل عنها .. وصاروا يصطدمان في كثير من المناسبات ، فيوقف بينهما فوزي .. حتى بلغ الخلاف أقصى حدته في صيف سنة ١٩٣٠ ، حين صارع فتحي - وكان قد عين سفيراً لتركيا في باريس - زعيمه مصطفى كمال ببدى الهواية التي يقود عصمت البلاد اليها بسياسته الحرقاء .. فرأى الغازي - الذي لم يكن يسهل عليه الاستغناء عن عصمت - أن ينشئ له « صمام امان » يمنعه من السخط .. فألف حزباً معارضاً باسم « الجمهوريون الاحرار » كي يحول الحكومة من أوتوقراطية ذات حزب واحد الى دستورية برلمانية مثل سائر الحكومات الديمقراطية ، وأستد رياسة الحزب الى فتحي ، يعاونه أحد عشر نائباً ، وثلاثة من أخصائه ، ثم شقيقته مقبولة .. وشرح لكل من عصمت وفتحي نظريته في وجوب قصر الخلاف بينهما على ما فيه صالح البلاد ، داخل الجمعية الوطنية ، على أن يظل الحصان السياسيان صديقين في الخارج ، كما هي الحال في إنجلترا ، العريقة في ديمقراطيتها

وحين أجريت التجربة في اجتماع الجمعية الوطنية بحضور مصطفى كمال وقف فتحي فهاجم عصمت هجوما عنيفاً ، ورد عليه عصمت بهجوم أغنف ، ثم خرج الاثنان في النهاية يتضاحكان متشاكبي الأذرع .. لكن أنصارهما من النواب عجزا عن فهم هذه المأرضة الشريفة أو فهمها ، فاشتبك الفريقان في مشاجرات - داخل الجمعية وخارجها - استخدمت فيها المسدسات وأصيب فيها الكثيرون !

وقبيل موعد انتخاب المجالس البلدية قرر مصطفى كمال رفع الرقابة عن الصحف وإباحة حرية الاجتماعات ، بعد كبت استمر عشر سنوات ، كي يتاح للشعب أن يعبر عن

تهليل النساء وزغاريدهن .. ثم جاءت الانباء بقرب نشوب ثورة مماثلة في أرضروم .. في الوقت الذي كان الأكراد فيه يقاومون الأتراك بعنف ووحشية ويسومون أسراهم أفلح ألوان التعذيب

وأطل الغازي على الحالة المندرة بالخطر ، كما أطل من قبل من مقعد الرئاسة في الجمعية الوطنية على النواب المتشاجرين ، فأدرك أن وعي الأتراك السياسي لم يتضح بعد إلى الحد الذي يحتمل معه تجربة إطلاق حرية الرأي والسماح للمعارضة بمزاولة نشاطها .. فشمس الغازي من جديد عن قبضته الحديدية ، وكشر الذئب لا يجبر عن أيأبه مرة أخرى !!

انه حاكم على شعب بدائي متوحش ، في أرض قاسية بدائية ، فلا مفر من أن يكون في حكمه قويا ضاريا .. ومن ثم أعلن الأحكام العرفية ، وأعاد الرقابة الصارمة على الصحف ، ومنع حرية الخطابة منعا باتا .. وسوى خلافاته مع عصيت ، فقد كان في حاجة إلى حزمه وصرامته .. ثم أخذ الشورات في كل مكان بمنتهى العنف والقسوة ، وشنق الذين حاولوا اغتياله في مشهد عام فوق قنطرة « غلطة » عبر « القرن الذهبي » .. كما شتق زعيم الدراويش - وكان في الثمانين من عمره - مع أتباعه البارزين جميعا .. وأرسل إلى « منيعين » قوات بطشت بالنار وسجنت ألفا من الاعالي وشنقت ثمانية وعشرين رجلا من أبرز زعماء الثوار ، في وحشية تضارع وحشية المهدي المنتظر !

وهكذا عاد الأمن والسكينة يرفرفان على ربوع البلاد ، وخرست أصوات النقد والشكوى فجأة وعاد أصحابها إلى جحورهم .. وأحست طبقات الشعب جميعا بقبضة الغازي تشد وتقوى من جديد ، فمنحته إيماناها القديم وثقتها العمياء !

ثم قام الغازي بجولة واسعة في أنحاء تركيا ، اتصل فيها بشتى الطبقات ، ووقف على أسباب تدميرهم وشكواهم ، ودرس مطالبهم .. فلما عاد إلى مقر حكمه دبر العلاج لكل داء .. وبدأ باقتضاء فتحي ، الذي تسبب دون قصد في كل تلك الاضطرابات ، ثم طهر صفوف حزب الشعب من المسنين المعجزين وغير الأكفاء ، وأمر بإجراء انتخابات عامة جديدة ، حرص فيها على أن ينتخب في الجمعية الوطنية تسعون نائبا جديدا من الصناع والعمال والتجار

انه لم يفقد ذرة من إيمانه بالشعب ، وبقدرته على أن يقوده إلى مستقبل عظيم .. وقد عبر عن رأيه بتصريح أدلى به في ربيع سنة ١٩٣٢ ، قال فيه : « فليترك الشعب السياسة جانبا في الوقت الحاضر ، وليضع همه في الزراعة والتجارة » .. اننى ينبغي أن أحكم هذه البلاد عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما أخرى ! .. وبهذا أستطيع أن أطلق للناس حرية الرأي ! »

خاتمة

وهكذا بقى مصطفى كمال - بحيوته الحارقة - دكتاتورا لتركيا .. انه رجل أوجدته الظروف في الوقت المناسب ليقود بلاده إلى المجد .. ولو أنه ولد في الزمن الذي كانت فيه آسيا الوسطى كلها قبائل من الرحل لتزعهم كما فعل (سليمان شاه) وقادهم في ترحالهم تحت علم « الذئب الأحمر » ، وبقلب الذئب الأحمر وغرائزه !

ولو أنه وجد في عصر « جنكيز خان » لبزه في عبقريته الحربية وعزيمته الجبارة التي لا تضعفها عاطفة أو خلق أو وفاء .. ولقاد مثله قبائل الفرس المتهوذين فغزا بهم الأقطار واحتاج الأمصار ودحر المدن .. ثم أنفق فترات الراحة بين الحملات المتعاقبة في المجون الصارخ ، والخمر والنساء !!

وكلاء مجلات دار الهلال

بيروت ولبنان : السيد خليل طعمة - السور - العسلي

المدخل الشمالي ص ٥٤٣ بيروت

حلب : الشيخ طاهر النعماني

حماه : السيد سعيد نجار

اللاذقية : السيد نخله سكاف

حمص : السيد عبد السلام السباعي ص ٥٩

مكة المكرمة : السيد هاشم بن علي نحاس - ص ١٧

البحرين والخليج : السيد مؤيد أحمد المؤيد - مكتبة المؤيد - البحرين

Sir Jorge Suleiman Yazigi,
Rua Varnhagem 40,
Caixa Postal 3769,
Sao Paulo, Brasil

البرازيل :

The Queensway Stores P.O. Box 400,
Accra, Gold Coast, B.W.A.

ساحل الذهب :

Mr. M.S. Mansour 110, Victoria Street,
P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

نيجيريا :

مكتب توزيع المطبوعات العربية : انجلترا

Arabic Publications Distribution Bureau
10 Queensborough Road, London S.E. 26

ولكنه ولد وريثا لامبراطورية ميتة ، شذبت الظروف
أطرافها وقلمتها على يديه حتى جعلت منها يلدا صغيرا فقيرا
أقرب الى البؤس ٠٠ وورطته هو في شباك السياسة
الوضيعة ، وفي الإصلاحات الصغيرة !

انه يعيش - بعقلية امبراطور - في داره بقرية (شان
كايا) ٠٠ أشبه برئيس قبيلة بدائية سلاحه سيورة وقطعة
من الطباشير ١٠٠

ان عظيّمته تكمن في معرفته للحدود الضيقة لفرصه ،
وقبوله لهذه الحقيقة ٠٠ لكنه قبل كل شيء عظيم في ايمانه
العظيم بمستقبل شعبه الزاهر ٠٠ او على حد قوله : « لقد
عرفت جميع الشعوب درستها في ميدان القتال تحت النار
وفي وجه الموت ، حيث تنكشف طبائع البشر وتبدو عارية
٠٠ واقسم لكم ، يا شعبي ، ان القوة الروحية لوطننا تفوق
قوى جميع الشعوب ٠٠ اني سوف اقود شعبي من يده
خلال الطريق الطويل ٠٠ حتى تتولد أقدامه فيه ويعرف
سبيله ٠٠ وعندئذ يكون في وسع مواطني ان يختاروا
لانفسهم بانفسهم ، الحاكم الذي يريدونه ، ويعلموا انفسهم
على هواهم ٠٠ وعندئذ تكون مهمتي قد أنتهت ! »

هذا الكتاب

هو تصوير رائع لنهضة تركيا الجديدة بزعامة مصطفى كمال . . . وقد توخى مؤلف هذا الكتاب أن يضعه في شبه قصة أو دراما رهيبة بطلها هذا الزعيم التركي الفذ الذي يصدق عليه وصف « الذئب الأغبر » ، والذي يمد تاريخ حياته والانقلاب السياسي الذي قام به والأحداث الحربية الخطيرة التي اجتازها من أعجب القصص وأشدها غرابة وروعة

ولقد أشاد النقاد العالميون ببطولة مصطفى كمال الحربية والسياسية ، وزعامته القومية ، ووضعوه في الصفوف الأولى بين منقذى الأمم ، وصانعى النهضة الكبرى ، لأنه استطاع أن يحافظ على استقلال شعبه ، وكرامة وطنه ويجد تاريخه !

والكتاب حافل بأمثلة البطولة ، وقصص الشجاعة النادرة ، والمغامرة الشريفة ، والإرادة الحديدية ، والوطنية الصادقة ، والنظرات الثاقبة ، وغيرها من الأمثلة التي رسمها مؤلفه عن بطل الأتراك في العصر الحديث بأسلوبه القصصى ، وبتحقيقه الدقيق الذي أعانه عليه أنه عاش في الشرق زمنا طويلا ، وأقام في تركيا عدة أعوام شهد فيها الانقلاب الكعالمى ، ووقف على أسرار ووثائق لم يقف عليها غيره من المؤرخين وكتاب التراجم